

السياسة

من واقع الإسلام

آية الله العظمى

السيد صادق الشيرازي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هناك بعض من يتصور أن السياسة لا علاقة لها بالدين إطلاقاً، حيث إن الدين أمر روحاني يشتمل على الفضائل والمعنويات، أما السياسة فهي عادة غارقة بالماديات والمكر والخديعة، والظلم والاستبداد..

ولكن عندما تقرأ هذا الكتاب القيم ترى أن السياسة بمعناها الصحيح جزء لا يتجزأ من الدين الإسلامي الذي اختاره الله عز وجل دستوراً للبشرية جمعاء منذ أن بعث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى يوم القيامة.

فإن السياسة التي تعني (إدارة البلاد والعباد) في قاموس الإسلام لا تعني إلا الأسلوب الطاهر الذي لا ترى فيه شيئاً من المكر والخديعة والظلم والاستبداد، بل يتضمن أكبر الحريات للإنسان بما هو إنسان، ويأخذ بيده إلى كمال الدارين وسعادة الدنيا والآخرة.

فالسياسة الإسلامية تنظم أفضل برنامج للحكومة في تعاملها مع شعبها ومع سائر الدول المجاورة وغيرها، كما تضمن للأقليات الدينية كامل حرياتهم المشروعة. بل تشمل رحمتها حتى الحيوانات..

ثم إن سياسة الإسلام تبني على السلم واللاعنف، واحترام الرأي الآخر وفتح المجال للمعارضة، وتمنح الحريات الكثيرة في مختلف ميادين الحياة الفردية والاجتماعية..

وهذا ما تلمسه بوضوح في الكتاب الذي بين يديك (السياسة من واقع الإسلام) وقد اعتمد فيه سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) على أهم مصادر التشريع الإسلامي:

الكتاب والسنة النبوية الشريفة وسيرة أهل البيت الأطهار (عليهم السلام)..
وذكر أمثلة حية واقعية عن السياسة الحكيمة التي أمر بها القرآن العظيم وطبقه رسول

الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلفاؤه الطاهرين (عليهم السلام).
نسأل الله سبحانه أن يوفق المسلمين حكومات وشعوباً لتطبيق السياسة الإسلامية، لكي
ينالوا سعادة الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب.

مؤسسة

المجتبى للتحقيق والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده .

والصلاة على من لا نبي بعده .

وعلى خلفائه المعصومين (عليهم السلام) الذين جعلهم الله حكام أرضه بعد نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

والسلام على الفقهاء الأئمة، نواب خاتم الأوصياء (عجل الله فرجه الشريف) .
الذين جعلتهم (القيادة المعصومة) :

القضاة ..

والحكام ..

والحجة ..

أما بعد : فالسياسة بحث واسع مترامي الأطراف، وبحر عميق عريض لا يبلغ غوره وسواحله إلا القليل القليل ..

فهي كيفية إدارة شؤون الناس في السلم والحرب، والأخذ والعطاء، والشدة والرخاء، والاجتماع والافتراق، وغير ذلك .

وإذا علمنا أن الناس كما يختلفون في أشكالهم، وألوانهم، ولغاتهم .. كذلك :

يختلفون في أذواقهم، وعقولهم، وعواطفهم .

ويختلفون في إدراكهم، وفهمهم، وتحليلهم .

ويختلفون في خلفياتهم، ونظراتهم، ومعطياتهم .

فبين شباب لا ثقة لهم بفكر الشيوخ .

وبين شيوخ لا ثقة لهم بتجلد الشباب .
ومن هنا تلعب الأهواء، والميول، والاتجاهات . . في هذا المجال أدوارها الفعالة بين حسد،
وغبطة، وتنازع على الصعود، وغير ذلك الكثير . . والكثير . . والكثير . .
فإذا علمنا ذلك كله نستطيع أن نفتح على أذهاننا نافذة صغيرة أشبه شيء بالكوة إلى ما في
عالم السياسة من المجال الواسع، الرحب، العريض . . الكبير .
هذا كله في السياسة المادية البحتة التي يمارسها سياسة الدنيا اليوم غالباً، في الغرب والشرق
والوسط .

أما سياسة الإسلام المبتنية على إدارة الناس في كافة شؤونهم المادية والمعنوية، بالإضافة إلى
الالتزام الكامل :

بالعدل والإحسان .

والإنسانية والعواطف الخيرة .

والفضيلة والأخلاق الكريمة .

واستقامة الفكر والعقيدة .

في كل الأدوار، وفي كل المستويات .

هذا المزيج من المادة والروح في كل الأبعاد، لكل منهما .

هذا هو من رابع المستحيلات في منطق السياسة المادية .

لكن الإسلام هو الذي جعل من هذا المستحيل ممكناً .

لا ممكناً فحسب . . بل طبقه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وطبقه أمير المؤمنين

(عليه السلام) .

هذا الأفق الواسع الذي يسمى بـ: «سياسة الإسلام»

يحتاج البحث الوافي عنه إلى عدة مجلدات ضخام تحتوي على ما يلي :

أولاً : تاريخ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل الأبعاد، وتاريخ العترة الطاهرة

(عليهم السلام) من أهل بيته الذين جعلهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر الله

تعالى :

«ساسة العباد، وأركان البلاد»^(١).

وثانياً: تحليل هذا التاريخ العظيم الحافل، ودراسة ظروفه، وخلفياته، ومعانيه، وأبعاده ..
وثالثاً: تطبيق واقعنا المعاصر على هذا التاريخ، في المنعطفات والفوارق بين ذلك اليوم ..
وهذا اليوم .

ورابعاً: ترجيح المتزاحمات بين هذه .. وتلك .

وخامساً: استخلاص تجربة عملية عميقة مدروسة من القرآن والحديث والسيره
والتاريخ .

وهذا ما نرجو أن يوفق الله تعالى لإنجازه ثلثه من فقهاءنا العظام الذين يتميزون بالدقة
والتعمق الموضوعي الشامل، وبعدم التحيز عن الحق لهذا وذاك، وهذان ما يؤهلهم لهذا الأمر
العظيم والخطير في نفس الوقت .

لكي يعكسوا صورة واضحة حية أصيلة عن سياسة الإسلام وفلسفتها، وأفاقها وواقعها،
يترأى من أطرافها الجمال والعظمة والإنسانية، وذلك : لتكون ربطاً لقلوب المؤمنين، وتثبيتاً
لأفكارهم في كل مجالات الإسلام، ولكي تكون أيضاً : مُرغباً عميقاً لغير المسلمين في
الإسلام ..

كما كان ذلك وهذا في بدء الإسلام ومفتتحه، والذي أربع كل كفار العالم بالفناء الدفعي
عن التاريخ نهائياً، والقضاء عليهم فكراً وعملياً بعمق ثابت حتى قال بعض قساوسة الكفار
لبعض علماء المسلمين ما مضمونه :

إن معاوية ابن أبي سفيان حقاً كبيراً على الكفار في التاريخ بحيث يجب عليهم أن ينصبوا له
تمثالاً من الذهب في ساحات البلاد الأوروبية، وذلك لأنه أشغل علي بن أبي طالب بالحروب
الداخلية، فلم يترك مجالاً لعلي (عليه السلام) حتى يتفرغ لتعميم الإسلام على العالم، وإلا
لما بقي اليوم كافراً واحداً على وجه الأرض^(٢) .

ومثل هذا الأمر يتكفله مثل هؤلاء الفقهاء العظام .

أما كتابنا هذا، فهو أشبه ما يكون بإطلالة على هذا الفضاء الرحب الواسع، وفهرس موجز في هذا المجال .

والله المسؤول أن يوفق المسلمين لفهم سياسة الإسلام بعمق وموضوعية وشمول، وتطبيقها على العالم كله، لينعم المسلمون وغير المسلمين جميعاً بفضل الإسلام وسياسته الحكيمة الرشيدة تحقيقاً لقوله تعالى :

«ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض...»^(٣).

وقوله عز من قائل في أهل الكتاب :

«ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم...»^(٤).

وما ذلك على الله بعزيز، وهو ولي التوفيق، ونعم الوكيل .

صادق مهدي الحسيني الشيرازي

إن السياسة التي تفسر بـ:

«تنظيم أمور دنيا الناس على أحسن وأرفه وجه».

الذي هو مضمون قوله تعالى في وصف الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم):

«ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم»^(٥).

السياسة بهذا التفسير هي من صميم الإسلام، ومن أسس الدين، التي يجب على كل فرد من المسلمين السعي لتطبيقها على العالم كله، والجهاد بمختلف الوسائل والسبل المشروعة من أجل تثبيتها، تحقيقاً لقوله تعالى:

«شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى

وعيسى أن أقيموا الدين»^(٦).

ونظرة باحثة دقيقة على التاريخ الإسلامي المشرق الطويل عبر القرون المتمادية خصوصاً تاريخ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتاريخ وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأولاده الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) تعطينا فكرة وافية عن مكان السياسة الصحيحة في الإسلام.

ومطالعة القرآن الحكيم وكتب التفسير والحديث توقفنا على الرصيد الفكري السياسي

الضخم الذي تركه الإسلام للمسلمين، وللعالم أجمع.

نصوص الشريعة

وفي الشريعة الإسلامية نصوص كثيرة.. وكثيرة جداً، تدل على أن السياسة جزء لا

يتجزأ من الإسلام، بل الأصح في التعبير أن نقول: الإسلام والسياسة لفظان لمفهوم واحد،

فالسياسة هي الإسلام، والإسلام هو السياسة بمعناها الصحيح العام.

وهنا نذكر بعضاً من تلك النصوص غير ما ذكرناه في أول الكتاب، أو ما يأتي في مطاوي
الفصول المختلفة أيضاً:

جاء في الحديث الشريف في وصف الأئمة (عليهم السلام) بأنهم:
«ساسة العباد»^(٧).

وجاء في حديث شريف آخر:

«الإمام عالم لا يجهل . . . مضطلع بالإمامة، عارف بالسياسة»^(٨).

وفي الحديث الشريف أيضاً:

«ثم فوض إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر الدين والأمة ليسوس عباده»^(٩).
وفي حديث آخر:

«كان بنو إسرائيل تسوسهم أنبياءهم»^(١٠).

وفي كتاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر النخعي (رضوان الله
عليه):

«فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسياسة»^(١١).

وقال (عليه السلام) في نفس الكتاب في محل آخر: «فول من جنودك أنصحهم في نفسك
لله ولرسوله ولإمامك . . . واجمعهم علماً وسياسة»^(١٢).

وقال (عليه السلام) أيضاً كما في الغرر -: «خير السياسات العدل»^(١٣).

وقال (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية ابن أبي سفيان: «ومتى كنتم يامعاوية ساسة
الرعية وولاية أمر الأمة؟»^(١٤).

وهذا يدل على أن ساسة الرعية ليس بمعاوية ولا أسلافه وأضرابه، بل هو النبي (صلى الله
عليه وآله وسلم) والإمام (عليه السلام) ونوابهما.

وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير في خطبته العظيمة:

«يا أيها الناس، والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، وما

من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه»^(١٥).

وروي في الكافي بسنده عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال :
«ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة»^(١٦).

وروي أيضاً عن سماعة عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) في حديث، قال : فقلت :
أصلحك الله أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس بما يكتفون به في عهده؟
قال (عليه السلام) : «نعم، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة» .
فقلت : فضاع من ذلك شيء؟

فقال (عليه السلام) : «لا هو عند أهله»^(١٧).

وروي أيضاً عن الصادق (عليه السلام) قال : «إن الله أنزل في القرآن تبيان كل شيء،
حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد إلا بينه للناس، حتى لا يستطيع عبد يقول : لو كان هذا
نزل في القرآن إلا وقد أنزل الله فيه»^(١٨).

ومن الواضح : أن المراد بذلك نزوله في عمومات القرآن، لا في خصوصاته .

وروي أيضاً عن الرضا (عليه السلام) قال :

«وما ترك أي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بينه، فمن زعم
أن الله لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله عز وجل»^(١٩).

وأخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في (بحار الأنوار) عن (بصائر الدرجات)، بسنده
عن أبي جعفر الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال :

«إن الله لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله، وجعل
لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه»^(٢٠).

وهناك مئات النصوص بهذه المضامين تدل على أن السياسة من الإسلام، بل من صميمه
وواقعها، بالعمومات أو الخصوصات، زخرت بها كتب الحديث في موارد مختلفة .

تباين السياستين

غير أن السياسة الإسلامية تباين السياسة العالمية اليوم وتختلف عنها في أصولها وفروعها،
فالسياسة الإسلامية هي غير السياسة المعاصرة التي تمارسها معظم الدول تماماً .

وذلك : لأن الإسلام يتبع في سياسته مزيجاً من : الإدارة والعدل، والحب الشامل، وحفظ كرامة الإنسان، وحقن الدماء .. فهو يسعى في أن لا تراق قطرة دم بغير حق، أو تهان كرامة شخص واحد جوراً، أو يظلم إنسان واحد .. بل وحتى حيوان واحد .

أما السياسة بمفهومها المعاصر فهي القدرة على إدارة دفة الحكم وتسيير الناس والأخذ بالزمام مهما كلفت هذه الأمور من : إهدار كرامات .. وإراقة دماء .. وكبت حريات .. وابتزاز أموال .. وظلم وإجحاف .. ونحو ذلك، فمادام الحكم له والسلطة خاضعة لأمره ونهيه فهي الغاية المطلوبة وإنها لتبرر الوساطة، وإن كانت الوساطة إراقة دماء الألو ف .. بل وحتى الملايين جوراً وظلماً .. هذا هو منطق السياسة التي تمارس في أغلب بلاد العالم اليوم .

ولكي يظهر لنا مفهوم السياسة في الإسلام ومفهوم السياسة المعاصرة في أغلب البلاد في العالم، ولكي ينجلي لنا البون الشاسع بين السياستين، نضع أمامنا أمثلة وممارسات واقعية لكل واحد من السياستين .

من السياسة الإسلامية

فالسياسة الإسلامية كما أسلفنا بنيت على أسس العدل الكامل .. والكرامة الإنسانية .. والعفو يجنب الصمود والقوة :

الرئيس لا يقتل قاتله

فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حينما كان على عرش الرئاسة الكبرى للدولة الإسلامية العظمى التي كانت قد ضربت بخيوطها الممتدة على أعظم رقعة من المعمورة، والتي كانت ترعب كل الدول في العالم آنذاك، تراه يعرف قاتله، ويذكر له أنه هو القاتل له، لكنه لا يمد إليه يداً بعنف أبداً، لفلسفة العدل، وهي مادام أنه لم يمارس جنائية فلا يستحق القتل .

انظر النص التالي :

كان علي (عليه السلام) يقول لعبد الرحمن بن ملجم : أنت قاتلي وكان يكرر عليه هذا

البيت :

أريد حياته ويريد قتلي

عذيرك من خليلك من مراد

فيقول له ابن ملجم: يا أمير المؤمنين إذا عرفت ذلك مني فاقتلني .

فيقول له: إنه لا يحل ذلك أن أقتل رجلاً قبل أن يفعل بي شيئاً.

فسمعت الشيعة ذلك، فوثب مالك الأشتر، والحارث بن الأعور، وغيرهما من الشيعة،

فجردوا سيوفهم وقالوا: يا أمير المؤمنين من هذا... الذي تخاطبه بمثل هذا الخطاب مراراً وأنت

إمامنا وولينا، وابن عم نبينا، فمرنا بقتله؟

فقال لهم: اعمدوا سيوفكم، وبارك الله فيكم، ولا تشقوا عصاه هذه الأمة... أترون أنني

أقتل رجلاً لم يصنع بي شيئاً^(٢١)؟

يا لها من فلسفة؟

إنها فلسفة العدل والإنسانية..

إنها فلسفة الحكم والسياسة الإسلامية عند رئيس الدولة الإسلامية الإمام علي ابن أبي

طالب (عليه السلام).

«أترون أنني أقتل رجلاً لم يصنع بي شيئاً».

فإن منطق الإسلام ليس فيه قانون: (الغاية تبرر الوسيلة) مطلقاً..

بل فيه قانون بالعكس تماماً:

«لا يطاع الله من حيث يعصى».

يعني: السياسة الإسلامية التي هي طاعة لله تعالى، لا يجوز تحصيلها من طرق معصية الله،

وإراقة الدماء البريئة، وهدر الكرامات..

وأما مسألة علم الإمام (عليه السلام) فهذا بحث طويل، وله مجال آخر.

وإجماله:

هو أن علم الإمام الغيبي الإلهي الماورائي لا يؤثر في سلوكه وعمله الخارجي عادة وإلا لم

يتم الامتحان الذي لأجله خلق الله تعالى الخلق، ولم تتم الحجة التي لأجلها جعل الله تعالى

الإمام .

فالسُّلوك الخارجى للإمام (عليه السلام) فى نفسه ومع المجتمع يكون عادياً كسائر الناس، كما أن طبائعه البشرىة إنما هى كسائر الناس عادة .

«قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى» (٢٢) .

«وقالوا لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق» (٢٣) .

«ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون» (٢٤) .

تماماً مثل سلوك الله تعالى مع البشر، وهو القادر على كل شىء، والعالم بكل شىء .

فلو أراد الله سبحانه أن يدفع الظلم عن المظلوم، ويأخذ بيد الظالم حتى لا يظلم فكيف يتم

امتحان الناس؟

وكذلك تكون تصرفات النبى والإمام (عليهما الصلاة والسلام) الذين بقدره الله تعالى

وتعليم الله لهما علما الغيب .

الرئيس الأعلى يدع المهدد له

وقد ذكر فى الأحاديث الشريفة: أن علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) هدده بعض الخوارج

بالقتل فتركه وشأنه .

فقد أورد (المستدرک) عن (دعائم الإسلام):

أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أتى برجل سمع وهو يتواعد بالقتل، فقال (عليه

السلام):

«دعوه، فإن قتلنى فالحكم فيه لولى الدم» (٢٥) .

أى عفو عظيم هذا؟

أية سياسة إنسانية هذه؟

الرئيس الأعلى للبلاد الإسلامية ويده كل حول وطول يهدده بالقتل شخص عادى لم

يستحق أن يسجل اسمه فى التاريخ .

ثم لا يفعل به شيئاً؟

يؤتى به، وهو بين أمره ونهيه ثم يقول : دعوه!

وكم فرق بين مثل أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين قادة الدنيا الآخرين؟
فيإني أتذكر أن (عبد الكريم قاسم)^(٢٦) في العراق تلقى تهديداً بالقتل في بغداد، فاعتقل
في ساعته من الشارع الواحد مائتي شخص، ثم توالى الاعتقالات على إثر ذلك حتى نقل
أنها بلغت في تلك القصة خمسة آلاف شخص، ثم أعدم جماعة منهم، وأودع السجن آخرين،
وتولى تعذيب فئة ثالثة منهم، وبالتالي أطلق سراح عدد منهم ..

فكم من فرق بين هاتين السياستين : سياسة الإسلام، وسياسة الشيطان؟

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يقتل سلفاً رؤوس العناد

وقد تحدثت الأخبار والأحاديث الشريفة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان
أحياناً يخبر عن شخص بأنه سيحدث فتنة بين المسلمين أو سيبدع ديناً باطلاً، ثم لا يعمد إلى
قتله، ولا يميز للمسلمين أن يقتلوه .

وهذا يدخل في سياسة العفو العظيمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد مداه،
مما أتاح له تأسيس الحكومة الإسلامية في وسط عظيم من عواطف الناس .

فلو كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقتل هذا ويقتل ذاك، ولهذا السبب وذاك، لما
قام الإسلام، ولا استحكمت أصوله .

انظر إلى النصوص التالية:

١ : روى المفيد (رضي الله عنه) في (الإرشاد) قال :

«ولما قسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غنائم حنين، أقبل رجل طوال آدم، أجنأ،
بين عينيه أثر السجود، فسلم ولم يخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال : قد رأيته
وما صنعت في هذه الغنائم .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : وكيف رأيت؟

قال : لم أرك عدلت .

فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : ويلك إذالم يكن العدل عندي

فعند من يكون؟

فقال المسلمون: ألا نقتله؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): دعوه فإنه سيكون له أتباع يرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية، يقتلهم الله على يد أحب الخلق إليه من بعدي .
فقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فيمن قتل يوم النهروان^(٢٧) من الخوارج^(٢٨) .

٢: وفي إعلام الورى قال :

روى الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري قال :

بيننا نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقسم إذا أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ويلك من يعدل إن أنا لم أعدل ، وقد خبت أو خسرت إن أنا لم اعدل .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يرقون من الإسلام كما يبرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه وهو قد حه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قدذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدر، يخرجون على خير فرقة من الناس .

قال أبو سعيد : فأشهد أنني سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي نعت^(٢٩) .

وهكذا كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يقدم على قتل كل مفسد أو ضال أو

مبتدع قبل أن يتهياً في الناس جو تحمل قتله، بظهور فساده وضلاله وبدعته . . لكي لا يسبب قتله فساداً أكبر من وجوده .

وهذه هي الحكمة الإلهية في أن تخرج ضمائر الناس، فيتاح للجميع الامتحان .
ولذلك أمثلة عديدة في سيرة رسول الله وسيرة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلى آلهما) يجدها المتتبع لهما، وسنذكر بعضاً منها في طي المباحث الآتية إن شاء الله تعالى .

عفوه (صلى الله عليه وآله وسلم) عمن فر من الزحف

الفرار من الزحف من المعاصي الكبيرة، وقد وعد الله تعالى عليها النار، قال سبحانه: «ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير»^(٣٠) .

ومن يرتكب هذه المعصية الكبيرة يستحق التعزير شرعاً، لأنه لكل معصية، ولكن مع ذلك عفا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن المسلمين الذين فروا من الزحف يوم أحد وتركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحيداً في نفر قليل من أصحابه المخلصين . وهذا أصل عظيم من أصول السماحة والعفو في الإسلام، يستبقي به المسلمون في الإسلام ويطلب به الآخرون إلى الإسلام .

وقد أنزل الله تعالى في القرآن الحكيم العفو عنهم في آيتين من سورة آل عمران: «ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين»^(٣١) .

«إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلیم»^(٣٢) .

وقد ورد في الأحاديث الشريفة إن الفارين من الزحف عادوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واعتذروا منه لهذه الجريمة النكراء التي عرضت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله

وسلم) لشج جبهته الكريمة وشق شفته، كما في عديد من الأخبار والأحاديث، ولقتل حمزة سيد الشهداء عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحنظلة غسيل الملائكة والعشرات من المؤمنين المجاهدين. وهذه هي سياسة العفو العظيمة في الإسلام.

وثن لروعة النساء

وإليك مثلاً آخر لسياسة العدل العظيمة في الإسلام:

بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خالد بن الوليد مع جماعة من المسلمين في مهمة الدعوة إلى الإسلام إلى بني جذيمة وهم من بني المصطلق كان قد سبق أن أسلموا ولم يأمرهم بقتال^(٣٣)، فأوقع بهم خالد، وقتل منهم جماعة لتررة كانت بينه وبينهم، فبلغ الخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبكى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقام وصعد المنبر ورفع يديه إلى السماء وقال ثلاثاً:

(اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد).

(اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد).

(اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد).

ثم دعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) فدفع إليه سفظاً (صندوقاً) من الذهب وأمره أن يذهب إلى بني جذيمة ويدفع إليهم ديات الرقاب وما ذهب من أموالهم.

فجاء علي (عليه السلام) إليهم وقسم المال كما يلي:

١: دفع أولاً دية المقتولين ظلماً إلى ورثتهم، عن كل واحد منهم ألف دينار من الذهب^(٣٤).

٢: ودفع إليهم ثانياً ثمن كل جنين غرة (يعني عبداً أو أمة).

٣: ودفع إليهم ثالثاً ثمن ما فقدوه من المبالغ والعقل^(٣٥).

٤: ودفع إليهم رابعاً ثمن ما رما فقدوه مما لم يعلموا بفقدوه، مما يمكن أن أخذه خالد أو من كان معه أو مما تلف أثناء القتال.

٥: ودفع إليهم خامساً ثماناً لروعة نسائهم وفتح صبيانهم .

٦: ودفع إليهم سادساً مقابل كل مال فقدوه مثله من المال .

٧: ودفع إليهم سابعاً بقيمة المال ليرضوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

٨: ودفع إليهم ثامناً ما يفرح به عيالهم وخدمهم بقدر ما حزنوا .

ثم رجع علي (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبره بما فعل من توزيع الذهب عليهم بثمانية أقسام، فقال: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمدت فأعطيت لكل دم دية، ولكل جنين غرة، ولكل مال مالا، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم وحبلة رعائهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفتح صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون وما لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله، فتهلل وجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وضحك حتى بدت نواجذه وقال: يا علي أعطيتهم ليرضوا عني رضي الله عنك، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أن لا نبي بعدي^(٣٦) .

هذه هي فلسفة العدل والإحسان الذين يأمر بهما القرآن الحكيم:

«إن الله يأمر بالعدل والإحسان»^(٣٧) .

وتلك هي الكرامة الإنسانية المترابطة بين قول الله تعالى في القرآن حيث يقول: «ولقد كرمتنا

بني آدم»^(٣٨) وبين ما يفرضه حكم الله وتشريع السماء حدًا لذلك .

دية للقتلى، ودية أخرى للجنين، وثمان لما فقد، وثمان آخر لما ربما كان فقد مما لا يعلمونه، وثمان

لروعة النساء وفتح الصبيان، وثمان ليرضوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وماذا فعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من تقصير حتى يرضيهم؟

لا شيء أبداً، حاشاه، ثم حاشاه... .

كلما كان من تقصير فهو من خالد بن الوليد .

لكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نبي الرحمة .

«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»^(٣٩) .

فباعتبار أن خالداً أمر سل من عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يرى نبي الرحمة نفسه مسؤولاً عن ذلك .

(وهنا) يطرح سؤال : وهو إذا كان خالد بن الوليد قد قتل بني جذيمة عملاً لأحنة كانت في الجاهلية بينه وبينهم فلماذا لم يقتص منه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم، ويقتله بهم قصاصاً مع أن الدية تلو القصاص في قتل العمدة؟

والجواب عن ذلك بوجوه عديدة ذكرها بعض فقهاء الإسلام، نذكر عدداً منها:

١: إنه يشترط في القصاص أن يكون بطلب من ولي الدم، وحيث إن بني جذيمة وهم أولياء الدم لم يطلبوا القصاص انتقل الحكم إلى الدية .

٢: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما أنه هو الولي للجميع بالولاية المطلقة حتى لأولياء الدم وذلك بحكم القرآن الحكيم: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»^(٤١)، فكان للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعفو عن القصاص إلى الدية .

٣: إن تزامم المهم والأهم اقتضى ذلك بتقديم ترك القصاص على ما ربما كان يترتب عليه القصاص في تلك الظروف الخاصة بالرسالة وبالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث كان المسلمون على أبواب الفتح الإسلامي والنصر الواسع ودخول الناس في دين الله أفواجاً بعد فتح مكة مباشرة، فمثل هذا القصاص في تلك الظروف ربما كان يؤدي إلى رعب المسلمين وحدوث البلبلة فيهم مما كان أضرب على حاضر الإسلام ومستقبله .

وكم لذلك من نظائر في تاريخ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) مما سذكّر طرفاً منه في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى، والله العالم .

دية الحمل بترويع الحامل

أخرج الوسائل والمستدرک عن الشيوخ الكليني والطوسي والمفيد (قدس سرهم) في الكافي^(٤١) والتهذيب والإرشاد، عن أبي عبد الله الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال :

«كانت امرأة تؤتى^(٤٢) فبلغ ذلك عمر فبعث إليها، فروّعها وأمر أن يجاء بها إليه، ففزعت المرأة فأخذها الطلق فذهبت إلى بعض الدور فولدت غلاماً فاستهل الغلام ثم مات . فدخل عليه^(٤٣)

من روعة المرأة وموت الغلام ما شاء الله .

فقال له بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ما عليك من هذا شيء .

وقال بعضهم : وما هذا ؟

قال : سلوا أبا الحسن (عليه السلام) .

فقال لهم أبو الحسن (عليه السلام) : لئن كنتم اجتهدتم ما أصبتم، ولئن كنتم برأيكم

قلتم لقد أخطأتم^(٤٤) .

ثم قال (عليه السلام) : عليك دية الصبي بما أرعبتها .

فقال عمر لعلي (عليه السلام) : أنت نصحتني من بينهم^(٤٥) .

الدية للموت عطشاً

وأخرج المستدرک عن (الدعائم) عن علي (عليه السلام) :

«إنه قضى في رجل استسقى يوماً فلم يسقوه وتركوه حتى مات عطشاً بينهم وهم يجدون

الماء، فضمنهم ديته»^(٤٦) .

والطبيب ضامن إن أخطأ

وقد روى الوسائل والمستدرک أحاديث عديدة على أن الطبيب أو البيطار إن أخطأ

في تشخيص الداء، أو وصف الدواء، فمات المريض أو الحيوان كان ضامناً لدية المريض

والحيوان .

أخرج صاحب الوسائل عن الشيخين الكليني والطوسي (قدس سرهما) بأسانيدهما عن

الإمام الصادق (عليه السلام) :

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «من تطيب أو تبيطر فليأخذ البراءة من وليه، وإلا فهو له

ضامن»^(٤٧) .

وأخرج أيضاً عن الشيخ الطوسي (رضي الله عنه) بسنده عن أبي جعفر الباقر (عليه

السلام) قال : «إن علياً ضمن ختاناً قطع حشفة غلام»^(٤٨) .

وأخرج المستدرک عن كتاب الجعفریات بسنده عن الإمام زين العابدين (عليه السلام)

أنه قال : «إن علياً ضمن ختانة ختنت جارية فنزف الدم فماتت، فقال لها علي (عليه السلام) :
ويلاً لأملك أفلاً أبقيت، فضمنها علي (عليه السلام) دية الجارية»^(٤٩).

فهل يوجد في تاريخ العالم نظير لذلك، إلا في الإسلام؟
وهل يتحمل قادة الدول مثل ما يتحمل القادة في الإسلام؟
فدونك التاريخ، قلبه ظهراً لبطن، لكي تتأكد من الجواب :
لا.. ولا..

والأمثلة والنظراء لذلك كثيرة.. وكثيرة في تاريخ الإسلام، وليس هذا البحث المقتضب
مسرّحاً لتفاصيل بيان الإنسانية التي تتجلى بوضوح في مختلف مجالات السياسة
الإسلامية.

ومن السياسة المعاصرة

بعد ما لاحظت هذه النقاط في تاريخ الإسلام.. انظر نقاطاً من تاريخ الممارسة للسياسة
المعاصرة غير الإسلامية لترى الفرق الشاسع بين السياستين، وذلك بالإشارة الإجمالية دون
التفصيل إلى ذلك :

١ : البريطانيون قتلوا في الهند في قصة حرب الأفيون حوالي عشرين مليون إنسان^(٥٠).
٢ : البريطانيون قتلوا في الهند أيضاً أيام المطالبة بالحرية والخروج عن نير الاستعمار ثمانمائة
ألف إنسان في صورة مجاعة اصطناعية^(٥١).

٣ : من الجنايات العظيمة التي ارتكبها لينين^(٥٢) وحده من بين الشيوعية الأرقام التالية :
أ : لينين قائدة المسيرة الشيوعية السياسية أراد تطبيق نظام المزارع الجماعية، فلم يخضع
له الفلاحون والعمال، فأحدث إرهاباً عاماً في البلاد ومجاعة مصطنعة غريبة عام (١٩٢١)
١٩٢٢ م) والتي راح ضحيتها أكثر من خمسة عشر مليون إنسان^(٥٣).

ب : عاود لينين الكرة على العمال والفلاحين في إرغام الشعب على النظام الشيوعي عام
(١٩٢٨/١٩٣٠ م) فكافح الشعب وكانت النتيجة ما يلي :

«عملت منظمة (الجيبو) الإرهابية الشيوعية اللينينية في الناس ضرباً وقتلاً ونفياً، وامتلات

السجون حتى بلغت الضحايا باعتراف التقارير الرسمية للحزب الشيوعي مائة ألف قتيل». ج: وبعد مضي سنتين، وفي عام (١٩٣٢ ١٩٣٣ م) بالضبط شن لينين نفس الغارة على الشعب المسكين لتطبيق القانون الزراعي مهما كلف الأمر، وكانت النهاية كما يلي: «ضحايا تقدر بخمسة ملايين إنسان باعتراف الدوائر الرسمية الشيوعية»^(٥٤).

وعند ذلك وضع لينين أسس (الكلوخوزات) أي: نظام المزارع الجماعية الاشتراكية^(٥٥). وبعد هذه القسوة كلها يقف لينين ليعلن الدكتاتورية ويقيمها بكل وقاحة فيقول: «من لا يعترف بضرورة الدكتاتورية لكل طبقة ثورية لتأمين نجاحها لا يعرف شيئاً من تاريخ الثورة أو لا يريد أن يعرف شيئاً في هذا الحقل»^(٥٦).

٤: في الحرب العالمية الثانية راح ضحية الحكم والسيطرة فيها قرابة سبعين مليون إنسان بين قتيل وجريح ومعدوم ومعاق.

٥: الاستعمار الفرنسي قتل في الجزائر في حرب التحرير أكثر من مليون من البشر.

٦: في الحرب الفيتنامية قتل الأمريكيون من قيادة واحدة لـ (جياب) قرابة نصف مليون

إنسان.

وعلى هذا فقس ما سواها.

الفرق الشاسع

أرأيت الفرق الشاسع بين (السياسة الإسلامية) وبين (السياسة غير الإسلامية)؟ كيف

أن الإسلام في سياسته العملية لا يفوته ذعر امرأة، وهلع صبي، وعقال بعير، وميلغة كلب..

ولا يقتل الرئيس الأعلى قاتله قبل أن يظهر من القاتل ما يوجب القصاص.

هذا في الإسلام، وفي سياسته الإنسانية.

ورأيت كيف أن السياسة غير الإسلامية تستهين بالإنسان، والكرامة، والملايين، الملايين

من البشر.

وفي هذا الكتاب

وفي هذا الكتاب نضع مقتطفات موجزة عن السياسة الحكيمة لرسول الله (صلى الله عليه

وأله وسلم) ولأمير المؤمنين (عليه السلام)، التي هي خير مرآة لسياسة الإسلام، ولمعاصرة
عن الخطوط السياسية في الإسلام، في عامة المجالات الحيوية والإنسانية:

في المجال الاقتصادي .

والمجال الصحي .

والمجال الثقافي .

والحريات العادلة . ومكافحة الجرائم .

والضمان الاجتماعي الفريد .

والعمران والزراعة . والعلاقات الدولية .

وتكثير النفوس .

والسلام والحرب .

وفي مجال السياسة الخارجية .

والحدود والجمارك . وعن الجنسية والجواز والإقامة .

والحكومة العليا .

ليظهر لنا جلياً :

إن السياسة هي من واقع الإسلام .

وإن السياسة غير الإسلامية تأخرت عن السياسة الإسلامية تأخر الراجل الأقطع عن

الصواريخ والأقمار . . والله ولي الهداية والتوفيق .

«ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث

ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم»

(سورة الأعراف: ١٥٧)

٣. السياسة الحكيمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

كان رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سيداً لسانة العالم، وأكبر سياسي محنك، فهو تلميذ الله تعالى، وأستاذ جبرئيل، وسيد الأنبياء (عليهم السلام) ومعلم البشرية أجمعين .

وسياسته هي التي حيرت العقول، وأشخصت أبصار العالمين . .
وبهذه السياسة الحكيمة استطاع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يجمع حول الإسلام أكبر عدد ممكن من البشر، في مدة قصيرة أدهشت التاريخ وأنست الأولين والآخرين، وأركت حكماء العالم لها إجلالا وتقديراً . . مما لا يوجد في تاريخ العالم الطويل مثيل ولا نظير لها .

وهنا نسجل بعض النتف منها كنماذج ومقتطفات، لعل الله تعالى يوفق المسلمين في هذا العصر لانتهاجها، فيستعيدوا بلادهم المغتصبة، وحقوقهم المهدورة، وكرامتهم المهتوكة . .
وليسيروا العالم إلى الأمم، كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بدء الإسلام، وليشجعوا الأديان وغيرهم على اعتناق الإسلام بلهف ورغبة وشوق .

سياسة الاستقامة والصمود

أعلن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن هذا الصمود العظيم في بدء دعوته عندما بعث المشركون عمه أبا طالب^{٥٧} إليه يستميلونه ويطلبون منه التراجع عن ذلك . .
فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت»^(٥٧) .

ثم تابع (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الصمود الجبار بعمله في مختلف المجالات :

فأرادوا قتله عدة مرات، فصمد، قال تعالى: «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك»^(٥٨).

وقالوا: تركه ربه وقلاه، فصمد حتى أنزل الله تعالى فيه: «والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى»^(٥٩).

واستهزؤوا به، فصمد حتى أنزل الله تعالى عليه: «إنا كفيناك المستهزئين»^(٦٠).
ونسبوه إلى الجنون، فصمد حتى أنزل الله تعالى فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم * ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون»^(٦١).

ونسبوه إلى الشعر، فصمد حتى أنزل الله تعالى فيه: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين»^(٦٢).

ونسبوه إلى الكذب، فصمد فأنزل الله عليه: «يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين»^(٦٣).

ونسبوه إلى الكهانة، فصمد فأنزل الله سبحانه فيه قرآناً: «فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن»^(٦٤).

ومكروا به، فصمد وأنزل الله عليه: «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»^(٦٥).
وقالوا أساطير الأولين، فصمد وأنزل عز من قائل في ذلك: «قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض»^(٦٦).

وكذبه المنافقون، فصمد فأنزل الله تعالى: «إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار»^(٦٧).
وحادوه وشاكسوه، فصمد حتى أنزل الله تعالى: «إن الذين يجادلون الله ورسوله أولئك في الأذلين»^(٦٨).

وشجوا جبهته الكريمة، فصمد حتى أنزل الله سبحانه: «والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم»^(٦٩).

ورموه بالحراب، فصمد حتى أنزل الله عز من قائل: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة»^(٧٠).

كله صمود ..

وصمود .. وصمود .

سياسة الشجاعة

وضرب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) المثل الأعلى في سياسته الشجاعة التي لا تعرف الجبن والتقاعس .

فهذا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو الشجاع الذي لم، ولا، ولن يشق له غبار، الذي قال : «والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها»^(٧١) .

يقول : «كنا إذا اشتد البأس وحمي الوطيس، اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولذنا به»^(٧٢) .

وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام) : «كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه»^(٧٣) .

وعنه (عليه السلام) أيضاً : «لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً»^(٧٤) .

والنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) في معركة حنين فر عنه معظم أصحابه، وجعل المشركون يقتربون من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يريدون الوصول إليه وقتله، وكان يدافع عنه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في ذلك الموقف الرهيب ..

في مثل هذا المأزق الذي انهزم فيه الشجعان خاض النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الساحة بشجاعة فائقة وهو يقول :

«أنا النبى لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب»^(٧٥) .

وقد أنزل الله تعالى في ذلك آيات عديدة من القرآن الكريم، منها قوله سبحانه : «إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمّاً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون»^(٧٦) .

والنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي قال في شجاعته عمران بن حصين كلمته

المعروفة:

«ما لقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتيبة إلا كان أول من يضرب»^(٧٧).

وقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المقدم في كل فزع ونائبة ورعب.

فكان ذلك يبعث الشجاعة في المسلمين، فإن إقدام القائد الشجاع يجعل القاعدة شجاعة

ذات إقدام وصمود.

روى الشيخ الطبرسي في (مكارم الأخلاق) عن أنس بن مالك أنه قال: «كان في المدينة

فزع فركب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فرساً لأبي طلحة فقال (صلى الله عليه وآله

وسلم): ما رأينا من شيء وإن وجدناه لبحراً»^(٧٨).

وفي رواية أخرى عن أنس قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أشجع الناس،

وأحسن الناس، وأجود الناس، قال: قد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت.

قال: فتلقاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد سبقهم وهو يقول: لم تراعوا، وهو

على فرس لأبي طلحة وفي عنقه السيف . .

قال: فجعل يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) للناس: لم تراعوا وجدناه بحراً أو إنه

لبحر»^(٧٩).

(البحر) له معان، والمناسب منها لما نحن فيه هو: الفرس الواسع الجريء الذي فسربه

في كتب اللغة^(٨٠).

وبذلك فسره هذا الحديث الشريف في صحاح اللغة^(٨١).

والذي يستفاد من ذلك: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان دائم الحذر، ودائم

الانتباه لكل ما يحدث أو يجري حوله بحيث يكون هو أول من يصل مكان الحادث، ويأتي

المسلمون فيصلون بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ذلك المكان، وهذه هي

السياسة الشجاعة التي قلما يذكر التاريخ له نظراء في القادة والساسة.

وليس على قادة المسلمين من أتباع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أن يتخذوا

مثل ذلك شعارهم الذي يعرفون به حتى يكون المسلمون باطمئنان في وصولهم إلى الغاية في

مسيرتهم السياسية الطويلة والشائكة .

فالأمم ترمق إلى قادتها، وتتبلور في حياتها السياسية بأسلوب قادتها، فالقادة الشجعان تربى الأمة الشجاعة، والعكس بالعكس .

سياسة العفو العظيم

ما أعظم عفو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الأعداء؟

فقد مثل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عفو الإسلام خير تمثيل .

وأفهم الجميع أن الإسلام جاء يريد الخير للجميع، لأولياته وأعدائه جميعاً، وليس ديناً يحقد على أحد، وليست بعض ممارساته الصارمة نابعة عن القسوة، أو الحنق، وإنما هي نابعة عن روح تعميم العدالة على الجميع، وإليك أمثلة على ذلك .

مع غورث بن الحارث

كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نائماً في وقت الضحى نوم القيلولة في بعض غزواته في

ظل شجرة، وحده بعيداً عن أصحابه، وكانوا هم أيضاً قائلون ..

فجاءه (غورث بن الحارث) ووقف على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مصلاً سيفه

رافعاً يده على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصاح به :

من يمنعك مني يا أبا القاسم؟

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : الله .

فسقط السيف من يده، فبدر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى السيف وأخذه ورفع

على غورث قائلاً له :

يا غورث من يمنعك مني الآن؟

فقال : عفوك، وكن خير أخذ .

فتركه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعفا عنه .

فجاء إلى قومه وقال لهم : «والله جئتكم من عند خير الناس»^(٨٢) .

فهل يذكر التاريخ عن العظماء مثل هذه القصة .

عدو في طريق الحرب، مصلاً سيفه، يريد قتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشراسة ووقاحة، وتسلب قدرته من دون اختياره، فيملك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) السيف . . ثم يعفو عنه؟

إنه عفو الإسلام الذي تجسد في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

اللهم اهد قومي

اشتد أذى المشركين للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد إذ قتل عمه حمزة، ومثّل بجسده الشريف، وقطع كبده وأصابع يديه ورجليه، وجدع أنفه، وصلموا أذنيه . . وفعل به ما فعل، وقتل العشرات من المسلمين . .

فتقدم بعض الصحابة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واقترح عليه أن يدعو على المشركين ليعذبهم الله بعذاب من عنده، كما كان يعذب المشركين الأولين بدعوة أنبيائهم عليهم . .

لكنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسياسة العفو العظيمة، فامتنع من ذلك وقال : «إني لم أبعث لعاناً، ولكن بعثت داعياً ورحمة». «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»^(٨٣).

عفو عن الأعرابي

جاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والبرد على كتفيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فجذب الأعرابي أطراف الرداء جذابة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه وهو يقول بخشونة بالغة :

يا محمد، احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك . .

فسكت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هنيئاً ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : المال مال الله وأنا عبده . .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي؟

قال : لا ؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ولم ؟

قال : لأنك تعفو، وتصفح، ولا تكافئ بالسيئة السيئة .

فضحك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أمر (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يحمل له

على بعير شعير وعلى الآخر تمر^(٨٤) .

وبمثل هذا العفو جمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس حول الإسلام واستقطب

مختلف الفئات وأصحاب العديد من الأديان والمبادئ .

فأنتم الطلقاء

ومن عظيم عفوه (صلى الله عليه وآله وسلم) معاملته مع أهل مكة .

أهل الشرك والكفر . .

أهل الجحود والعصبية . .

أهل الفساد والظلم . .

أهل القسوة والغلظة . .

الذين قتلوا أصحابه، وأنصاره، وأقرباءه في عشرات الحروب .

والذين أخرجوه (صلى الله عليه وآله وسلم) من مسقط رأسه الشريف وبلد الله وبلد آبائه،

ومحل عبادته نصف قرن .

والذين عذبوا المهاجرين بأنواع التعذيب، وقتلوا العديد منهم .

والذين تأمروا على قتله (صلى الله عليه وآله وسلم) عدة مرات وكلها باءت بالفشل .

والذين مارسوا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنصاره كل أنواع المظالم

والفضاضة . .

هؤلاء . . جاءهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاتحاً منتصراً عليهم . .

أترى ماذا كان يفعل إنسان آخر لو كان في موقع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

إنه بلا شك كان يقيم مجزرة رهيبة . .

فالموجودون هم الظالمون بأنفسهم لا أبناءهم .

أبو سفيان .. وهند، وأضرابهما من الرجال والنساء .

ولكن في فتح مكة عندما حمل الراية سعد بن عباد وجعل يرفل في طرقات مكة ويهز

الراية وينادي :

«اليوم يوم الملحمة» «اليوم تسبى الحرمة»^(٨٥) .

يقصد بذلك : إننا سنكثر من القتل في أهل مكة حتى تتراكم جثث ولحوم القتلى بعضها

على بعض، وإلى جنب بعض، وسنسبى نساء مكة سبي الكفار المحاربين .

وكان أهل مكة يتوقعون مثل هذا الصنيع من مثل هذا الجيش المطرود أفراداً من مكة

سنوات طوال، والمعذب من قبل أهل مكة هؤلاء، والمهدور حرمتهم وأموالهم وكراماتهم من

قبل هؤلاء أنفسهم .

ولو كان أهل مكة هم بمكان الجيش الإسلامي، وكانوا هم المنتصرين على المسلمين

لصنعوا بهم أسوأ من هذا الصنيع ..

وبالفعل كان قد سبق أهل مكة إلى (الملحمة) (وسبى الحرمة) قصاصاً منهم قبل الجناية،

فكيف بأهل مكة لو كان لهم حق القصاص في ذلك .

أكيداً كان أهل مكة يبيدون المسلمين لو كانوا بمكان المسلمين، وكانت القضية معاكسة ..

لكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول الرحمة، رسول العفو، رسول الإنسانية،

رسول الإسلام .. أبى ذلك أشد الإباء .

بل بالعكس سجل نقطة مشرفة في تاريخ الإسلام والإنسانية، فأمر الصحابي المنادي

بالقفول ..

وأمر أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) بحمل الراية وأن يدخل مكة برفق وهدوء وأن ينادي

في أهل مكة بلين ولطف بعكس ذلك النداء .

ونادى علي (عليه السلام) في طرقات مكة : وهو يكرر النداء :-

«اليوم يوم الرحمة» «اليوم تصان الحرمة» .

ثم جمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أهل مكة، فنادى فيهم: ما تقولون إنني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أقول لكم كما قال أخي يوسف (عليه السلام) «لا تثريب عليكم»^(٨٦).

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أبيها الناس: من قال لا إله إلا الله فهو آمن»..

«ومن دخل الكعبة فهو آمن»..

«ومن أغلق بابه وكف يده فهو آمن»..

«ومن ألقى سلاحه فهو آمن»..

«ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»..

«ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن»^(٨٧).

عفوهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أبي سفيان

لما دخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة المكرمة وجاءه أبو سفيان وكل أصحابه

العشر تقطر من دماء أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه..

وملئ قلبه الحقد والحنق على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والإسلام.

وملئ عينيه الشر والدمار. ولم يكن أي إنسان في موقف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

وسلم) إلا ويواجه مثل (أبي سفيان) شيخ المؤامرات والفساد بأقسى مواجهة وينكل به أشد

تنكيل.. لكن صنيع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان بالعكس..

فعفاه، وصفح وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في رفق ولطف له: «أما أن لك أن تشهد

أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»؟

فقال: بأبي أنت وأمي ما أكرمك، وأوصلك، وأحلمك^(٨٨).

وعن اليهودية

روى الشيخ الكليني (رضي الله عنه) في الكافي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال :
«إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتى باليهودية التي سمت الشاة للنبي (صلى الله
عليه وآله وسلم) فقال لها : ما حملك على ما صنعت ؟

فقلت : قلت إن كان نبياً لم يضره، وإن كان ملكاً أرحت الناس منه .

قال (عليه السلام) : فعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنها»^(٨٩) .

أترى أي ملك، أو رئيس يعفو عن شخص أقدم على مثل هذا الجرم؟

هل تجد لهذه القصة في غير الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) مثيلاً؟

كلا..

ثم كلا..

إنها النبوة .

إنها الارتباط الوثيق بالخالق .

إنه العفو الذي بلغ منتهاه .

وبالتالي : إنه الإسلام جامع كل الفضائل والخصال الحميدة في أقصى أقصاها ..

وأي رئيس إسلامي يكون على خط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسوف يكون

هكذا .

وأمثلة العفو من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيرة .. وكثيرة جداً، وإحصاؤها

يستدعي مجلداً خاصاً .

سياسة إكرام الوفود

وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مضرب المثل في إكرامه للوفود التي تدخل

عليه من القبائل والعشائر، وحتى من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، فيكرمهم

ويحترمهم ..

ذكر في التاريخ : أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يرحب بالوفود بشخصه، ويوسع

لرؤسائهم في المجالس، ويجلس إليهم، ويؤنسهم في الحديث، ويتلقاهم بالبشر وطلاقة الوجه،

ويكلمهم باللين والرفق واللفظ، ويسألهم عن أهاليهم وبلادهم، ويدعو لهم، ويغير الأسماء غير الجميلة منهم إلى أسماء حسنة، ويحلم عن جاهلهم، ويعفو عن مسيئهم.
ويطلق الأسرى منهم عندما يدخل وفد ويطلب ذلك من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويرجعهم إلى أهاليهم.
وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا قدم الوفد أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك احتراماً لهم.

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يمنحهم الجوائز، والأرزاق، والملابس، ونحوها.
وبكلمة مختصرة: كان (صلى الله عليه وآله وسلم) الوحيد في التاريخ الذي يفعل هذه الأفاعيل في مثل تلك الظروف القاسية الصعبة.
وهذه الممارسات الكريمة كانت تحمل الكثيرة منهم على اعتناق الإسلام، وترك مذاهبهم الباطلة وعبادة الأوثان والأديان المنحرفة.
وقد سجل التاريخ الكثير من ذلك، ونحن نقتطف بعضاً منها كنماذج في اختصار وإيجاز^(٩٠):

١: وفد مزينة

جاءوا إلى المدينة، ودخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعددهم أربعمائة رجل، فمنحهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الجوائز، وأكرمهم بهذه الجملة، قال لهم: «أنتم مهاجرون حيث كنتم، فارجعوا إلى أموالكم».
فرجعوا إلى بلادهم، وجعلوا يدعون بقية قومهم إلى الإسلام.

٢: وفد جهينة

أتوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلموا عليه، فأواهم، ومنحهم جوائز وسألهم من أأنتم؟
قالوا: بنو غيلان.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): بل أنتم بنو رشدان.

وكان اسم واديهم (غوى) فسماه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (رشدًا).
وخط لهم مسجدهم.

فرجعوا إلى بيوتهم وهم يدعون إلى الإسلام.

٣: وفد أشجع

جاءوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأكرمهم ووادعهم، وأضافهم، فأسلموا على إثر ذلك، وكانوا بضع مئآت، فرجعوا وهم مئآت من الداعية الصامدة.

٤: وفد ثعلبة

أنزلهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالضيافة، وأعطاهم الجوائز، فرجعوا منه فرحين راضين داعين إلى الله تعالى.

٥: وفد تميم

جاءوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في وساطة لفك أسراهم الذين أسرهم جيش المسلمين في الحروب الإسلامية مع الكفار، فدخلوا المدينة وأتوا خلف دار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في بيته: فصاحوا وهم أكثر من ثمانين رجلاً من رؤساء تميم -: يا محمد أخرج إلينا، فنزل قوله تعالى: «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون»^(٩١).
فأكرمهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واحترمهم، ورد عليهم أسراهم، ومنحهم الجوائز بعد ما أضافهم. فرجعوا دعاة إلى الله والإسلام.

٦: وفد فزارة

أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم بضعة عشرة رجلاً، فرحب بهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأضافهم، وأكرمهم. وكانوا في جذب، فسألوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله وسلم) الدعاء لهم، وشكوا إليه قلة المياه، فدعا لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واستجاب الله دعاءه، فأنتهم السماء بماء منهمر، فسقوا أي سقي.

٧: وفد محارب

كانوا عشرة نفر جاءوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأسلموا، وأكرمهم النبي (صلى

الله عليه وآله وسلم) ومنحهم الجوائز، فتكفلوا له (صلى الله عليه وآله وسلم) إسلام من ورائهم من أقربائهم .

٨: وفد كلاب

ثلاثة عشر رجلاً، جاءوا مسلمين، وسلّموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بسلام الإسلام : (السلام عليكم)، فأكرمهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورحب بهم، وأعطاهم الجوائز .

٩: وفد عقيل بن كعب

سبعة نفر، وقد أسلموا، وأغدق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم العطاء والهبات، فرجعوا راضين مرضيين دعاة إلى الإسلام لقومهم ولغير قومهم .

١٠: وفد بني البكاء

جاءوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأمر لهم بمنزل، وضيافة، ومنحهم الجوائز، ودعا لهم بالخير والبركة .

فرجعوا من عنده (صلى الله عليه وآله وسلم) موفورين، مرضيين، يدعون الناس إلى عالمي خلق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفضائله .

١١: وفد سليم

جاء أحدهم أولاً إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واسمه قيس بن نسيبة، فسمع كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورأى خلقه الكريم، وانجذب إلى فضائله ولطفه، فأسلم ورجع إلى قومه داعية إلى الله، فقام فيهم خطيباً وقال :

«قد سمعت ترجمة الروم، وهيمنة فارس، وأشعار العرب، وكهانة الكاهن، وكلام البلغاء، فما يشبه كلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً من كلامهم» .

وركز في الدعوة، وبالغ في تشجيع قومه إلى الإسلام، وجعل يحملهم على الإسلام واحداً بعد آخر، زرافات ووحداناً .

حتى جاء عام الفتح ومعه سبعمائة، بين من أسلموا على يدي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

وسلم) وبين من جددوا إسلامهم عنده (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن جميل ما حفظه التاريخ لبني سليم:

إن (راشدا) من بني سليم كان سادناً وحافظاً لصنم من أصنام بني سليم وكان النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم) قد أمرهم على عادته بكسر الأصنام، فرأى راشد ثعلباً ذكراً

ويقال له الثعلبان يبول على رأس الصنم، فأنشد هذا البيت:

أرب يبول الثعلبان برأسه

لقد ذل من بالثعلب عليه الثعالب

ثم شد (راشد) إلى الصنم فكسره.

وجاء إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ..

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما اسمك؟

قال: غاوي بن عبد العزى.

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): بل أنت راشد بن عبد ربه.

فأسلم الرجل لما لقي من خلق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمع من لزيد

كلامه وقرآنه، ورجع يدعو الآخرين إلى الإسلام.

١٢: وفد عامر بن صعصعة

أتوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلموا عليه، فقال لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

وسلم): من أنتم؟

قالوا: بنو عامر بن صعصعة.

فرحب بهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمرهم بكسر الأصنام، وعبادة الله الواحد

الأحد، وعلمهم بعض فرائض الإسلام، وأكرمهم، وأعزهم.

فرجعوا إلى قومهم مسلمين داعين إلى الإسلام.

١٣: وفد عبد القيس

كتب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أهل البحرين أن يقدم عليه عشرون رجلاً

منهم .

فقدموا، فأعزهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأكرمهم، وأضافهم فترة، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «نعم القوم قوم عبد القيس بن ربيعة، اللهم اغفر لعبد القيس». وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لرئيسهم عبد الله: «إن فيك خصلتين يجبهما الله: الحلم والأناة».

وعلمهم من القرآن، وأحكام الإسلام، والآداب وفضائل الأخلاق، ومنحهم الجوائز، وودّعهم .

فرجعوا دعاء إلى الله والإسلام .

١٤: وفد تغلب

وردوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم مسلمون وفيهم نصارى، فأكرمهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جميعاً، وتلقاهم بالبشر وطلاقة الوجه، وكانت النصارى قد علقوا عليهم صلبان الذهب .

فصالح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) النصارى على الجزية .

وأجاز المسلمين بجوائز ومنح .

فرجعوا جميعاً يذكرون أخلاق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفضائله لأقوامهم .

١٥: وفد بني حنيفة

وفدوا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم غير مسلمين، ورأوا أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإكرامه لهم، وتواضعه وهدية، ومنحهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمنح والهدايا والجوائز، وعلمهم بعض أحكام الإسلام، وشرائع الدين، والفضائل والآداب، فرجعوا مسلمين ودعاة إلى الإسلام .

١٦: وفد طيء

جاءوا إلى المدينة ودخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورأوا حسن لقائه بهم، وأثر كلامه وفعاله فيهم، فأسلموا جميعاً وأكرمهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمر

بإضافتهم، ومنحهم الجوائز، فرجعوا موفورين .

١٧: وفد نجيب

وردوا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسلمين لما سمعوا عنه وبلغهم من صدقه وأمانته ومعجزاته، فأكرمهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: «مرحباً بكم». وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم وجوائزهم .

١٨: وفد سعد هذيم

جاءوا المدينة مشركين، ورأوا أخلاق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الفاضلة، ومداراته الحسنة لهم، وإكرامه لهم، وإعزازه، فأسلموا جميعاً، وبايعوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الطاعة في كل أمر ونهي، في السلم والحرب، والمال والأهل والأولاد. ثم جعل (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم أميراً يوجههم إلى طاعة الله ويحكم فيهم بحكم الله تعالى .

وجعلهم رسله إلى قومهم يدعونهم إلى الإسلام .
فعملوا، وما مضى شيء حتى أسلم قومهم على أيدي هذا الوفد .

١٩: وفد بلى

جاءوا المدينة وهم كفار، ودخلوا على ابن قومهم (رويفع بن ثابت البلوي) الذي سبق أن كان قد أسلم، فأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بإضافتهم، وإكرامهم .
ثم جاءوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأسلموا ماراً من عظيم خلقه وجميل عشيرته، وتفقهوا في الدين وتعلموا بعض أحكام الإسلام ومعالم الحلال والحرام . ثم منحهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الجوائز والهبات، فرجعوا إلى قومهم موفورين داعين إلى الله تعالى، ودخل بسببهم في الإسلام الكثير من قومهم .

٢٠: وفد بهراء من اليمن

دخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجذبتهم أخلاقه الكريمة وطيب مخالطته، فأسلموا كلهم، وتعلموا بعض الفرائض، ولما قفلوا راجعين إلى قومهم، منحهم النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم) الجوائز ووهب لهم الهبات، وجعلهم رسله إلى قومهم، ففعلوا، وأسلم كثير منهم على أيديهم .

٢١: وفد الأزدي

أتوا المدينة، ودخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أسلموا كلهم، وكان فيما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم: «مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً، وأصدقاه لقاءً، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانة» .

وجعل شعارهم مبروراً، ومنحهم الهدايا والجوائز، فرجعوا موفورين داعين قومهم إلى الإسلام .

٢٢: وفد همدان

دخلوا عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فشجعهم بهذه الكلمات :

«نعم الحى همدان، ما أسرعها إلى النصر، وأصبرها على الجهد» .

وأكرمهم وأمر بضيافتهم، ومنحهم الجوائز . فأسلموا جميعاً، ورجعوا إلى بلادهم دعاة إلى الإسلام وإلى رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) .

٢٣: وفد عامد

دخلوا المدينة وهم كفار، وكانت الوفود بها عديدة، فنزلوا بـ (بقيع الغرقد) مقبرة أهل المدينة، ثم لبسوا جميل ثيابهم وتطهروا وانطلقوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما لقوا منه الإكرام والإعزاز، وحسن الاستقبال منهم ولين العريكة، أسلموا وتعلموا شيئاً من القرآن .

فلما أرادوا الرجوع أجازهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الجوائز، ومنح لهم الهدايا، فعادوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإسلام .

٢٤: وفد النخعي

الذي منهم مالك الأشتر النخعي، جاءوا من اليمن ودخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدعا لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه الجملة :

«اللهم بارك بالنخع».

فراًوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجميل معاملته، فأسلموا، وأسلموا عن قومهم باعتبارهم وكلاء ونواباً عنهم، فأجازهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعطاهم الهدايا، فرجعوا إلى قومهم.

وبعد مدة، وفد من قومهم مائتارجل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مقرين بالإسلام، خاضعين لأحكامه.

فزاد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في إكرامهم واحترامهم ودعا لهم بالخير.

٢٥: وفد الرهاويين

وهم حي من مذحج، دخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونظروا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجميل محياه، وجميل منطقته، وجميل عمله، وجميل معاملته معهم، فأسلموا كلهم، وتعلموا بعض سور القرآن، وأهدوا الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هدايا، وأهدى لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هدايا، ورجعوا إلى قومهم دعاة إلى الإسلام.

٢٦: وفد حضرموت

دخلوا المدينة ووردوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم ملوك حضرموت، ورئيسهم (وائل بن حجر الحضرمي) قال للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): جئت راغباً في الإسلام والهجرة.

فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن ينادي في المسلمين: «الصلاة جامعة». احتفاءً بالوفد، وإكراماً لهم، ودعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له ولهم، واجتمع المسلمون في المسجد، وتلقوا الوفد بالبشر والتحية والاحترام الكثير.

ثم أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بضيافتهم، وإعطائهم الجوائز، والإغداق عليهم، بعد أن أطاب لهم الكلام، وأطاب لهم المجلس، وأطاب لهم الصنيع، فأسلموا كلهم وودعوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورجعوا إلى أقوامهم يدعونهم إلى الإسلام.

٢٧: وفد كندة

جاءوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واحتفى بهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمر المسلمين بالاحتفاء بهم، وإكرامهم. فأضافهم المسلمون وزادوا في احترامهم. ثم منحوهم العطايا والهبات. فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم دعاة إلى الله.

٢٨: وفد أسلم

جاءوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أسلموا، قائلين: «أما بالله ورسوله». فقال لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «أسلم سالمها الله». وكتب لهم كتاباً في بيان الصدقة وبعض الفرائض، ومنحهم الجوائز وأغدق عليهم العطاء، فرجعوا إلى قومهم دعاة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأسلم بسببهم كثير من قومهم.

٢٩: وفد جيشان

جاءوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأكرمهم وعظّمهم، وأمر المسلمين باستقبالهم وإضافتهم، ففعلوا، وأسلموا على يدي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصلّوا معه، ثم رجعوا إلى حيهم دعاة إلى الله.

هذه كانت نماذج من الوفود التي وفدت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعض صنيع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهم، وسياسته الجامعة معهم، وجلبهم إلى الإسلام وإلى الله، وتأليف قلوبهم. وهناك المئات.. والمئات من الوفود التي كانت تفد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيعاملهم بمثل هذه المعاملات الحسنة.

وبهذه السياسة الحكيمة، والسياسة الاستيعابية، وسياسة جمع المتفرقات، وسياسة الإغضاء عن السيئات، وسياسة إظهار الحسنات.. استطاع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يربي من أولئك الناس الذي سماهم الله تعالى وسماهم التاريخ بـ(الجاهلية) إيغالاً

منهم في الجهل المركب ..

جهل في كل الوجوه، ومن جميع الجهات والجوانب.

جهل في التربية، و جهل في المعرفة، و جهل في المعلومات، و جهل في القراءة والكتابة،
و جهل في المعاشرة، و جهل في السقي والرعي، و جهل في السلم والحرب .. وبالتالي جهل في
كل شيء .. وفي كل شيء ..

استطاع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبهذه السياسة الرشيدة أن يخلق منهم أمة
عظيمة بهرت التاريخ، و حيرت العقلاء .

حتى إن الله تعالى الذي وصفهم قبل الإسلام بـ(الجاهلية)^(٩٢) عاد فوصفهم بعد الإسلام
بـ(خير أمة) حيث يقول في القرآن الحكيم: «كنتم خير أمة أخرجت للناس»^(٩٣).

وهكذا يجب على المسلمين أن تكون معاملتهم ومعاشرتهم في هذا العصر الذي فتح الكفر
أفواه من كل جانب لا بتلاع الإسلام والمسلمين، وهضمهم، وإبادتهم ..

فتكون سياسة المسلمين سياسة الاحتواء والجمع والإغضاء والتشجيع، حتى يعود
المسلمون قوة قاهرة لا يمكن قهرها، بإذن الله تعالى .

سياسة الوفاء

سياسة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التي هي بمعناها الصحيح: إدارة البلاد
والعباد كما يجب الله تعالى ويرضاه كانت مبنية أيضاً على الوفاء بالوعد، والالتزام بالقول،
والوفاء الخلقي .

وقد ذكر المؤرخون الكثير من القصص الرائعة في ذلك، نذكر عدداً منها كنماذج:

انتظار ثلاث ليال

في مكة المكرمة، وقبل البعثة تواعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع شخص أن
ينتظره حتى يجيء ذلك الشخص، فراح الرجل، ونسي وعده، وترك النبي (صلى الله عليه
وآله وسلم) يترقبه ثلاث ليال في المكان نفسه .

وبعد ثلاث جاء الفتى ليجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يزال في انتظاره

بمكانه^(٩٤) .

صديقة خديجة (عليها السلام)

ذكروا: أنه كانت لخديجة أم المؤمنين (عليها السلام) امرأة صديقة لها حين تركها أقرباؤها ونساؤها وقريش كلهم، فكانت تتعاهد خديجة وتأتيها، وتؤنسها من الوحدة .

فلما توفيت خديجة (عليها السلام) كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يرسل بالهدايا إلى تلك المرأة وفاءً لها، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول :

«إنها كانت تحب خديجة، إنها كانت تأتينا من خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»^(٩٥) .

وفد النجاشي

وذكروا: أنه جاء وفد من قبل النجاشي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأضافهم، وأكرمهم، واحترمهم ..

وقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحضر لهم بعض الحاجات بنفسه الكريمة .

فقال له بعض الأصحاب : نحن نكفيك ذلك .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم^(٩٦) .

مع أبويه من الرضاة

وذكروا: أنه وفد إليه أبواه من الرضاة، وأخوه من الرضاة، فضم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخاه من الرضاة إليه وأكرمه واحترمه، وفرش ثوبه لأبويه، ووصلهم بالهدايا، ومنح لهم المنح، وكذلك فعل (صلى الله عليه وآله وسلم) بأخته من الرضاة (الشيماة)^(٩٧) .

عود مع الأنصار

ولما فتح الله تعالى لرسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة المكرمة لم يبق فيها ويترك الأنصار يعودون إلى المدينة لوحدهم، فيكون قد شاركهم مادام في العسرة فإذا تم الفتح تركهم ..

بل أمر على مكة بعض أصحابه، وقفل راجعاً إلى المدينة بصحبة الأنصار الذين اتبعوه في

ساعة العسرة، وأووّه ونصروه.

بالرغم من أن مكة كانت مسقط رأسه الشريف، وبلده الذي قضى فيه أكثر من خمسين عاماً، وبلد آبائه، وفيها الكعبة، وأضرحة آبائه وأجداده وآثارهم، وآثار الأنبياء السابقين من آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل (عليهم الصلاة والسلام) وغيرهم. كل ذلك وفاءً للأنصار.
وقال: «اليوم بروفاء».

ثم توجه إلى الأنصار قائلاً: «المحيا محياكم، والممات مماتكم»^(٩٨).

وهذا هو الفريد من نوعه في تاريخ العظماء والقادة والثوار، فإنهم إذا أخرجوا من ديارهم نتيجة الثورة فإذا قضوا على الزمرة الظالمة عادوا إلى ديارهم، إلا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يعد إلى مكة المكرمة ليبقى فيها.

بل رجع إلى المدينة المنورة مع الأنصار، وبقي فيها حتى توفاه الله تعالى والتحق بالرفيق الأعلى، ولم يسكن في مكة المكرمة، ولم يبيت فيها ليلة واحدة.

سياسة الرحمة الشاملة

وقد ضرب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الرقم الأول في التاريخ كله في الرحمة بما لا مثيل لها في تاريخ أي عظيم وقائد.

وفيما يلي نذكر أمثلة كنماذج من ألوف أمثالها المذكورة في كتب التاريخ:

مع الأعرابي

وفد أعرابي على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يطلب منه شيئاً، فأعطاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له: أحسنت إليك؟

قال الأعرابي: لا، ولا أجملت.

وذلك في مجلس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبمحضر من أصحابه المهاجرين والأنصار، فغضب المسلمون، وشق عليهم تحمل هذه القسوة من الأعرابي، فقام إليه بعض الصحابة ليوبخه ويؤنبه.

فأشار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم: أن كفوا.

ثم قام (صلى الله عليه وآله وسلم) ودخل منزله وأرسل إليه وزاده، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) له: أحسنت إليك؟

قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فودع الأعرابي وخرج.
ثم توجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أصحابه قائلاً: «مثلي ومثل هذا، مثل رجل له ناقة شردت عليه، فأتبعها الناس، فلم يزلها إلا نفوراً، فناداهم صاحبها: خلوا بيني وبين ناقتي فإنني أرفق بها منكم وأعلم. فتوجه إليها ووقف بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردها حتى جاءت واستناخت، وشد رجلها واستوى عليها. وإنني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار»^(٩٩).

يالها من رحمة عظيمة، لا تجد نظيرها في غير تاريخ الرسالة أو الولاية.

رحمة بقومه

لما كذّب المشركون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأذوه، وبصقوا في وجهه الكريم، وداسوا عنقه، وقاطعوه، وقتلوا أصحابه، وعذبوهم، وشردوهم، وتتبعوهم تحت كل حجر ومدبر..

وفعلوا ما فعلوا به (صلى الله عليه وآله وسلم) طوال السنين الصعاب..
حينذاك نزل عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) جبرئيل (عليه السلام) من عند الله تعالى قائلاً:

«إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم».

فناداه (صلى الله عليه وآله وسلم) ملك الجبال وسلّم عليه وقال: «مرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين».

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً»^(١٠٠).

تخفيف الصلاة

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا صلى لوحده أطال في صلاته وأكثر في أذكار الركوع والسجود، وقراءة القرآن، والتسبيح والتحميد، والتهليل والتكبير . . .

وإذا صلى جماعة خفف فيها . حتى ورد في الحديث الشريف : «أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أخف صلاة إذا صلى جماعة، وأطول صلاة إذا صلى لوحده»^(١٠١) .

وذكروا : أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يخفف من صلاته رحمة بالأطفال الذين يأتون المسجد مع أمهاتهم^(١٠٢) .

قصر الموعظة

وذكروا : أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقصر من مواعظه خشية السأمة على أصحابه، فلا يكثر عليهم الموعظ، وإذا وعظ لم يطل فيها، بل يقلل، وفي القليل يقصر^(١٠٣) .

نعم كان قد يطول أحياناً حسب المقام الداعي إلى التطويل .

لولا أن أشق

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يلاحظ أن لا يشق على المسلمين بفعل أو بقول، وقد ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في موارد عديدة :

«لولا أن أشق على أمتي . . .»^(١٠٤) .

«لولا قومك حديثو عهد بالإسلام . . .»^(١٠٥) .

ونحو ذلك .

إسعاف المرأة

أخرج الشيخ الصدوق (رضي الله عنه) عن الإمام أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى في بعض طريقه جارية قاعدة تبكي .

فقال لها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما شأنك ؟

فقالت : يا رسول الله إن أهلي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة، فضاقت، فلا

أجراً أن أرجع إليهم .

فأعطاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعة دراهم، وقال : ارجعي إلى أهلك .
ومضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم رجع وإذا بالجارية قاعدة على الطريق
تبكي .

فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : مالك لا تأتين أهلك ؟

قالت : يا رسول الله إني أبطأت عليهم وأخاف أن يضرّبوني .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : مري بين يدي ودليني على أهلك .

فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى وقف على باب دارهم ثم قال : السلام
عليكم يا أهل الدار .

... قالوا : عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إن هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤذوها .
فقالوا : هي حرة لممشاك^(١٠٦) .

أترى أي زعيم يتصدى بنفسه لمثل هذه الحاجات الصغيرة لرعاياه، إلا رسول الله (صلى
الله عليه وآله وسلم) أو من كان على وتيرته .

الرحمة بالحيوانات

وعمت رحمته (صلى الله عليه وآله وسلم) كل شيء حتى الحيوانات، فكان يوصي بها .

وقد أثر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) الكثير في ذلك، ومنه ما يلي :

«إن الله كتب الإحسان على كل شيء» .

«فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة» .

«وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة»^(١٠٧) .

«وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»^(١٠٨) .

سياسة العطاء للصديق والعدو

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مضرب المثل في العطاء والكرم والجود، حتى

قيل عنه :

إنه يعطي عطاء من لا يخاف الفقر .

فكان يعطي للمهاجرين .

ويعطي للأتصار .

ويعطي لأهل المدينة .

ويعطي لأهل القرى والأرياف .

ويعطي للمسلمين .

ويعطي للمنافقين .

ويعطي للكفار أيضاً، تأليفاً لقلوبهم وردعاً لهم عن المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين .
وقد حفظ التاريخ للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عطايا فريدة في بابها لأعدائه وأعداء
الإسلام أمثال أبي سفيان وأولاده، ومن لف لفهم .

فقد ورد في الخبر: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أجزل العطاء من غنائم حنين حتى
لأعداء الإسلام، أبي سفيان، وابنه معاوية، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، والحارث
بن هشام، وسهيل بن عمرو، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وهمام أخي سهيل،
ومالك بن عوف، وعلقمة بن علاة، فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يعطي الواحد منهم
مائة من الإبل ورعاتها، وأكثر من ذلك وأقل^(١٠٩) .

وجاء في (إعلام الوري) (١١٠) وفي (السيرة النبوية) (١١١) لابن هشام :

«ثم رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الجعرانة بمن معه من الناس، وقسم
بها ما أصاب من الغنائم يوم حنين في المؤلفعة لقلوبهم من قريش ومن سائر العرب، ولم يكن في
الأتصار منها شيئاً قليلاً ولا كثيراً .

قيل : إنه جعل للأتصار شيئاً يسيراً وأعطى الجمهور للمنافقين .

قال محمد بن إسحاق : وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير .

ومعاوية ابنه مائة بعير .

وحكيم بن حزام من بني أسد بن عبد العزى مائة بغير .
 وأعطى نصير بن حارث بن كلدة مائة بغير .
 وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة مائة بغير .
 وأعطى الحارث بن هشام من بني مخزوم مائة .
 وجبير بن مطعم من بني نوفل بن عبد مناف مائة .
 ومالك بن عوف النصرى مائة .
 وأعطى علقمة بن علاء مائة .
 والأقرع بن حابس مائة .
 وعيينة بن حصن مائة .
 وأعطى سهيل بن عمرو مائة بغير .
 وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس مائة بغير .
 وأعطى صفوان بن أمية مائة بغير .
 وأعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دون المائة رجلاً من قريش، منهم :
 مخرمة بن نوفل الزهري .
 وعمير بن وهب الجمحي .
 وهشام بن عمرو وأخا بني عامر بن لؤي .
 وأعطى (صلى الله عليه وآله وسلم) سعيد بن يربوع بن عنكشة بن عامر بن مخزوم
 خمسين من الإبل، وأعطى السهمي خمسين من الإبل^(١١٢) .
 ثم ذكروا :

إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطى آخرين من المؤلفلة قلوبهم ورؤوس الشرك عند
 إسلامهم تأليفاً لهم ولأقوامهم، ولسائر قريش من أهل مكة، وهكذا أعطى آخرين من القبائل
 العربية، ذكر ابن هشام في سيرته منهم من يلي :
 طليق بن سفيان بن أمية .

وخالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية .
وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد الدار .
وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عميلة .
وعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف .
وزهير بن أبي أمية بن المغيرة .
وخالد بن هشام بن المغيرة .
وهشام بن الوليد بن المغيرة .
وسفيان بن عبد الأسد .
والسائب بن أبي السائب بن عائذ .
ومطيع بن الأسود بن حارثة .
وأبو جهم بن حذيفة بن غانم .
وأحичة بن أمية بن خلف .
وعمير بن وهب بن خلف .
وعدي بن قيس بن حذافة .
وهشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث .
ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر .
وعلقمة بن علاء بن عوف .
ولبيد بن ربيعة بن كلاب .
وخالد بن هوذة بن ربيعة .
وعباس بن مرداس بن أبي عامر^(١١٣) .

وهذا نموذج واحد من سياسة العطاء التي كان يمارسها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أيام تأسيس الحكومة الإسلامية الأولى على وجه الأرض .
ولعل هذا فريد من نوعه في تاريخ البشر عامة من أوله إلى آخره .

فإن البعير الواحد ذلك اليوم كان يعد ثروة للإنسان، تماماً مثل من يملك اليوم سيارة فخمة أو نحوها، بل وأكثر من ذلك . . فالبعير الواحد كان بمثابة سيارة، كما كان يؤكل لحمه، ويشرب لبنه، ويلبس وبره .

مثل ما لو أعطى شخص هذا اليوم لكل واحد من رؤساء المعارضة بعد خضوعهم وبعد قدرته عليهم مائة سيارة أو خمسين، ونحو ذلك .

فهل يجد التاريخ لهذا نظيراً؟

هذه السياسة الإسلامية في تأليف الأعداء، وأقوام الأعداء، وأتباع الأعداء . . يجب أن يتبعها كل من يسير على خط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويريد تركيز الإسلام على وجه الأرض، بالحب والكلمة الطيبة، كما كان يفعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا بالعنف والسيف كما يفعله الاستعمار اليوم .

درعه (صلى الله عليه وآله وسلم) مرهونة

ومن جزيل عطائه (صلى الله عليه وآله وسلم) ما حفظ التاريخ عنه، أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ما مات كانت درعه مرهونة على نفقة أهله .

فقد روي في (قرب الأسناد) عن أبي عبد الله الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه أبي جعفر الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال :

«إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يورث درهماً ولا ديناراً، ولا عبداً ولا وليدة، ولا شاة ولا بعيراً، ولقد قبض (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن درعه مرهونة عند يهودي من يهود المدينة بعشرين صاعاً شعيراً استلفها نفقه لأهله»^(١١٤) .

وروى الشيخ الطبرسي (صلى الله عليه وآله وسلم) في (مكارم الأخلاق) عن ابن عباس أنه قال : «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) توفي ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود على ثلاثين صاعاً من شعير أخذها رزقاً لعياله»^(١١٥) .

كل صاع ثلاث كيلوات تقريباً .

وسواء كانت السلفة عشرين صاعاً، أو ثلاثين صاعاً، أي ما يعادل تقريباً لستين أو تسعين

كيلوًا من الشعير يستلفها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في آخر حياته ويرهن عليها درعه، هذا من أعاجيب التاريخ :

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يعطي المائة من الإبل، والمائة والمائة لأعدائه ..

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي خضعت له الدنيا!

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي جرت المليارات من الأموال على يديه .

يموت ودرعه مرهونة على شعير لطعام عائلته .

إنه كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يعطي كل ما يحصل له من أنعام، وذهب، وفضة،

وطعام .. وغير ذلك، حتى لا يجد ما ينفقه على عياله ..

ثم لا يجد ما يشتري به النفقة البسيطة لعياله .

كيلوات من الشعير لا يجدها ولا يجد ما يشتريها به .

ثم لا يجد ما يرهنه على سلفة كيلوات شعير، من لباس، وأثاث، وبضاعة حتى يضطر إلى

رهن درعه .

أليس هذا من أعجب الأعاجيب في التاريخ .

فليقتد برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القادة من المسلمين .

فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أسوة حسنة لهم بنص القرآن الحكيم: «لقد كان لكم في

رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً»^(١١٦) .

مات (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مديون

«الدين همّ بالليل وذل بالنهار»^(١١٧) .

هذا واحد من تصريحات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

لكن هذا هو الدين الذي يستدينه الإنسان لشهواته .

وهناك دين آخر هو عز بالليل، وفخر بالنهار .

وهو الدين للإسلام والمسلمين .

ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرغم مما كان يجبى إليه من الغنائم والهدايا بالملايين والملايين، مع ذلك كان مديوناً غالباً، وكثيراً ما كان يستدين لهذا وذاك .

وقدمت (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث مات وكان مديوناً .

قال الصادق (عليه السلام) : «مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليه دين»^(١١٨) .

حتى إن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) جعل أناساً ينادون في أيام الحج في الشوارع والطرق ويعنون للناس بحثاً عن ديون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليؤديها . . . إذ كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أوصى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

. فيما أوصاه وعهد إليه أن يقضي ديونه، فإنه قال (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«علي مني وأنا منه ولا يقضي عني ديني إلا أنا أو علي»^(١١٩) .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «علي بن أبي طالب ينجز عداي ويقضي ديني»^(١٢٠) .

قال قتادة : «بلغنا أن علياً نادى ثلاثة أعوام بالموسم : من كان له على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دين فليأتنا نقضي عنه»^(١٢١) .

وقال بعضهم : ودين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما كان عداته وهي ثمانون ألف درهم فأداها^(١٢٢) .

أقول : هذا الاجتهاد تأباه التصريحات الكثيرة التي عطف العدا بالواو على الديون، أو بالعكس «ديوني وعداتي» أو «عداتي وديوني» .

أضف إلى ذلك : تغيير التعبير في حديث واحد، بـ(ينجز) و(يقضي) الذي استفيض نقله .

مع إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مديوناً لصوع من الشعر التي رهن درعه عليها . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على جزيل عطائه (صلى الله عليه وآله وسلم) وجوده الغريب والفريد . فليتأس بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قادة المسلمين، وينتهجوا منهاجه

ويسيروا على سيرته .

وعلي (عليه السلام) قتل وهو مديون

وتأسى برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصيه وخليفته الإمام علي بن أبي طالب

(عليه السلام) :

فقد حفظ التاريخ عنه أنه (عليه السلام) لما استشهد ..

كانت ممتلكاته : سبعمائة درهم .

وكانت ديونه : ثمانمائة ألف درهم .

انظر إلى بعض نصوص التاريخ في ذلك :

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) عن ابن شهر آشوب في (المناقب) قال :

إن أبا بكر مات وله من المال نيف وأربعون ألف درهم .

وعمر مات وخلف نيفاً وثمانين ألف درهم .

وعثمان مات وخلف من المال ما لا يحصى كثرة .

وعلي (عليه السلام) مات وما ترك إلا سبعمائة درهم فضلت عن عطائه أعدها

لخادم^(١٢٣) .

وأخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) عن السيد ابن طاووس في كتاب (كشف

المحجة) بسنده عن أبي جعفر الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال : «قبض علي (عليه

السلام) ، وعليه دين ثمانمائة ألف درهم» .

فباع الحسن (عليه السلام) ضيعة له بمئتين ألف درهم فقضاها عنه . وباع له ضيعة

أخرى بثلاثمائة ألف درهم فقضاها عنه . وذلك أنه لم يكن يذر من الخمس شيئاً .

وكانت تنوبه نواب^(١٢٤) .

هذا هو المثال الصحيح لإمام المسلمين .

ولم كانت هذه الديون ؟

وفيم كانت تصرف ؟

إنها لحاجات المسلمين، ومساكينهم، وأيتامهم، وأراملهم، وضعفائهم ..
 وإلا فعلي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي لم يكن يملك للبسه سوى قطعتين فقط في
 الشتاء والصيف، قطعة يتزر بها، وقطعة أخرى يرتدي بها.
 والذي لم يكن أكله سوى خبز الشعير والملح، أو اللبن.
 ماذا يجوجه أن يقترض لشخصه ونفسه .
 هذا الذي تفتخر به أمة الإسلام من إمام، وقائد، وزعيم .

والحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) مديونان

واقترى الإمام الحسن والإمام الحسين ٣ مجدهما وأبيهما: رسول الله (صلى الله عليه
 وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث صرفا كل ما بأيديهما من الأموال في أمور
 الإسلام وحاجات المسلمين، ولم يفارقا الدنيا إلا عن ديون.
 اقرأ النصوص التالية:

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) عن الكافي أنه روى بسنده عن الصادق (عليه
 السلام) قال: «مات الحسن (عليه السلام) وعليه دين، وقتل الحسين (عليه السلام) وعليه
 دين»^(١٢٥).

وروى السيد ابن طاووس (رضي الله عنه) عن أبي جعفر الإمام الباقر (عليه السلام)
 قال:

«إن الحسين (عليه السلام) قتل وعليه دين، وإن علي بن الحسين باع ضيعة له بثلاثمائة
 ألف ليقضي دين الحسين (عليه السلام) وعدات كانت عليه»^(١٢٦).

وفي حديث آخر: «همّ علي بن الحسين (عليه السلام) بدين أبيه حتى قضاه الله»^(١٢٧).

وفي حديث آخر أيضاً عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام):

«قدمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليه دين، وقد مات علي (عليه السلام)
 وعليه دين، ومات الحسن (عليه السلام) وعليه دين، وقتل الحسين (عليه السلام) وعليه
 دين»^(١٢٨).

التلاحم مع الأمة للتربية

وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتولى تربية أفراد الأمة بنفسه غالباً، ومهما سنحت الفرص، فيندمج معهم في الحديث، ويخوض حينما خاضوا، ويصحح ما أخطأوا إمعاناً في جلب قلوبهم إلى الله ورسوله، وتعميقاً في هدايتهم إلى سبيل الله والرشاد.

وقد ورد ذلك في القرآن الحكيم في العديد من الآيات، مثل قوله سبحانه: «لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين»^(١٢٩).

وقال تعالى: «هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين»^(١٣٠).

وقال عز من قائل نقلاً عن دعاء إبراهيم الخليل (عليه السلام): «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم»^(١٣١).

وقال تعالى: «كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون»^(١٣٢).

وكان في حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) مع المسلمين يندمج معهم كاملاً اندماج المعلم العطوف المربي الذي يجب أن يصعد بنفسيتهم وثقافتهم وتربيتهم.

اقرأ المقاطع التالية من التاريخ والواردة في الحديث الشريف.

يكرر (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثاً

أروي عن ابن عباس أنه قال: (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا حدث الحديث أو سأل عن الأمر، كرره ثلاثاً ليفهم ويفهم عنه)^(١٣٣).

ولعل معنى الخبر: لكي يفهم المخاطبين، ولكي عند ما ينقل عنه الحديث لا ينقل خطأ أو سهواً أمر آخر.

ويظهر من هذا الخبر أن التكرار كانت عاداته (صلى الله عليه وآله وسلم) الغالبة على كلماته

الشريفة.

أي معلم أو مرب أو مرشد يفعل مثل ذلك؟
إنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكل من تعلم في مدرسته .

يخوض (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يحدثون

ب . وروي عن زيد بن ثابت أنه قال :

(إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كنا إذا جلسنا إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) إن أخذنا بحديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا، فكل هذا أحدثكم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» (١٣٤) .

الدنيا، والطعام، والشراب، هي التي لا يفكر فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إطلاقاً وأبداً، ولكنه لكي يستبقي على عواطف المسلمين، ولكي لا ينفروا منه كان يدخل في الحديث معهم في الدنيا، والطعام، والشراب .

يكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بوسادته

ج وروي عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) أنه قال :

(دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو متكئ على وسادة، فألقاها إليّ، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا سلمان ما من مسلم دخل على أخيه المسلم فيلقي له الوسادة إكراماً له إلا غفر الله له) (١٣٥) .

ووسادته التي اتكأ هو (صلى الله عليه وآله وسلم) عليها يلقاها إلى سلمان (رضوان الله عليه) تعميقاً في التلاحم بين القائد والقاعدة وتعليماً للمسلمين لكي يمارسوا هذا التلاحم في كل الأبعاد وكافة المجالات .

رمى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثوبه إليه

د وروي عن جرير بن عبد الله قال :

(إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل بعض بيوته فامتلاً البيت (١٣٦)، ودخل جرير فقعد خارج البيت فأبصره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخذ ثوبه فلفه فرمى به إليه

وقال : اجلس على هذا، فأخذه جريير فوضعه على وجهه فقبّله) (١٣٧).

فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يرمي بثوبه إلى واحد من المسلمين لكي يجلس عليه ولا يجلس على التراب تعميماً لوحدة أسلوب المعيشة بين القاعدة وبين قائدها.

يجلس (صلى الله عليه وآله وسلم) على التراب

هو عن ابن عباس قال : (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير) (١٣٨).

وهذا تنفيذ عملي لوحدة الحياة والمعيشة في المستوى الواحد بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين المرسل إليهم، إذ كان عدد من المسلمين لا يجدون أنذاك غير التراب يجلسون عليه، أو يأكلون عليه.

لا يعرف (صلى الله عليه وآله وسلم) في مجلسه

ووعن أبي ذر أنه قال : (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجلس بين ظهرائي أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل) (١٣٩).

لست بملك

زوعن ابن مسعود أنه قال : (أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل يكلمه فأرعد، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : هوّن عليك، فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القد) (١٤٠).

القد : هو القديد، وهو اللحم المجفف في الشمس.

يعني : أنا واحد مثلكم في معاشرتي الشخصية، فأمي امرأة غير مترفعة عن الناس في مأكليها، فهي كانت تأكل القد كما يأكل الجميع القد.

ويركب (صلى الله عليه وآله وسلم) الحمار

ح وروي عن أنس بن مالك قال :

(كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعود المريض، ويتبع الجنابة، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، وكان يوم خيبر ويوم قريظة والنضير على حمار منخطوم بجبل من

ليف، تحته إكاف من ليف) (١٤١).

يبدأ (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسلام

ط وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا مر على جماعة بدأهم بالسلام، حتى قال بعض أصحابه: إنه كلما أراد أن يبدأ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسلام إذا التقى به فإذا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يسبقه ويسلم عليه (١٤٢).

ويعفو (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الأعرابي

ي وروي عن أنس: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أدركه أعرابي فأخذ بردائه، فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال له: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فضحك وأمر له بعطاء (١٤٣).

مجلسه (صلى الله عليه وآله وسلم) حلقة

ياروي عن أنس بن مالك خادم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال :

(كنا إذا أتينا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جلسنا حلقة) (١٤٤).

هذا الخلق الرفيع الذي لا يدع المجلس صدرأ وذيلاً، ولا تهان كرامة أحد في المجلس لا عند الناس، ولا عند نفسه، فكل جالس في مثل هذا المجلس الدائري هو المبتدأ به، وهو الأخير، وهو الوسط .. هو الذي اتخذ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لسياسة جلساته مع المسلمين ..

وقد تعلم العالم هذا الخلق عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ما سار

التمدن فيه أكثر من عشرة قرون.

ولذلك تجد مجالس البرلمان، ومجالس الوزراء، ومجالس الساسة في كثير من بلدان العالم

اليوم دائرية.

والحديث عن خلق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في معاشرته مع الأفراد طويل ..

وطويل .. لا تأتي عليه هذه الصفحات.

ولكننا نكتفي بهذه النماذج لكي يتبعه القادة الإسلاميون في عصورنا فيعكسوا هذه الصورة الجميلة عن الإسلام وعن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيجلبوا الناس إلى سعادة الدنيا والآخرة في ظل الإسلام الجميل .. الجميل ..

وإنك لعلی خلق عظیم

وفي آخر هذا الفصل نذكر خبراً مروياً عن ربيب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن فتح عينيه عند الولادة في وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يفتحهما في وجه أحد قبله .

ومن غمض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عينيه في آخر لحظات حياته الكريمة في حجره ولم يغمضهما في حجر غيره، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهو الأعراف برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد روي عنه (عليه السلام) أنه قال :

«ما صافح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحداً قط فنزع (صلى الله عليه وآله وسلم) يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده .

وما فاوضه أحد قط في حاجة أو حديث فانصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف .

وما نازعه أحد الحديث فيسكت حتى يكون هو الذي يسكت .

وما رثي مقدماً رجله بين يدي جليس له قط .

ولا خير له بين أمرين إلا أخذ بأشدهما .

وما انتصر لنفسه من مظلمة حتى ينتهك محارم الله فيكون حينئذ غضبه لله تبارك

وتعالى .

وما أكل متكئاً قط حتى فارق الدنيا .

وما سئل شيئاً قط فقال : لا .

وما رد سائل حاجة قط إلا بها أو بميسور من القول .

وكان أخف الناس صلاة في تمام .

وكان أقصر الناس خطبة وأقلهم هذراً .

وكان يعرف بالريح الطيب إذا أقبل .
 وكان إذا أكل مع القوم كان أول من يبدأ وآخر من يرفع يده .
 وكان إذا أكل أكل مما يليه فإذا كان الرطب والتمر جالت يده .
 وإذا شرب شرب ثلاثة أنفاس .
 وكان يمص الماء مصاً ولا يعبه عباً .
 وكان يمينه لطعامه وشرابه وأخذه وإعطائه .
 فكان لا يأخذ إلا بيمينه ولا يعطي إلا بيمينه .
 وكان شماله لما سوى ذلك من بدنه .
 وكان يحب التيمن في كل أموره، في لبسه وتنعله وترجله .
 وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا تكلم تكلم وترأ، وإذا استأذن استأذن ثلاثاً .
 وكان كلامه فصلاً يتبينه كل من سمعه .
 وإذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه .
 وإذا رأته قلت : أفلح الثنيتين وليس بأفليح .
 وكان نظره اللحظ بعينه .
 وكان لا يكلم أحداً بشيء يكرهه .
 وكان إذا مشى كأنما ينحط من صبيب .
 وكان يقول : إن خياركم أحسنكم أخلاقاً .
 وكان لا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا يتنازع أصحابه الحديث عنده .
 وكان المحدث عنه يقول : لم أر بعيني مثله قبله ولا بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) «(١٤٥)» .

أقول : هذا الحديث الشريف بحاجة ماسة إلى شرح طويل ، أما ضيق مجالنا في هذا الكتاب
 يحملنا على ترك شرحه إلى فرصة أخرى ..

ولكن هذا لا يمنعنا عن الإشارة في هذا المجال إلى أن من الضروري التأكيد لأي قائد

سياسي إسلامي أن يتحلى بأكبر وأكثر ما يمكن من الخلق الرفيع والمعاملة العظوفة المحببة مع الناس لكي يجلبهم إلى حظيرة الإسلام، أو يبقئهم في الإسلام، فإن أفضل وأسهل وأسرع وأعمق العوامل لزرع المحبة في القلوب هي الأخلاق الفاضلة والمعاملة الإنسانية العظوفة مع الناس.

فإن ذلك من أعظم السياسة في إدارة الناس.

سياسته (صلى الله عليه وآله وسلم) في المجالات الأخرى

كل تاريخ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سياسة وحكمة، في مختلف أبعادها ووجوهها..

فسياسته (صلى الله عليه وآله وسلم) في جمع العساكر وسوق الجيش إلى الحرب..
وسياسته (صلى الله عليه وآله وسلم) في كيفية الجمع بين القوة في الحرب وسرعة الانتصار
وبين عدم الخروج عن إطار الإسلام والإنسانية.

وسياسته في معاملة الجرحى، والمعاقين، وأسرههم، وذويهم، ويتامى المقتولين، وأراملهم.
وسياسته في القضاء وفصل الخصومات بين أصحابه وكيفية التوفيق بين الفصل العادل،
والقضاء الصحيح، وبين إبقاء الناس على حبههم لله والرسول وفي إطار الإسلام.

وسياسته في جمع المال من الأغنياء، وأصحاب التجارات والمزارع، والمواشي وغيرها، في
الأخذ منهم، وإبقائهم على حبههم للإسلام والله تعالى والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).
وسياسته في توزيع الأموال بنسب مختلفة على المسلمين والمنافقين، بل والمشركين من
المؤلفة قلوبهم، في شتى المناسبات.

وسياسته في مجالسته مع المسلمين، ومع المنافقين، والحديث معهم، وحفظه على الوقار
والتواضع، والجمع بين ذلك كله.

وسياسته في دعوته لأقربائه، وللعشائر والقبائل، ولليهود والنصارى، للدخول في الإسلام،
وكيفية الجمع بين الفقراء والأغنياء، والمستكبرين والمستضعفين، والآباء والأولاد، والرجال
والنساء، استدراجاً لهم إلى الإيمان.

وسياسته في إظهار المعجزات، وكيف؟ ومتى؟ ولمن؟ بحيث يبقى على المسلمين، ويدخل الكفار في الإسلام، وفي نفس الوقت لا يكون كل فعل منه معجزة يعجز عنها الناس حتى يمكن اتخاذه أسوة ولا تبطل حكمة الله تعالى في بعث الرسل .

وسياسته في الجمع بين اللين والقوة، حتى لا يكون ليناً في ضعف، ولا متواضعاً في ذل، ولا قوة في خشونة، ولا شدة في عنف وغلظة .

وسياسته في الجمع بين صراحة الحق، وحياء الإسلام، فلا صراحة تطرد الناس، ولا حياء يحمل الطامعين على استغلاله للعب بالإسلام .

وسياسته في الهجرة، وكيفيتها، وزمانها وطريقها، وأسلوبها، التي جمعت كل خير في ذلك اليوم ولمستقبل الإسلام حتى اليوم .

وسياسته في دعوته رؤساء الدنيا، والملوك إلى الإسلام، وأسلوبه، واختيار المبعوثين فيها، ووصاياهم .

وسياسته مع زوجاته، وتقسيم أوقاته، بينهن والجمع بين مهامه العظيمة، ومسؤولية الرسالة، وبين إرضاء زوجاته على اختلافهن في العمر، والقومية، واللسان، والشكل، والعادات .

وسياسته في تأسيس المساجد فوراً في أرجاء شبه الجزيرة العربية كلما سنحت له (صلى الله عليه وآله وسلم) فرصة ليكون مجمعاً للمسلمين ومركزاً لانطلاق الدعوة، والحرب والقضاء، وجمع المال، وتوزيعه، وغير ذلك من مزاوله سياسة البلاد والعباد .

وسياسته في إبقاء جناحين متقابلين حوله باسم (المهاجرين) و(الأنصار) وتأييد كل منهما في مناسبة وأخرى، وتشجيع كل منهما بالآخر، قولاً وعملاً .

وهكذا دواليك كل ما في سيرته الوضاعة، وتاريخه العظيم، فهي سياسة عظيمة وحكيمة حيرت عقلاء العالم في كل مكان وزمان .

كيف لا وهذه السياسات كلها بأمر الله تعالى خالق كل شيء والعالم بالأسرار، وهو القائل عز من قائل عن نبيه الأَعْظَم (صلى الله عليه وآله وسلم): «وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى»^(١٤٦) .

فسياسة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هي حكم الله تعالى، وحكم الله عز وجل هو أفضل وأجمع وأحكم سياسة لأنه الخالق العالم بكل شيء والقادر على كل شيء. هذا غيوض من فيض، ورشف من بحر، وقليل من كثير، في سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسياسته فيها وعميقه إياها طيلة تاريخه الحافل بالمكرمات. نسجل هذا لكي لا يتصدى لتعريف الإسلام من يجهل الإسلام. وينقطع الطريق على الذين يشوهون بأقلامهم الإسلام. وتبرأ ساحة الإسلام الناصعة من كل ما يمارس باسم الإسلام في أكثر البلاد الإسلامية في هذا العصر مما الإسلام منه براء.

فالإسلام يؤخذ من سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام). ويعرف من خلال تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام). ويفسر بممارسات محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) وكفى!

من هذا العرض الوجيز يستطيع القارئ أن يعرف: كيف أن الإسلام والسياسة الصحيحة رضيعاً لبن. وكيف أن أحدهما يفسر بالآخر.

فالسياسة الصحيحة هي الإسلام.

والإسلام هو السياسة الصحيحة.

فلا سياسة صحيحة إلا في الإسلام.

ولا إسلام إلا مع السياسة الصحيحة.

وغير هذا الكلام باطل، ينقضه القرآن الحكيم، والسنة المطهرة، وسيرة النبي (صلى الله

عليه وآله وسلم) وتاريخ أهل بيته الأئمة الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام).

«يا علي: أنت محك هذه الأمة»^(١٤٧).

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

٤. السياسة الرشيدة لأمير المؤمنين (عليه السلام)

السياسة الرشيدة لأمير المؤمنين . . .

كان علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) هو المثل الآخر الصحيح الذي عكس سياسة الإسلام بكل دقة وروعة واستيعاب، بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويدل على ذلك المئات من آيات القرآن الحكيم التي نزلت، أو أولت، أو فسرت بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) في تفضيله وألويته .

وكذلك آلاف الأحاديث النبوية الشريفة التي ملأت كتب التفسير والحديث والتاريخ،

ومنها ما يلي :

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«علي مع الحق والحق مع علي»^(١٤٨).

«علي مع القرآن والقرآن مع علي»^(١٤٩).

«يا عمار بن ياسر : إن رأيت علياً قد سلك وادياً، وسلك الناس وادياً آخر، فاسلك مع

علي»^(١٥٠).

«أنا مدينة العلم وعلي بابها»^(١٥١).

«أنا دار الحكمة وعلي بابها»^(١٥٢).

«علي مني بمنزلة رأس من بدني»^(١٥٣).

إلى ما هنالك من أمثالها الكثير . . . والكثير . . .

لذلك : كانت سياسة أمير المؤمنين (عليه السلام) العملية خير درس للقادة وللمسلمين

في تطبيق حياتهم العملية السياسية عليها، كما كان ذلك بالنسبة لرسول الله (صلى الله عليه

وأله وسلم) فهو النبي وعلي (عليه السلام) الوصي^(١٥٤)، وهو الصنوع وعلي الصنوع الآخر^(١٥٥)، وهو العضد وعلي الذراع^(١٥٦) كما وصف (عليه السلام) هو بذلك .

وفي هذا المجال المختصر، وبعد ما ذكرنا نماذج من سياسة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مختلف أدوار حياته الحافلة، نذكر نماذج أخرى من سياسة أمير المؤمنين (عليه السلام) في شتى أحوال تاريخه العظيم ليكون شافعاً لتلك، ومنها جاً حياً فضيلاً للجميع .
ودليل صدق على حكمة الإسلام وعدله وإنسانيته في الحكومة والسيطرة والسيادة، لينتبه المغفلون . . وليلقم الظالمون حجراً فيسكتون .

وليكون كوة نفتح بها الطريق للباحثين ليكتبوا عن مختلف أدوار حكومة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بمختلف الأقلام، وفي شتى المستويات لكي يُسد هذا الفراغ الهائل في المجتمع الإسلامي الذي يحن بكل شوق إلى معرفة هذه السيرة الوضاعة من خلال تحليلات ثابتة وصحيحة ورصينة . .

خصوصاً في الأونة الأخيرة التي بدأ المسلمون في كل العالم يشعرون بعمق خطوط الاستعمار في البلاد الإسلامية، ويبحثون عن استقلال فكري في الحكم مبني على أسس الإسلام الصحيحة وتطبيقها على واقع الأمة الإسلامية المعاصرة .
وسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتاريخ أمير المؤمنين (عليه السلام) خير درس وأسوة لوضع لبنات الحكم الإسلامي المعاصر على أسسهما .
وهذا الأمر بحاجة إلى آلاف الكتب المختلفة في هذا المجال .

ومن أسهل وأعمق الطرق إلى ذلك : التلاحم والتواصل الفكري العمق بين الحوزة العلمية، والجامعة، لوضع صيغة صالحة وغنية بالصحة وإمكان التطبيق العملي في العصر الحاضر، للحكومة الإسلامية الإلهية الحققة، والله الموفق .

سياسة الحياة الشخصية

(القائد) كل شيء منه درس للشعب، ومنهاج للأجيال، ولذلك كان القائد متحملاً لما يمارسه الشعب نتيجة تعلمه منه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر .

والحياة الشخصية للقائد أدق مدرسة للأجيال المتمسكة بذلك القائد، ولهذا كان من سياسة أمير المؤمنين (عليه السلام) بناء حياته الشخصية على الإيمان والزهد. وإليك نماذج من ذلك :

لا... للدينا وما فيها

ما كان أهون عند علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الدنيا وما فيها .
فالمال، والحكم، والسلطة، والفرش، واللباس، والقصور، والأكل، والشرب.. كلها عند علي (عليه السلام) لا شيء، إلا بمقدار الحاجة الضرورية. ولعل أعمق مثال للدنيا في منظار أمير المؤمنين (عليه السلام) ما أفصح عنه في كلمته الخالدة :

«والله لديناكم هذه أهون في عيني من عراق^(١٥٧) خنزير في يد مجذوم^(١٥٨).
يالها من كلمة عظيمة .

عراق خنزير، في يد مجذوم .

الخنزير لا يرغب فيه، فكيف بعراقه .

والمجذوم لا يرغب فيما بيده ولو كانت الدنيا برمتها، لأن الدنيا برمتها لا تساوي عدوى الجذام الأكيد .

فكيف بعراق من خنزير وفي يد مجذوم .

من يرغب في مثل ذلك ..

الإمام علي (عليه السلام) يعتبر الدنيا أهون من ذلك .

لم يضع لبنة على لبنة

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في (بحار الأنوار) عن (الكافي) رواية عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنه قال :

«ولقد ولي علي (عليه السلام) خمس سنين فما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة،

ولا أقطع قطيعة، ولا أورث بيضاء، ولا حمراء»^(١٥٩) .

ما وضع آجرة على آجرة، يعني : ما بنى بيتاً من آجر مطبوخ .

ولا لبنة على لبنة، يعني: ما بنى بيتاً من اللبن غير المطبوخة.
ولا أقطع قطيعة، يعني: لم يخص أرضاً وقطعة بنفسه.
ولا أورث بيضاء ولا حمراء، يعني: ما ترك إرثاً لورثته، لا فضة ولا ذهباً.
إلا إهاب كبش

أخرج بحار الأنوار، عن المناقب، عن (مسند أحمد بن حنبل)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه كان يقول:

«ما كان لنا إلا إهاب»^(١٦١) كبش أبيت مع فاطمة بالليل، ونعلف عليها الناصح
بالنهار»^(١٦١).

يقتدي به المؤمنون
وأخرج أيضاً:

إنه رئي علي علي (عليه السلام) إزار غليظ اشتراه بخمسة دراهم، ورئي عليه إزار مرقوع،
ف قيل له في ذلك، فقال (عليه السلام):

«يقتدي به المؤمنون

ويخشع له القلب

وتذل به النفس

ويقصد به المبالغ

أشبه بشعار الصالحين

وأجدر أن يقتدي به المسلم»^(١٦٢).

تربية للنفس وتربية للمجتمع وقدوة وأسوة

وتوحيد المظهر والمخبر «أشبه بشعار الصالحين».

كلها تتجسد في إزار غليظ يلبسه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

هذا هو العمق المعنوي، والبعد الروحي، ونكران الذات، والتفاني في الله، كلها مجتمعة في

شخصية القائد الإسلامي.

خرق كمه

وأخرج أيضاً: «إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) نظر إلى فقير انخرق كم ثوبه، فخرق كم قميصه وألقاه إليه»^(١٦٣).

لم يغير ثيابه

أربع سنوات أو أكثر قضاها أمير المؤمنين (عليه السلام) بين الكوفة والبصرة، وهو الرئيس الأعلى للبلاد الإسلامية الواسعة الأطراف.

خلال هذه المدة الطويلة لم يشتر من مال المسلمين ثياباً لنفسه، ولم يأخذ من أموال البصرة والكوفة شيئاً لذلك.

بل ظل على ثياب المدينة كل هذه المدة الطويلة، إلا إذا اشترى من عطائه الخاص كأضعف مستضعف من مسلم آخر في طول البلاد الإسلامية وعرضها.

فاقرأ النصوص التالية:

أخرج في البحار، عن المناقب، عن الأصبغ بن نباتة قال: توجه علي (عليه السلام) إلى أهل البصرة وقال: «يا أهل البصرة ما تنقمون مني، إن هذا من غزل أهلي وأشار إلى قميصه»^(١٦٤).

وقال: قال (عليه السلام): «دخلت بلادكم بأشمالي هذه، ورحلتي وراحتي هاهي، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإنني من الخائنين»^(١٦٥).

وأخرج في البحار، عن (كشف الغمة)^(١٦٦): قال هارون بن عنترة حدثني أبي قال: دخلت على علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالخورنق^(١٦٧) وهو يرعد تحت سمل^(١٦٨) قطيفة، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعم وأنت تصنع بنفسك ما تصنع. فقال (عليه السلام): «والله ما أرزأكم من أموالكم شيئاً وإن هذا القطيفتي التي خرجت بها من منزلي من المدينة ما عندي غيرها»^(١٦٩).

هل في هذه البلاد، وفيها مثل هذه السياسة الشخصية للقائد الأعلى، يصل الحيف

بأحد هل يعرى أحد في ظل مثل هذا النظام؟

هل يجوع أحد هكذا؟

إنه الإسلام العظيم.

طعام أمير المؤمنين (عليه السلام)

في الوقت الذي عمت الخيرات بلاد المسلمين وبفضل الإسلام، فكان المسلمون وغير المسلمين يرفلون في نعيم من الطيبات.

وكانت الكوفة عاصمة أمير المؤمنين (عليه السلام) لا تجذبها إلا المنعم من الناس. في مثل هذا الظرف تجد سيد الكوفة، وسيد البلاد الإسلامية، وزعيم الإسلام: أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يأكل حتى ما يأكله أدنى الناس. فانظر إلى النصوص التالية:

أخرج المجلسي (رضي الله عنه) عن (فضائل أحمد): قال علي (عليه السلام): «ما أصبح بالكوفة أحد إلا ناعماً، إن أدناهم منزلة ليأكل البر، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات»^(١٧٠).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) في حديث: «كان علي بن أبي طالب ليطعم الناس خبز البر واللحم، وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير، والزيت والخل»^(١٧١). وعن سويد بن غفلة قال:

«دخلت على علي بن أبي طالب (عليه السلام) العصر، فوجدته جالساً بين يديه صحيفة فيها لبن حاذر أجدر يريحه من شدة حموضته، وفي يده رغيف أرى قشار الشعير في وجهه، وهو يكسره بيده أحياناً، فإذا غلبه كسره بركبته وطرحه فيه.

فقال (عليه السلام): ادن فأصب من طعامنا هذا.

إلى أن قال: فقلت لجاريتته وهي قائمة بقريب منه: ويحك يا فضة ألا تتقين الله في هذا

الشيخ؟

ألا تتخلون له طعاماً.

إلى قوله: قال علي (عليه السلام) لي: ما قلت لها؟

قال : فأخبرته .

فقال (عليه السلام) : بأبي وأمي من لم ينخل له طعام ، ولم يشبع من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله ^(١٧٣) . يعني بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

لا يأكل اللحم في السنة إلا مرة

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا يأكل اللحم في السنة إلا مرة واحدة ، في يوم عيد الأضحى وذلك لأن هذا اليوم هو اليوم الذي يأكل فيه كل المسلمين اللحم ، من وفور لحم الأضاحي ..

فلكي يواسي إمام الأمة أضعف الأمة ، يأكل اللحم في ذلك اليوم فحسب .

هذا في أيام خلافته الظاهرية التي كانت مسؤولية الأمة برمتها عليه .

وقد نقل العلامة المجلسي (قدس سره) في (البحار) ، عن القطب الراوندي في (الخرائج)

قوله (عليه السلام) :

«واعلم أن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ^(١٧٣) ..

يسد فورة جوعه بقرصيه ^(١٧٤) ..

لا يطعم الفلذة ^(١٧٥) في حوله إلا في سنة أضحيته ^(١٧٦) .

الإمام علي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لا يهمله أهل المدينة فحسب الذين يجدون غالباً اللحم يأكلونه ، ولا ينظر إلى أهل الكوفة فقط التي تتوفر فيها اللحوم من كل الأنواع ، من الغنم ، والبقر ، والإبل ، والدجاج ، والطيور ، والأسماك .

وإنما يهمله أيضاً أقاصي بلاد الإسلام ، وأهل الأرياف البعيدة ، والفقراء الذين يسكنون

الأخبية ، فكلهم لا يجد اللحم كل يوم ليقنات به .

وما دام علي (عليه السلام) إمامهم جميعاً .

فكما عليهم أن يقتدوا به في أفعاله ، يحتم على نفسه أن يقتدر على نفسه في مطعمه وملبسه

بل ومسكنه كأضعف رعيته .

عظيم جداً هذا الإنسان .

وعظيمة جداً هذه السيرة .

وعظيم جداً جداً . . . الإسلام الذي يربي هكذا قائد .

صوت القلي في بيته

من أعرب وأعجب ما حفظه التاريخ عن السيرة الشخصية لأمير المؤمنين (عليه السلام) أنه سمع ذات مرة صوت القلي في بيته فأنكر ذلك، لأنه لم يكن قلي لحم في بيت علي (عليه السلام) أيام خلافته .

أخرج الشيخ الجليل المفيد (رضوان الله عليه) بسنده عن ابن دأب في حديث مطول : «وسمع يعني : أمير المؤمنين (عليه السلام) مقلي في بيته فنهض وهو يقول : في ذمة علي ابن أبي طالب مقلي الكراكر؟»^(١٧٧) .

قال : ففزع عياله وقالوا : يا أمير المؤمنين إنها امرأتك فلانة نخرت جزور في حياها فأخذ لها نصيب فأهدى أهلها إليها .

قال (عليه السلام) : فكلوا هنيئاً مريئاً .

وإنما خاف (عليه السلام) أن يكون ذلك هدية من بعض الرعية، وقبول الهدية لوالي المسلمين خيانة للمسلمين»^(١٧٨) .

يعرف من هذا الحديث : إن وجود اللحم في بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) أيام خلافته كان شيئاً يدعو إلى العجب والغرابة .

ورقابة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) للتصرفات الشخصية في بيته كانت دقيقة وحذرة، بحيث يعتبر (عليه السلام) قلي كراكر مرة واحدة في تاريخه أمراً يكون علي (عليه السلام) هو المسؤول عنها إذ يقول : «في ذمة علي بن أبي طالب مقلي الكراكر» .

ثم يفزع عياله لذلك : لما يعرفون من علي (عليه السلام) من الحزم والصرامة في الحق، ولكي يجبروه (عليه السلام) بأنهم لم يخالفوا إرادته ولا أخفوا في بيته عنه ما لا يرضاه .

ومع هذا كله : فلا يمانع صلة الرحم بين زوجته وأقربائها، بل يشجع ذلك ويدعو لهم . . . ويخصهم بدعائه، لأن علياً لا يأكل من ذلك في وقت ليس كل المسلمين يجدون مثله . . .

هل رأى التاريخ بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عظيماً كهذا؟ فليعرفوه لنا!

لا . . لاحتكار أموال الأمة

كان علي أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يحتكر أموال المسلمين، اقتداءً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل يعمد إلى توزيعها فور وصولها إليه .
وهكذا يجب أن يكون القائد الإسلامي .
انظر النص التالي :

روى ابن شهر آشوب (رضي الله عنه) في كتاب (مناقب آل أبي طالب) عن سالم الجحدري قال : «شهدت علي بن أبي طالب (عليه السلام) أتي بمال عند المساء، فقال : اقتسموا هذا المال . فقالوا : قد أمسينا يا أمير المؤمنين فأخره إلى غد .

فقال لهم : تقبلون لي أن أعيش إلى غد؟

قالوا : ماذا بأيدينا؟

فقال : لا تؤخروه حتى تقسموه .

فأتى بشمع فقسموا ذلك المال من تحت ليلتهم»^(١٧٩) .

أي قائد في عالم اليوم يفعل مثل ذلك؟

لا أحد تجده هكذا .

إذن نعلم بحق كيف استطاع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بسيرته الوضاعة أن يحكم

التاريخ حتى اليوم وغدى بكل عظمة وإجلال نبراساً يقتدى به .

وربما ينبري سؤال : لماذا التقسيم في المساء ولا يستفيد المسلمون منه إلا في الغد؟

قد يجاب لأسباب :

الأول : زوال المسؤولية عن القائد المؤمن الذي يرى المسؤولية أعظم ما يثقل كاهله .

الثاني : اطمئنان بعض المحتاجين من المؤمنين إلى هذا المال فيقررروا مصير غدهم المالي به .

الثالث : التعجيل في الخير مطلقاً الذي وردت به الآيات والروايات .

مثل قوله تعالى : «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم»^(١٨٠) .

- وقوله سبحانه: «ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين»^(١٨١).
- وقوله عز من قائل: «إنهم كانوا يسارعون في الخيرات»^(١٨٢).
- وقوله تعالى: «أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون»^(١٨٣).
- وقد ورد في الحديث الشريف: «فتعجل الخير ما استطعت»^(١٨٤).

لا يأخذ لنفسه

وجاء في سيرة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه كان يقسم الأموال، ولا يأخذ لنفسه منها شيئاً في حين أنه كان بحاجة إليها.

أخرج ابن شهر آشوب (رضي الله عنه) في (المناقب): أنه (عليه السلام) كان يأتي عليه وقت لا يكون عنده قيمة ثلاثة دراهم يشتري بها إزاراً، وما يحتاج إليه، ثم يقسم كل ما في بيت المال على الناس ثم يصلي فيه ويقول: «الحمد لله الذي أخرجني منه كما دخلته»^(١٨٥).

البساطة في الحياة

البساطة في الحياة الشخصية مما عرف بها أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) فكان لا يعبأ بالتجملات إطلاقاً، ولا يصرف ثواني من وقته في سبيلها.

وهكذا ينبغي أن يكون القائد الإسلامي لكي يصرف أوقاته كلها في أمور المسلمين والمستضعفين.

أورد المجلسي (رضي الله عنه) في (البحار) عن (المناقب)، عن أبي الجيش البلخي قال: «إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) اجتاز بسوق الكوفة فتعلق به كرسي فتخرق قميصه، فأخذه بيده، ثم جاء إلى الخياطين فقال: خيطوا لي ذا برك الله فيكم»^(١٨٦).

وعن الأشعث العبدي قال: «رأيت علياً (عليه السلام) اغتسل في الفرات يوم الجمعة، ثم ابتاع قميصاً كرابيس بثلاثة دراهم، فصلى بالناس الجمعة وما خيط جربانه بعد»^(١٨٧).

وعن الزمخشري قال: «إن علياً (عليه السلام) اشترى قميصاً فقطع ما فضل عن أصابعه ثم قال للرجل: حصه، أي خط كفافه»^(١٨٨).

«وجاء علي (عليه السلام) إلى الحلاق، فأراد أن يأخذ من شاربه، وكان (عليه السلام)

مشتغلاً بذكر الله تعالى تتحرك شفثاه، فقال له الحلاق : يا أمير المؤمنين كف عن الذكر لحظة حتى يعتدل الشارب، فقال علي (عليه السلام) : الأمر أسهل من ذلك ولم يترك الذكر لحظة ..» .

نعم في الحديث الشريف : «إن الله جميل يحب الجمال»^(١٨٩) .

لكن الجمال ليس للمادة فقط بل للروح والمعنويات جمالاً أيضاً، وجمالهما أجمل من جمال الماديات .

والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يعرف تماماً نسبة الجمال بعضه إلى بعض ويختار الجمال الأهم على الجمال المهم ..
فذكر الله لحظة جمال أهم .
وتجميل الشارب جمال مهم .
نسبة الإرث إلى الدين

معظم الناس عندما يموتون تكون تركتهم أكثر من ديونهم، فتتقاضى الديون، وما يفضل يكون إرثاً للورثة يوزع عليهم .

أما أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان بالعكس تماماً، إنه قُتل وديونه أضعاف تركته .
ديونه كانت أكثر من مائة ضعف بالنسبة لتركته .

كانت تركته سبعمائة درهم فضلت عن عطائه أراد أن يبتاع بها لأهله خادماً .
وكانت ديونه ثمانمائة ألف درهم^(١٩٠) .

وقد مر بيان ذلك عند ذكر سياسة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

بييع سيفه للإزار

أخرج ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) عن مجمع عن أبي رجاء، قال : أخرج علي (عليه السلام) سيفاً إلى السوق فقال : من يشتري مني هذا، فوالذي نفس علي بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته .

فقلت له : أنا أبيعك إزاراً، وأنسئك ثمنه إلى عطائك .

فدفعت إليه إزارا إلى عطائه . فلما قبض عطاءه دفع إلي ثمن الإزار^(١٩١) .

ويقسم هداياه على المسلمين

وكان من عادة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) التي عرفت فأثرت عنه أنه لم يكن ليحتكر الهدايا الشخصية التي تهدي إليه، لنفسه فقط، بل كان يوزعها على المسلمين أحياناً، أو يشرّكهم مع نفسه فيها .

لنقرأ جميعاً النصوص التالية :

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في البحار عن (المنقب) :

قال حكيم بن أوس : أتى إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) بأحمال فاكهة فأمر ببيعها، وأن يطرح ثمنها في بيت المال^(١٩٢) .

وقال أيضاً : كان علي (عليه السلام) يبعث إلينا بزقاق العسل فيقسم فينا، ثم يأمر أن يلحقوه^(١٩٣) .

وعن عاصم بن ميثم قال : إنه أهدى إلى علي (عليه السلام) سلال خبيص له خاصة، فدعا بسفرة، فنثره عليها ثم جلسوا حلقتين يأكلون^(١٩٤) .

وعن أبي حريز قال : إن المجوس أهدوا إلى علي (عليه السلام) يوم النيروز جامات من فضة فيها سكر، فقسم (عليه السلام) السكر بين أصحابه وحسبها من جزيتهم^(١٩٥) .

قال : وبعث دهقان إلى علي (عليه السلام) بثوب منسوج بالذهب، فابتاعه منه عمرو بن حريث بأربعة آلاف درهم إلى العطاء^(١٩٦) .

عظيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وعظيم . . . وعظيم جداً .
يُهدى إليه ثوب منسوج بخيوط الذهب، يساوي أربعة آلاف درهم، فيبيعه ليجعل ثمنه في بيت المال .

ثم يشتري ثوباً غليظاً بثلاثة دراهم ويلبسه ويشكر الله .

أين يوجد له مثيل ؟

إنها مدرسة الإسلام، وتربية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسياسة السماء .

يستقي ويحتطب

وكان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كأقل الفقراء مالاً، يستقي الماء من البئر بنفسه، ويحتطب بيديه الكرمتين، ليكون أسوة حسنة لعامة المسلمين عبر التاريخ الطويل، وقدوة عملاقة لزعماء المسلمين. . وكذلك كان يقوم بسائر شؤونه الشخصية بنفسه.

فقد نقل الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) وغيره، في (الكافي) وغيره، بسندهم عن زيد بن الحسن عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

«كان علي (عليه السلام) أشبه الناس طعمة وسيرة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

كان يأكل الخبز والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم .
وكان (عليه السلام) يستقي ويحتطب»^(١٩٧).

وكان يرفع مدرعته بنفسه .

وكان يخيظ ثوبه بنفسه .

وكان يخصف نعله بنفسه^(١٩٨) .

وبكلمة مختصرة : كان (عليه السلام) لا يلقي كَلِّه على أحد، وكان يزاول شؤونه الشخصية بنفسه، فلا يترفع عن الناس في شيء، بل يعيش دون معيشة أغلب الناس، وهو الذي رفعه الله تعالى على سائر الأولياء والأئمة والأنبياء (عليهم السلام) ما عدا رسول الإسلام (صلى الله عليهما وآلهما) الذي قال عنه : «أنا عبد من عبيد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)»^(١٩٩) . وهكذا كانت السيرة الخالدة العملاقة لأمير المؤمنين (عليه السلام) تنتج النتائج التالية :

١ : جعلت علياً (عليه السلام) في رأس قائمة العظماء بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢ : حطمت طواغيت البشرية في الماضي، والحاضر، والمستقبل .

٣ : علمت طريق الإنسانية والعظمة للقادة، وللشعوب .

وهكذا تربي السياسة الإسلامية مثل علي بن أبي طالب (عليه السلام).
وقد ذكر هو (عليه السلام) فلسفة هذا الزهد فقال: «إن الله جعلني إماماً لخلقهِ، وفرض عليّ التقدير في نفسي، ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يطغي الغني غناه»^(٢٠٠).

لا.. للهدية

الهدية التي تهدي لأصحاب الحكم كثيراً ما يراد بها استمالة قلب الحاكم لكي يبطل بها الحق، أو يحق الباطل.

ولذا كان التأكيد شديداً في الأحاديث الشريفة على تحاشي الحكام والقضاة ومن بيدهم الحول والطول، والحل والعقد، من قبول الهدايا. قطعاً لهذه الجذور التي تدع المجتمع غير آمن من الظلم والحيث والإجحاف.

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في (البحار) عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في قول الله عز وجل: «أكالون للسحت»^(٢٠١):

قال (عليه السلام): «هو الرجل يقضي لأخيه الحاجة ثم يقبل هديته»^(٢٠٢).

وأخرج أيضاً عن جابر بن عبد الله قال:

«هدية الأمراء غلول»^(٢٠٣).

وأخرج الشيخ الأنصاري (رضي الله عنه) في (المكاسب) عن أمير المؤمنين (عليه السلام)

قال: «وإن أخذ يعني الوالي هدية كان غلولا»^(٢٠٤).

وما ورد: «إن هدايا العمال غلول»^(٢٠٥).

وفي حديث آخر: «هدايا العمل سحت»^(٢٠٦).

والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان سيداً في كل الفضائل، لذلك كان لا يقبل الهدايا الشخصية لنفسه، كي لا يطمع فيه أحد، ولا يأمل أحد في إمكان استمالاته (عليه السلام)..

وهو (عليه السلام) يذكر واقعة واحدة أهدى فيها إليه شخص هدية فردها (عليه السلام)،

وهو يصيغ الموقف في هذه الصيغة الفولاذية التالية :

قال (عليه السلام) في بعض خطبه بعد ما ذكر قصة عقيل ورده (عليه السلام) له :
«وأعجب من ذلك^(٢٠٧) طارق طرقتنا بملفوفة^(٢٠٨) في وعائها، ومعجونة شنتتها^(٢٠٩) كأنما عجت
بريق حية أوقيتها.

فقلت : أصله، أم زكاة، أم صدقة^(٢١٠)؟ فذلك محرم علينا أهل البيت .

فقال : لا ذا، ولا ذاك، ولكنها هدية .

فقلت : هبلك الهبول^(٢١١) .

أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟

أمختبط أنت^(٢١٢)؟

أم ذوجنة^(٢١٣)؟

أم تهجر^(٢١٤)؟ .

والله . . لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحث أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلدها جلب

شعيرة^(٢١٥) ما فعلته .

وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها^(٢١٦) .

هكذا يعامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) نفسه حتى لا يخافه مظلوم،

ولا يطمع فيه ظالم .

وما دام الحق هو هكذا .

و«علي مع الحق، والحق مع علي يدور معه حيثما دار»^(٢١٧) .

فلا غرو إذ أفني مثل هذه الأساليب الشجاعة في تاريخ أمير المؤمنين (عليه السلام) .

فعلى الحكام، والقضاة، والرؤساء أن يطبقوا سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه

السلام) في حياتهم الشخصية أولاً، لكي يأمن المجتمع من الظلم والحيف، ثم يطبقوا سيرته

(عليه السلام) في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية وما إليها .

سياسة معاملة الأقرباء

لم يكن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) كحكام الدنيا يجعلون الأولوية في الرغبات لأقربائهم، فإذا فضل منها شيء جعلوها في سائر الناس.

بل كان (عليه السلام) فيما يتعلق بعامة المسلمين لا يفرق أقرباءه عن غيرهم، وإنما كان لساوي بينهم وبين غيرهم في مختلف المجالات.

وهذه هي السياسة الإسلامية الرشيدة التي طبقها أمير المؤمنين (عليه السلام) على نفسه وعلى أقربائه قبل أن يطبقها على سائر الناس، ويطلبهم بالعمل عليها.

فمن أراد سياسة الإسلام فليتعلم من علي بن أبي طالب تلميذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وربيب القرآن، وحجة الله على الخلق أجمعين.

وفيما يلي نذكر نماذج من كيفية معاملته مع أقربائه في الأمور العامة.

مع أخيه عقيل

روى الشيخان الجليلان الكليني (رضي الله عنه) في الكتاب الشريف (الكافي)، والمفيد (رضي الله عنه) في (الاختصاص) بأسانيدهما الصحيحة عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال:

«المالي علي (عليه السلام) صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إني والله لا أرزؤكم من فيئكم درهماً ما قام لي عذق بيثرب فليصدقكم أنفسكم، أفتروني مانعاً نفسي ومعطيكم.

قال: فقام إليه عقيل فقال له:

والله... لتجعلني وأسود بالمدينة سواء!!

فقال (عليه السلام): اجلس، أما كان هاهنا أحد يتكلم غيرك؟ وما فضلك عليه إلا بسابقة أو بتقوى»^(٢١٨).

ليس لأخ أمير المؤمنين، أخ سيد الأوصياء، أخ الرئيس الأعلى للمسلمين فضل على غيره في العطاء والمال.

إنما الفضل عند الله بسابقة في الإسلام، وبتقوى من الله .

ومع عقيل أيضاً

أخرج ابن شهر آشوب في (المناقب) عن (جمل أنساب الأشراف) قال :

«قدم عقيل على علي (عليه السلام) فقال للحسن (عليه السلام) : اكس عمك، فكساه

قميصاً من قميصه، ورداءً من أرديته .

فلما حضر العشاء فإذا هو خبز وملح .

فقال عقيل : ليس إلا ما أرى ؟

فقال (عليه السلام) : أوليس هذا من نعمة الله فله الحمد كثيراً ؟

فقال عقيل : أعطني ما أقضي به ديني، وعجل سراحي حتى أرحل عنك .

قال (عليه السلام) : فكم دينك يا أبا يزيد ؟

قال : مائة ألف درهم .

قال (عليه السلام) : والله ما هي عندي ولا أملكها، ولكن اصبر حتى يخرج عطائي

فأواسيكه، ولولا أنه لا بد للعيال من شيء لأعطيتك كله .

فقال عقيل : بيت المال في يدك وأنت تسوفني إلى عطائك؟ وكم عطاؤك، وما عسى يكون،

ولو أعطيتنيه كله ؟

فقال (عليه السلام) : ما أنا وأنت فيه إلا بمنزلة رجل من المسلمين .

وكانا يتكلمان فوق قصر الإمارة مشرفين على صناديق أهل السوق

فقال له علي (عليه السلام) : أن أبيت يا أبا يزيد ما أقول فانزل إلى بعض هذه الصناديق

فاكسر أقفاله وخذ ما فيه .

فقال : وما في هذه الصناديق ؟ . قال : فيها أموال التجار .

قال : أتأمرني أن أكسر صناديق قوم قد توكلوا على الله وجعلوا فيها أموالهم ؟

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : أتأمرني أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم

وقد توكلوا على الله وأقفلوا عليها . ثم قال له علي (عليه السلام) في صيغة استشارة إيمانه

وخلقه: وإن شئت أخذت سيفك وأخذت سيفي وخرجنا جميعاً إلى الحيرة فإن بها تجاراً
مياسير، فدخلنا على بعضهم وأخذنا ماله.

فقال عقيل: أو سارق جئت؟

قال: تسرق من واحد خير من أن تسرق من المسلمين جميعاً^(٢١٩).

هذه هي خلاصة السياسة الإسلامية مع الأقرباء في منطق أمير المؤمنين (عليه السلام).
إنه (عليه السلام) يعتبر إعطاء شيء زائد لأخي خليفة الله في الأرض سرقة من المسلمين
جميعاً.

وكذلك مع أخيه عقيل

وجاء في الخطبة^(٢٢٤) من (نهج البلاغة) ما يلي:

«والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق^(٢٢٠) حتى استماحني من بركم صاعاً^(٢٢١) ورأيت صبيانه
شعث الشعور^(٢٢٢) غبر الألوان^(٢٢٣) من فقرهم، كأنما سودت وجوههم بالعظم^(٢٢٤).
عاودني مؤكداً، وكرر عليّ القول مردداً.

فأصغيت إليه سمعي، فظن أنني أبيعته ديني، وأتبع قياده^(٢٢٥) مفارقاً طريقتي.

فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها.

فضج ضجيج ذي دنف^(٢٢٦) من ألها، وكاد أن يحترق من ميسمها^(٢٢٧).

فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل^(٢٢٨).

أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجريني إلى نار سجرها جبارها لغضبه؟

أتئن من الأذى، ولا أتئن من لظى؟^(٢٢٩).

في هذه الجمل غرائب.. وغرائب يذكرها الإمام علي (عليه الصلاة والسلام) فيما لو أردنا
أن نقيسها بما يمارسه الحكام، والقضاة، والموظفون..

وللملاحظة نذكر ما يلي:

«استماحني من بركم» فالطعام للأمة، وليس لأmir المؤمنين، وإن كان رئيساً أعلى وإماماً

من الله تعالى على الناس أجمعين.

«أبيعه ديني» في منطق أمير المؤمنين (عليه السلام) إعطاء صاع واحد أي : ثلاثة كيلوات من حنطة المسلمين إلى أخيه عقيل الفقير . . الفقير . . الذي أغبر لون أولاده من الجوع، هذا بيع الدين . .

«فأحميت له حديدة» عقيل كان آنذاك مكفوفاً لا يبصر، فأحمى له الإمام حديدة، وقرب الحديدة من جسمه، ولم يلصقها به، فقط لكي يتصور عقيل أن الحرارة مصير المخالف للحق، فيعذر أخاه أمير المؤمنين (عليه السلام) في منعه صاعاً من البر زيادة على عطائه وحقه .
«ثكلتك الثواكل» إن هذا الأمر البسيط عند كثير من الناس عظيم عند علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى ليستحق أن يقول لأخيه في مثل ذلك : «ثكلتك الثواكل» .
ذلك : لأن الحق عظيم، وإن كان صغيراً وقليلًا .

«ولا أئن من لظى» في فلسفة أمير المؤمنين (عليه السلام) يعتبر خيانة صاع واحد من أموال المسلمين مستوجباً لنار جهنم . .
فليفتح الرؤساء، والحكام، والوزراء، والموظفون أبصارهم، لكي يحسنوا معرفة موقفهم، ومسؤوليتهم . .

ومع أخته

أخرج الشيخ الجليل المفيد (رضي الله عنه) في (الاختصاص) حديثاً مطولاً جاء فيه : «ثم ترك يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) التفضيل لنفسه وولده علي أحد من أهل الإسلام .
دخلت عليه أخته أم هاني بنت أبي طالب فدفع إليها عشرين درهماً .
فسألت أم هاني مولاتها العجمية فقالت : كم دفع إليك أمير المؤمنين ؟
فقالت : عشرين درهماً .
فانصرفت مسخطة .

فقال لها علي (عليه السلام) : انصرفي رحمك الله ما وجدنا في كتاب الله فضلاً لإسماعيل علي إسحاق^(٢٣٠) .

أخت أمير المؤمنين، بنت أبي طالب، بنت عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هاشمية

قرشية عربية أصيلة يجب أن لا تفضل في العطاء على مولاة أعجمية .
هذه سياسة الإسلام العادلة التي مثلها أمير المؤمنين (عليه السلام) لكي يكون الميزان
الصحيح عبر كل الأجيال والعصور، يوزن به القادة في كل زمان ومكان .

ومع ابنته

روى المؤرخون: «إنه بعث إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) من البصرة من غوص البحر
بتحفة لا يدري ما قيمته، فقالت له ابنته أم كلثوم: يا أمير المؤمنين أتجمل به ويكون في عنقي؟
فقال علي (عليه السلام) لخازن بيت المال أبي رافع: يا أبا رافع أدخله إلى بيت المال .
ثم قال لابنته: ليس إلى ذلك سبيل حتى لا تبقى امرأة من المسلمين إلا ولها مثل
مالك» (٢٣١) .

بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) ينبغي لها أن لا تلبس ما لا تلبسه جميع النساء
المسلمات . وهل لهذه النادرة نظير في قاموس السياسة والسياسيين؟
وهل نساء القادة يكون مستوى معيشتهم وملابسهن كأضعف نساء الشعوب؟
تلك هي سياسة الإسلام التي ندعو العالم إليها، لينعم الجميع في ظل الكرامة الإنسانية
التي جعلها الله للإنسان، وخلق الإنسان لها .

ومع زوجته

وأخرج (المناقب) عن أم عثمان أم ولد أمير المؤمنين (عليه السلام) .
قالت: «جئت علياً (عليه السلام) وبين يديه قرنفل مكتوب في الرحبة، فقلت: يا أمير
المؤمنين هب لابنتي من هذا القرنفل قلادة .
فقال (عليه السلام): هاك ذا، ونفذ بيده إليّ درهماً .
ثم قال (عليه السلام): فإنما هذا للمسلمين أولاً، فاصبري حتى يأتينا حظنا منه فنهب
لابنتك قلادة» (٢٣٢) .

ومع صهره

عبد الله بن جعفر الطيار، ابن أخيه، وصهره على ابنة عقيلة الهاشميين زينب الكبرى

(عليها السلام). وكان رجلاً صالحاً مؤمناً، من سادات بني هاشم، كريماً يطعم الناس، وله سفرة مفتوحة صيفاً وشتاءً، وليلاً ونهاراً.

ضاق عليه الدنيا ذات مرة، فجاء إلى عمه أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: يا أمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فوالله مالي نفقة إلا أن أبيع دابتي. فقال (عليه السلام) له: لا والله ما أجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك^(٢٣٣).

هذه هي سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) مع أقربائه!

تطبيق دقيق لسياسة الإسلام في كل المستويات.

سياسة علي (عليه السلام) مع موظفيه

رقابة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للموظفين كانت في رأس سياسته الإدارية لهم. إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا يريد الموظفين لكي يسبحوا باسمه شأن كثير من الحكام والساسة وإنما يريدهم يسبحون باسم الله تعالى، يريدهم على طريق الله دقيقاً وكاملاً ودائماً، لذلك: فكما تم نصبهم على يده، كذلك يرى نفسه مسؤولاً عن تصرفاتهم.

فكان ينصحهم، ثم يوجههم، ثم يعاتبهم على تصرفات غير لائقة، ثم إن لم يفد ذلك كله كان يعمد إلى عزلهم، وعقوبتهم إن استحقوا العقوبة.

فالحصانة الدبلوماسية، والحصانة الإدارية، وحصانة الوظيفة، ونحو هذه المصطلحات لا مفهوم لها عند علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذا خرج الدبلوماسي عن الحق، وجار الإداري، وعمد الموظف إلى ما لا يليق به من إجحاف، أو ظلم، أو عدم اهتمام بالأمة..

فالأصل في اختيار الموظف وإبقاء الموظف هو واحد في منطلق أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يختلف أحدهما عن الآخر:

(الله: والأمة) هذا هو الأصل الأصيل في اختيار الموظف، وهذا هو الأصل الأصيل في الإبقاء على الموظف.

وقد حفظ التاريخ في هذا المجال: أن بعض المقربين إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فعل ما استوجب به العقوبة، ففر عن علي (عليه السلام)، فأخذه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)

فقال للإمام: «والله إن المقام معك لذل، وإن تركك لكفر»^(٢٣٤). يريد بذلك: أنك لا تفرق بين أصدقائك وغيرهم ولا تسامحهم بما لا تسامح به غيرهم.

عزل الوالي فوراً

ذكر في التاريخ: إن امرأة من بني همدان اسمها (سودة بنت عمارة) شكت إليه والياً فعزله الإمام (عليه السلام) والتفصيل كما يلي:

أخرج الإربلي في (كشف الغمة) عن كتاب (ابن طلحة) عن سودة بنت عمارة الهمدانية في حديث دخولها على معاوية قالت: «والله لقد جئته تعني أمير المؤمنين (عليه السلام) في رجل كان قد ولّاه صدقاتنا فجار علينا.

فصادفته قائماً يصلي، فلما رأيته انفتل من صلاته ثم أقبل علي بلطف ورفق ورحمة وتعطف وقال:

ألك حاجة؟

قلت: نعم، فأخبرته الخبر.

فبكى (عليه السلام) ثم قال: رافعاً طرفه إلى السماء: «اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم، وأني لم أمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك».

ثم أخرج (عليه السلام) قطعة جلد فكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم» «قد جاءكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين»^(٢٣٥).
فإذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه.
والسلام».

قالت: ثم دفع الرقعة إلي، فوالله ما ختمها بطين، ولا خدمها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه، فانصرف عنا معزولاً^(٢٣٦).

وللبحث الفقهي والحكم الشرعي في هذه المسألة مجال آخر واسع غير مثل هذا الكتاب الذي وضع لبيان النقاط في اختصار، والإمام السريع بسيرة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

السياسية، لكي نستلهم منها ومن سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دروس السياسة الصحيحة في تاريخنا المعاصر .

التعليم العملي للوالي

أخرج الإربلي أيضاً عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال :
«وكان (عليه السلام) قد ولى علي عكبرا^(٢٣٧) رجلاً من ثقيف، قال : قال لي علي (عليه السلام) : إذا صليت الظهر غداً فعد إليّ، فعدت إليه في الوقت المعين . . . فوجده جالساً وعنده قرح وكوز ماء، فدعا بوعاء مشدود مختوم . فقلت في نفسي : قد أمني حتى يخرج إليّ جوهرًا . فكسر الختم وحله فإذا فيه سويق . فأخرج منه، فصبه في القدح، وصب عليه ماءً، فشرب وسقاني، فلم أصبر .

فقلت له : يا أمير المؤمنين أتصنع هذا في العراق وطعامه كما ترى في كثرته . فقال : أما والله ما أختم عليه بخلاً به، ولكنني أبتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن ينقص، فيوضع فيه من غيره، وأنا أكره أن أدخل بطني إلا طيباً . فلذلك احترز عليه كما ترى .

ثم قال (عليه السلام) : «فياك وتناول ما لا تعلم حله»^(٢٣٨) .

العزل لرفع الصوت

أخرج النووي (رضي الله عنه) في (مستدرک الوسائل) عن كتاب (غوالي الثالي) قال : «روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) ولى أبا الأسود الدؤلي القضاء ثم عزله . فقال أبو الأسود له : لم عزلتني وما خنت ولا جنيت ؟ فقال (عليه السلام) : «إني رأيت كلامك يعلو كلام خصمك»^(٢٣٩) .

المتخاصمان إنسانان محترمان في منطق الإسلام، وليس للقاضي أن يهينهما بأية إهانة، ورفع الصوت نوع إهانة، وليس ذلك من أدب الإسلام في القضاء . . .

(إذن) ينبغي أن يعزل القاضي الذي يمارس ذلك، وإن كان مثل أبي الأسود الدؤلي في

علمه وفضله، وخلقه وقربه من أمير المؤمنين (عليه السلام) فإن الحق لا مدهانة فيه في منطق علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وقد كتب المحدث القمي (رضي الله عنه) عن أبي الأسود الدؤلي ما يلي :
«أبو الأسود الدؤلي، أحد الفضلاء الفصحاء من الطبقة الأولى من شعراء الإسلام، وشيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان من سادات التابعين وأعيانهم .
وهو بصري يعد من الفرسان والعقلاء»^(٢٤٠).

وهو واضع علم النحو بإشارة من أمير المؤمنين (عليه السلام).

أرفع إلي حسابك

بالرغم من أن سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياة من تقدمه كانت خير معرف له (عليه السلام) في مستقبل حياته، وكان الولاة والموظفون الذي يبتهم هنا وهناك يعرفون أسلوب أمير المؤمنين (عليه السلام) جيداً ..

لكن مع ذلك كله لم يكن ليفوت علياً (عليه السلام) مراقبة أحوال ولاته وعماله ومحاسبتهم لكي لا يظلم بعضهم الناس ..

كتب (عليه السلام) إلى بعض ولاته وقد بلغه عنه بعض سوء التصرف :

«أما بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت قد فعلته فقد أسخطت ربك

وعصيت إمامك .

وأخزيت أمانتك .

بلغني : أنك جردت الأرض، فأخذت ماتحت قدميك، وأكلت ماتحت يديك . فارفع إليّ

حسابك .

واعلم : أن حساب الله أعظم من حساب الناس والسالم»^(٢٤١).

الناس في منطق الإسلام أحرار، لا يطالب أحد منهم بحساب، ولا يقال لأحد منهم : (من

أين لك هذا) قضاءً لحكم الله تعالى العام الشامل :

«ضع أمر أخيك على أحسنه»^(٢٤٢).

الذي يصطلح عليه الفقهاء بـ(أصالة الصحة) طبعاً إلا في بعض حالات استثنائية من باب (المهم والأهم) المستفادين من نفس الشريعة الإسلامية:

أما الوالي، والحاكم، والعامل والموظف الكبير، فيقال له: «من أين لك هذا»؟
ويحاسب في أمواله، وما عنده.

ويهدد بحساب الله الذي هو أعظم.. وأشد.

إرساءً للعدل، وأماناً للأمة عن الظلم والحيث.

لئن خنت

كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بعض عماله وهو زياد بن أبيه، وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة كتاباً كما يلي:

«وإني أقسم بالله صادقاً لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً...

لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفرة، ثقیل الظهر، ضئیل الأمر والسلام»^(٢٤٣).

(العامل) يعني الموظف الذي يختاره الإمام (عليه السلام) لسياسة البلدان وإدارتها لا بد

وأن يتوفر فيه شرطان:

العلم، والعدالة.

فيجب أن يكون عالماً بأحكام الإسلام، والحلال والحرام، وكيفية الوساطة في الأمور بين الله

تعالى وبين خلقه.

ويجب أن يكون عادلاً، مؤمناً، خيراً، لا فاسقاً، ظالماً، مجحفاً.

والعامل الذي اجتمع فيه العلم والعدالة لماذا كل هذا التهديد الشديد معه؟

إنه صرامة الحق، وحدثه التي هي أشد من حد السيف..

فخيانة أموال المسلمين خيانة للمسلمين، وخيانة لأمر المؤمنين، وخيانة لله تعالى.

ومن مارس مثل هذه الخيانات المجتمعة يستحق مثل هذا التوقيع.

هكذا يؤدب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عمال البلاد في سياسة الإسلام، وهكذا

ينبغي أن يكون تأديب الإمام للولادة، والعمال، والموظفين، لكي يأمن المسلمون من الخيانة والحيف .

وقد قال الإمام علي (عليه السلام) في كلام آخر له :

«وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة

وأفزع الغش غش الأئمة»^(٢٤٤).

مسؤولية البقاع والبهائم

وجاء في بعض خطبه (عليه السلام) التي خطبها في أوائل خلافته ما يلي :

«اتقوا الله في عباده وبلاده،

فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم»^(٢٤٥).

(المسؤولية) في منطق أمير المؤمنين (عليه السلام) لا تخص الإسلام والإيمان فقط، ولا

المسلمين والمؤمنين فحسب، ولا الرجال والنساء فقط، ولا البشر فقط، وإنما هي تعم ما خلق

الله تعالى مما يمكن للبشر الاستفادة منه في خير أو شر، بحق أو باطل، في هداية أو ضلالة، وما

إليها ..

حتى الأرض، والتراب والبلاد، والبر والبحر .. الناس مسؤولون عنها بشتى أنواع

المسؤولية: سكنها، زراعتها، تركها، إسرافها، ونحو ذلك . وحتى البهائم والحيوانات ..

الإنسان مسؤول أمام الله تعالى عنها: ظلمها والرحمة بها، الاستفادة منها في خير أو شر،

تبذيرها وإسرافها .. وغير ذلك .

(هذه) هي حدود المسؤولية في سياسة علي بن أبي طالب (عليه السلام) فليعتبر بذلك

الأمة والقادة .

وليصححوا المسيرة على هدى أمير المؤمنين (عليه السلام) .

الحرية في حكومة أمير المؤمنين (عليه السلام)

كان عصر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) عصرًا نعم فيه الناس

بالحرية الواسعة الإسلامية، خصوصاً بعد أن كان عهد عثمان بن عفان متميزاً بالقسوة

والفظاظة، حتى أن مثل الصحابي الجليل أبي ذر (رضوان الله عليه) الذي أطرى عليه رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) كرات ومرات، كان لا يجد مجالاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذه الحرية الإسلامية التي فسح لها المجال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت أشبه شيء بالخريات التي منحها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للناس في صدر الإسلام، فكما كان يعيش في المدينة المنورة وحواليها حتى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بجنب المسلمين، المشركون واليهود والنصارى والمنافقون، مختلطين في دورهم وأسواقهم يتعاملون ويمارسون حرياتهم المتبادلة في ظل الإسلام العظيم.

كذلك كان المسلمون، واليهود، والنصارى، والمجوس، والمشركون، بل كل البشر يعيشون في ظل الإسلام عيشة محترمة هائلة، في عزة ورفاه في عصر أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وقد أثر عنه (عليه السلام) في هذا المجال: «فإنهم أي الناس صنفان إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق»^(٢٤٦).

هذه الكلمة الفذة العظيمة الخالدة التي تفسح المجال لاحترام البشر بما هو بشر، لكي ينظر إليه الناس من هذا المنظار فتجمعهم جميعاً كلمة العدل وحق الإنسانية.

وبحق نقول: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو واضع الأسس العميقة للحرية بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأقواله، ومنفذ ثابت للحرية بأعماله وممارساته في أوساط الأمة. ومما ورد في نهج البلاغة عنه (عليه السلام) في الحث والتحريض على الحرية قوله (عليه السلام):

«ألا حرّ يدع هذه اللماظة»^(٢٤٧) «(٢٤٨).

«لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»^{(٢٤٩).}

«أيها الناس إن آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وإن الناس كلهم أحرار، ولكن الله خول بعضكم بعضاً»^{(٢٥٠).}

وهكذا كان علي (عليه السلام) هو أول من طبق هذه الأقوال على حياته العملية وأسس

حكومة إسلامية عادلة حرة، الناس فيها أحرار، على وتيرة دولة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تماماً. وإليك بعض الأمثلة لذلك :

ابن الكوا

كان ابن الكوار جلاً منافقاً خارجياً ملعوناً^(٢٥١) مشاكساً لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) في أوج حكومته الواسعة التي كانت ذلك اليوم أوسع حكومة على وجه الأرض، وكان علي (عليه السلام) بالإضافة إلى أنه إمام من عند الله والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أكبر حاكم على الكرة الأرضية. فكان يلقي اعتراضاته على أمير المؤمنين (عليه السلام) في أوساط العامة، وبصورة شرسة.

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه)^(٢٥٢) عن كتاب (المناقب) بسنده: كان علي (عليه السلام) في صلاة الصبح، فقال ابن الكوا من خلفه: «ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين»^(٢٥٣).

فأنصت علي (عليه السلام) تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية.

ثم عاد علي (عليه السلام) في قراءته.

فأعاد ابن الكوا: «ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك

ولتكونن من الخاسرين».

فأنصت علي (عليه السلام) أيضاً تعظيماً للقرآن.

ثم عاد علي (عليه السلام) في قراءته.

فأعاد ابن الكوا: «ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك

ولتكونن من الخاسرين».

فأنصت (عليه السلام) أيضاً تعظيماً للقرآن.

فلما أتم ابن الكوا قراءة الآية للمرة الثالثة قرأ علي (عليه السلام).

«فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون»^(٢٥٤).

ثم أتم السورة وركع (عليه السلام)^(٢٥٥).

أية حرية للناس هذه التي تسمح لرجل منافق أن يتهجم على الرئيس الأعلى للعالم الإسلامي وهو مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حال الصلاة ويتعرض له (عليه السلام) بالشرك والحبط ..

ثم ينصت له الإمام (عليه السلام) تعظيماً للقرآن الكريم . ويتكرر الأمر ثلاث مرات .

ويتم الإمام (عليه السلام) صلاته دون أن يفعل بابن الكواء شيئاً .

ويعود ابن الكواء إلى مسيرته السابقة كأن لم يكن شيئاً مذكوراً .

أين هذه الحرية من حرية البلاد الحرة في عالم اليوم ؟

وهل يجزأ إنسان عادي لمثل ذلك مع أي رئيس أوزعيم ؟

وإن حصل هذا فهل يمر بسلام ؟

لا يجيب عليه التاريخ إلا بالنفي، حتى في هذا اليوم، في أكثر بلاد العالم حرية . وهذا ما

طبقه علي (عليه السلام) من الحرية الإسلامية .

فليسمع الذين يقولون : لا حرية في الإسلام .

أبو هريرة

كان أبو هريرة الذي تربى في بعض العهود السابقة على البذخ والترف، فجاءه عصر علي

بن أبي طالب (عليه السلام) بحر الحق ودقة الإسلام وضبط العدل ..

فلم يرقه ذلك، فوقف في وجه علي (عليه السلام) معاتباً مشاكساً يريد أن يعلم علي بن

أبي طالب (عليه السلام) سياسة الإسلام وتطبيق حكم القرآن .

كأنه لم يسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في علي (عليه السلام)

الكثير .. والكثير من الفضائل والحسنات .

مثل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما

دار» (٢٥٦) .

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «علي وارث علمي وحكمتي» (٢٥٧) .

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من

بابها»^(٢٥٨). إلى المثات . . والألوف من نظرائها.

كل ذلك من أبي هريرة .

أما من علي (عليه السلام) فلم يؤثر ذلك كله في أن يغير موقفاً منه تجاه أبي هريرة .
بل بالعكس كان علي (عليه السلام) يقضي حوائج أبي هريرة بعد ذلك أيضاً، انظر هذه
القطعة التاريخية :

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) عن (المنقب) قال :

«وجاء أبو هريرة إلى علي (عليه السلام) وكان تكلم فيه وأسمعه في اليوم الماضي وسأله
حوائجه فقضاها .

فعاتبه أصحابه على ذلك فقال (عليه السلام) : إني لأستحي أن يغلب جهله علمي ،
وذنبه عفوي ، ومسألته جودي»^(٢٥٩).

وأبو ذر (رضي الله عنه) وهو الصحابي العظيم الجليل ، يتكلم بالحكم الشرعي في مجلس
عثمان وهو الرجل المعروف ، فلم يكن له جزاء سوى الضرب ، والحبس ، والتهجير ، والجوع ،
والإذلال ، والموت .

أما أبو هريرة وهو المعروف بأحاديثه الموضوعة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .
أولاً : يجراً أن يتكلم على علي بن أبي طالب (عليه السلام) في وجهه .
وثانياً : هو يعلم بالحرية الإسلامية التي يمارسها أمير المؤمنين (عليه السلام) فلا يخاف بطشاً
ولا عقوبة .

وثالثاً : لا يعاقبه علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالرغم من علمه بأن أبا هريرة عاص
ومذنب في هذا الصنيع ، ساحق للحق ، يبحث عن الباطل والظلم .

ورابعاً : يجراً أبو هريرة في الغد أن يطلب إلى علي (عليه السلام) حوائجه .
 وخامساً : بالفعل يقضي علي (عليه السلام) حوائجه .

كأن لم يكن شيئاً مذكوراً .

ثم يعاتبه أصحابه على ذلك ، فيجيبهم بمنطق العلم والعفو والجود . . .

هذه هي حرية الإسلام، في هذا المستوى الرفيع .

عطاء الخوارج

الخوارج حاربوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

وشهروا السيوف عليه وعلى أصحابه .

وقتلوا الألو ف والألو ف من المؤمنين والمؤمنات من أصحاب علي (عليه السلام)

وشيعته .

وأقاموا على علي (عليه السلام) حرباً عظيمة .

ومع ذلك كله حفظ التاريخ لأمير المؤمنين (عليه السلام) :

«أنه لم يقطع عطاء الخوارج من بيت المال»^(٢٦٠) .

أية حرية هذه وفي أي بعد؟

أين يوجد نظير لهذه الحرية في التاريخ، ما عدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن

كان في خط الله تعالى وخط رسل الله وأوليائه؟

بايعوا ضباً

أجمعت الأمة على بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد مقتل عثمان بيعة ثانية بعد ما

كانوا قد بايعوه قبل خمسة وعشرين عاماً في غدير خم بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

وسلم) في منصرفه من حجة الوداع^(٢٦١) .

وبايعه ثمانية من المنافقين فيمن بايعوه .

ثم خلعوا بيعته بين أنفسهم وبايعوا ضباً في الصحراء .

اقرأ القطعة التاريخية التالية :

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في (البحار) عن ابن شهر آشوب في (المناقب)^(٢٦٢)

والقطب الراوندي في (الخرايج)^(٢٦٣)، والشيوخ الصدوق في (الخصال)^(٢٦٤)، والصفار في (بصائر

الدرجات)^(٢٦٥)، وغيرهم بأسانيدهم عن الأصمغ بن نباتة قال :

أمرنا أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمسير إلى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد، وتحلف

عمرو بن حريث في سبعة نفر، فخرجوا إلى مكان بالحيرة يسمى الخورتق، فقال: نتنزه فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلحقنا علياً قبل أن يجمع (أي: قبل أن يصلي صلاة الجمعة).

فبينما هم يتغدون إذ خرج عليهم صب فصادوه.

فأخذهم عمرو بن حريث فنصب كفه (أي: كف الضب) وقال:

بايعوا، هذا أمير المؤمنين.

فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم.

ثم أفلتوه وارتحلوا.

وقال: إن علي بن أبي طالب يزعم أنه يعلم الغيب، فقد خلعناه وبايعنا مكانه ضباً.

فقدموا المدائن يوم الجمعة وأمير المؤمنين (عليه السلام) يخطب.

ولم يفارق بعضهم بعضاً، فكانوا جميعاً حتى نزلوا على باب المسجد، فلما دخلوا نظر

إليهم أمير المؤمنين (عليه السلام) من فوق المنبر وقد قطع حديثه، فقال:

«يا أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسر إلي ألف حديث لكل حديث

ألف باب، لكل باب ألف مفتاح.

واني سمعت الله جل جلاله يقول: «يوم ندعو كل أناس بإمامهم»^(٢٦٦).

واني أقسم لكم بالله، ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب. ولو شئت أن

أسميهم لفعلت».

قال الأصمغ بن نباتة: فلقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما يسقط السعفة حياً ولؤماً،

وجبناً وفرقاً^(٢٦٧).

كيف يأمن هؤلاء الثمانية أن ينكثوا بيعتهم؟

يبعثهم لأمر المؤمنين (عليه السلام) الذي اعتبره القرآن الحكيم نفس رسول الله (صلى

الله عليه وآله وسلم) في آية المباهلة^(٢٦٨).

ثم يتمادوا في غيرهم فبايعوا ضباً يغالاً منهم في إهانة أمير المؤمنين قسيم الجنة والنار.

وموقف أمير المؤمنين (عليه السلام) منهم موقف العطف والرحمة، يعرفهم، ويخبر عنهم،

ومع ذلك يججم عن ذكر أسمائهم لكي لا يحطمهم الناس ..

ومع ذلك كله يظل الثمانية على نفاقهم وضلالهم .

مثل هذه الحرية لا توجد إلا في الإسلام .

ولا يمثلها إلا حاكم إسلامي عادل مثل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير

المؤمنين (عليه السلام)، ومن كانت سيرته متابعة لسيرتهما .

وساطة في التزويج

كانت الكوفة تجمع خليطاً من العرب، والفرس، وغيرهما من الأمم الذين دخلوا في الإسلام

في العصور المتأخرة عن وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ..

وكانت القومية قد ركزت في قلوب بعضهم، نتيجة ضعف أسس الإسلام العالمية في

نفوسهم ..

لذلك : جعل بعض العرب يمتنع عن تزويج غير العرب .

فجاء غير العرب إلى أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) فذكروا له ذلك، وطلبوا إلى

أمير المؤمنين (عليه السلام) أن ينصحهم ويقوم بدور الوساطة في ذلك .

ففعل علي (عليه السلام) ذلك، ولم يستجب أولئك لعلي (عليه السلام) .

أية حرية هذه التي يسعى أمير المؤمنين (عليه السلام) في التزويج، فلا تقبل وساطته، ولا

يحرك ساكن؟

هذه هي حرية الإسلام .

صلاة التراويح

كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي نوافل شهر رمضان فرادى ولم يجز أن تصلى

جماعة، حتى أن المسلمين اجتمعوا خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في إحدى

ليالي شهر رمضان فلما أتم الصلاة خرج من المسجد وذهب (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى

البيت ولم يسمح لهم في ذلك (٢٦٩) .

وكان الوضع هكذا في عهد أبي بكر .

وكذلك في فترة من عهد عمر بن الخطاب .

ثم رأى عمر أن تصلى هذه النوافل جماعة وسميت ب(صلاة التراويح) وجرى على ذلك عثمان بن عفان .

فلما جاء أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى الحكم منع عن التراويح كما لم يسمح بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

غير أن جماعة من المسلمين حيث كانوا قد تعودوا صلاتها سنين طويلة خرجوا في مظاهرة ضد المنع عن التراويح . .

فلما بلغ الخبر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أمر بأن يتركوا ليفعلوا ما شاؤوا . وهذا من مصاديق الحرية في الإسلام حيث يدع الرئيس الأعلى للإسلام والمسلمين الناس يخالفونه، ولا يعاقبهم بشيء .

اتق الله

أخرج في (المناقب) عن (مسند أحمد بن حنبل) قال :

قال الجعد بن نعجة الخارجي لأمير المؤمنين (عليه السلام) : اتق الله يا علي إنك ميت . قال (عليه السلام) له : « لا بل والله قتلا، ضربة على هذا وأشار إلى رأسه الشريف قضاءً مقضياً، وعهداً معهوداً، «وقد خاب من افتري» (٢٧٠)، (٢٧١) .

أترى من يجراً أن يقول لحاكم يحكم أكبر دولة في العالم مثل هذا القول إلا ويسجل القائل اسمه في سجل الأموات . . ؟

فلا جزاء له في المنطق غير الإسلام، سوى السجن والتعذيب، والقتل في النهاية . ولكن الرجل الخارجي يقول هذه الكلمة بكل حرية واطمئنان دون وجل أو رعب، ويهين بهذه الجملة مثل أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم لم يكن له جزاء من أمير المؤمنين إلا فتح باب من أبواب الغيب الذي علمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإشفاعه بتطبيق قرآن يكذب به القائل «وقد خاب من افتري» (٢٧٢) .

فالرجل مفتر في قوله : إنك ميت، لأن الله تعالى يقول : «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل

الله أمواتاً * بل أحياء عند ربهم يرزقون» (٢٧٣).

وهذا منطوق الكلمة حيث يحل محل منطوق السيف .

وهذه هي الحرية التي لا توجد إلا في الإسلام .

سؤال بتعنت

أخرج المحدث القمي (رضي الله عنه) عن عبد العزيز الجلودي في كتاب (الخطب) قال :
خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : «سلوني فإني لا أسأل عن شيء دون العرش
إلا أجبته فيه، لا يقولها بعدي إلا جاهل مدع، أو كذاب مفتر» .

فقام رجل من جانب مجلسه وفي عنقه كتاب كأنه مصحف وهو رجل آدم ضرب، أي :
خفيف اللحم، طوال، جعد الشعر كأنه من مهودة العرب فقال رافعاً صوته لعلي (عليه
السلام) : أيها المدعي ما لا يعلم، والمقلد ما لا يفهم أنا السائل فأجب .

فوثب إليه أصحاب علي (عليه السلام) وشيعته من كل ناحية، فهموا به .

فنهروهم علي (عليه السلام)، فقال لهم : دعوه ولا تعجلوه فإن الطيش لا يقوم به حجج الله،
ولا به تظهر براهين الله .

ثم التفت (عليه السلام) إلى الرجل وقال له : سل بكل لسانك وما في جوارحك فإني
أجيبك .

ثم سأله الرجل عن مسائل فأجابته .

فحرك الرجل رأسه وقال :

«أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» (٢٧٤) .

هذا مفهوم الحرية عند علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

منطوق الكلمة .. لا منطوق العنف .

منطوق الحوار .. بدل منطوق الرصاص .

حرية الكلام سمحت للسائل المتعنت أن يخضع فيكون مؤمناً مؤدباً .

ومنطق البرهان فسح المجال لليهودي العنيد أن يكون مسلماً خاضعاً .

وهذا هو منطق الإسلام، ومفهوم الحرية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

العفو عن السب

ذكر المؤرخون في تاريخ أمير المؤمنين (عليه السلام) عند ما كان بالكوفة أيام خلافته:

أنه مرت امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هبابها،

فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلمس أهله، فإنما هي امرأة كامرأته.

فقال رجل من الخوارج وكان حاضراً هناك:-

قاتله الله كافراً ما أفقعه.

فوثب القوم ليقتلوه.

فقال علي (عليه السلام): رويدا إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب»^(٢٧٥).

هذا ما ذكر في التاريخ.

ولم أجد باقي القصة، وأن أمير المؤمنين (عليه السلام)، هل رد عليه السب لقوله تعالى:

«فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم»^(٢٧٦).. أم عفاه وتركه.

والظاهر أنه قد عفا عنه، لأنه لو كان فعل علي (عليه السلام) معه شيئاً لاقتضى أن يسجله

التاريخ أيضاً، وعدم ذلك دليل العفو عنه ظاهراً.

ولولا حرية الكلمة لما تجرأ الرجل الخارجي للتطاول على أمير المؤمنين (عليه السلام)

ونسبة الكفر إليه في وضح النهار، أمام عينيه وبمحضر أصحابه.

فالإمام (عليه السلام) بسياسته الرشيدة وحكمته السياسية ترك الناس وما يقولون، لعله

ليكون صمام أمان يتنفس به أصحاب الأمراض النفسية، كي لا تصل النوبة إلى حد السيف،

وقيام حرب ولو صغيرة داخل الكوفة.

وليس معنى ذلك: أن الإسلام يجوز لهذا الخارجي في أن يتفوه بمثل هذه الجملة، كلا،

فهذا الذي تكلم به الخارجي من أبشع الحرام، وأشنع الآثام، ولكن المقصود هو بيان ماللحاكم

الإسلامي الأعلى من سعة في منح الحريات للناس حتى لمثل هذا المنكر الفظيع .

تحليل الموقف

وإلا فالحكم الأولي الشرعي لمثل هذا الإنسان القتل .

لأن سب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسب الإمام (عليه السلام) حده القتل . .

كما قال المحقق في (الشرائع) ^(٢٧٧) وصاحب الجواهر في شرحه مزجاً:

(ومن سب الإمام العادل وجب قتله، بلا خلاف أجده فيه، بل في ظاهر المنتهى ومحكي

التذكرة الإجماع عليه كما عن صريح جماعة، وهو (عليه السلام) الحجة بعد قول النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم): «من سمع أحداً يذكرني فالواجب عليه أن يقتل من شتمني،

ولا يرفع إلى السلطان، وإذا رفع إليه كان عليه أن يقتل من نال مني» المتمم بعدم القول بالفصل

بينه وبين غيره من الأئمة (عليهم السلام) الذي سبهم أيضاً ^(٢٧٨) .

وأخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في (البحار) بأسانيد عدة عن ابن عباس: أنه مر

بمجلس من مجالس قريش وهم يسبون علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال لقائده لأنه كان

مكفوفاً وقتئذ: ما يقولون هؤلاء؟

قال: يسبون علياً (عليه السلام) .

قال: قربني إليهم .

فلما أن وقف عليهم قال: أيكم الساب الله؟

قالوا: سبحان الله، ومن يسب الله فقد أشرك بالله .

قال: فأيكم الساب رسول الله (عليه السلام)؟

قالوا: من يسب رسول الله فقد كفر .

قال: فأيكم الساب علي بن أبي طالب؟

قالوا: قد كان ذلك .

قال: فأشهد الله، وأشهد الله، لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

«من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله عز وجل» ^(٢٧٩) .

وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) رواه عنه عبد الله بن سليمان العامري قال :

قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : أي شيء في رجل سمعته يشتم علياً ويبرأ منه، قال : فقال لي : «والله هو حلال الدم» (٢٨٠).

«وروي أنه من ذكر السيد محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) أو واحداً من أهل بيته (عليهم السلام) بالسوء وبما لا يليق بهم، أو الطعن فيهم (صلوات الله عليهم) وجب عليه القتل» (٢٨١).

وفي (دعائم الإسلام) عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن رجل تناول علياً (عليه السلام) .

فقال : «إنه لحقيق أن لا يقيم يوماً» .

ثم قال (عليه السلام) : «ويقتل من سب الإمام كما يقتل من سب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» (٢٨٢).

والأحاديث الشريفة في ذلك تعد بالعشرات .

ولا أراني بحاجة في هذا المجال المختصر إلى سردها جميعاً .

الأهم والمهم في الإسلام

لكن مع ذلك لم يقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) الخارجي الذي سبه ولم يأمر بقتله، بل لم يدع أصحابه أن يقتلوه . . .

ذلك : للمصلحة الأهم، أو المفسدة في قتله، مما تخشان أمير المؤمنين (عليه السلام) في ظروفه الخاصة آنذاك، أو تعم الإسلام والمسلمين في ذلك الجو الخاص المحيط بهم، أو كلاهما .

وقد تكون تلك المصلحة مجرد إظهار عفو الإسلام وسماحته . . .

وربما تكون المفسدة : تصور بعض الجهال عنف الإسلام وقسوته .

أو : تمكن نشر المغرضين واتباع الشيطان أن الإسلام قاس عنيد .

أو لغير ذلك . . فهذه الأمور هي أهم من تنفيذ حكم واحد من أحكام عقوبات الإسلام،

وأجدر بالاهتمام، وأولى بالتنفيذ.

فدعاية السوء تؤثر سلباً أحياناً على الإسلام وعلى الأمة أكثر مما يؤثر إيجاباً تنفيذ بعض أحكام الإسلام. وفي هذا المجال يقول المحقق القمي (رضي الله عنه) ما مضمونه: «الذي أفتى به العلماء، وادعوا عليه إجماع الفقهاء، وجاء به النص الشرعي أن سباب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) يقتل، لكن يشترط أن لا يكون في تنفيذ هذا الحكم خوف فساد»^(٢٨٣).

ولذلك ورد الحديث الصحيح السند، في الكافي الشريف عن زرارة عن أحدهما يعني الباقر أو الصادق ٣ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لولا أنني أكره أن يقال: إن محمداً استعان بقوم حتى إذا ظفر بعدوه قتلهم، لضربت أعناق قوم كثير»^(٢٨٤).

فدعاية السوء ضد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو جبت أن يترك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قتل كثيرين ممن كانوا يستحقون القتل، أو يجب قتلهم لولا هذه الدعاية الظالمة..

من أصول سياسة الإسلام

وهذا أصل عميق من أصول سياسة الإسلام يستنبط منه الكثير من الأحكام السياسية الداخلية والخارجية الإسلامية.

وليس معنى ذلك: أن كل أحكام الله تعالى تتغير باستهزاء المستهزئين، بل معنى ذلك: أن استهزاء أو تهمة الإسلام، أو نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو أئمة الإسلام (عليهم السلام) بل وحتى مراجع الدين.. استهزاءً وتهمة ودعاية، تستوجب إضعاف الإسلام وتضعيف المسلمين وتخذيلهم وحملهم على الوهن أو الشماتة بهم ونحو ذلك.. وفي نفس الوقت تشجيع الظالمين والكافرين وفتح ألسنتهم بالسوء على الإسلام والمسلمين.

فهذه الأمور تستوجب عدم تطبيق بعض المواد من العقوبات الإسلامية حفظاً على علو الإسلام، وعظمته وشموخه..

لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»^(٢٨٥).

وبكلمة، فإذا ترتب على تنفيذ عقوبة إسلامية فساد عرف من جهة الشريعة أن مراعاته أهم من مراعاة تلك العقوبة، ترفع اليد عن إجراء العقوبة.

وقد صرحت بذلك الأحاديث الشريفة. من ذلك: الحديث الصحيح الإسناد الذي رواه الشيوخ الثلاثة الأجلة، الكليني^(٢٨٦)، والصدوق^(٢٨٧)، والطوسي^(٢٨٨) (رضوان الله عليهم) عن هشام بن سالم قال:

قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما تقول في رجل سبابة لعلي (عليه السلام)؟

قال: فقال لي: حلال الدم والله.

ثم قال (عليه السلام): لولا أن تعم بريئاً.

قال قلت: لأي شيء يعم به بريئاً؟

قال (عليه السلام): يقتل مؤمن بكافر ولم يزد على ذلك.

وقد علق العلامة المجلسي (رضي الله عنه) فيما نقل عن (مرآة العقول) هنا بقوله: «أي:

أنت أو البلية بسبب القتل من هو بريء منه».

لهذه الأمور ترك علي (عليه السلام) قتل الذي سبه ومنع من قتله.

وعندما نقيس قضية سب علي (عليه السلام) بمحضره وعفوه عن الساب على وجازتها

بقضايا أخرى لساسة معظم البلدان الإسلامية اليوم، تعرف البون الشاسع فيما بينهما..

فاليوم من يسب أحد رؤساء غالب البلدان الإسلامية، خصوصاً إذا كان في وجهه وبين

أصحابه، فأقل عقوبة له الحبس، والتعذيب، ومنعه عن حقوقه القانونية، وعن تجارته وكسبه،

ونحو ذلك، وقد يؤدي به ذلك إلى الإعدام، أو الموت تحت التعذيب القاسي.

وإنني أتذكر جيداً أن في عهد (عبد الكريم قاسم)^(٢٨٩) في العراق وضع قانون لمن يسب عبد

الكريم أن عقوبته السجن عشر سنوات، مع أنواع من التعذيب.

من هنا نعرف الحرية في ظل أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي هو المطبق الدقيق للإسلام

العظيم.

تخلفوا عن البيعة

بعد مقتل عثمان بن عفان، بايع المسلمون الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) وتخلف عن البيعة عدد من المنافقين .

لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يلزمهم البيعة .

وقد أراد بعض أصحابه إلزامهم بالبيعة، واستجاز في ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام)،

لكنه لم يقابل من طرف الإمام (عليه السلام) إلا بالرفض الشديد .

وذلك تحقيقاً لممارسة الحرية الإسلامية وإمعاناً من أجل منطق الكلمة، وكلمة المنطق، لا

كلمة السيف والعنف .

قال العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في البحار^(٢٩٠) :

«فخرج علي (عليه السلام) إلى المسجد

فبايعه الناس . .

وجاءوا بسعد بن أبي وقاص .

فقال (عليه السلام) : بايع .

قال : لا حتى يبايع الناس .

فقال (عليه السلام) : خلوا سبيله .

وجاءوا بابن عمر، فقالوا : بايع .

فقال : لا حتى يبايع الناس .

قال (عليه السلام) : ائتني بكفيل .

قال : لا أرى كفيلاً .

قال الأشتر : دعني أضرب عنقه .

قال (عليه السلام) : دعوه، أنا كفيله .

وبايعت الأنصار إلا نفرأ يسيراً منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وسلمة بن مخلد،

وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، وكعب بن مالك،

ونافع بن خديج، وفضالة بن عبيدة، وكعب بن عجرة، وكانوا عثمانية». ولم يكن رد فعل أمير المؤمنين (عليه السلام) على هذه التخلفات إلا النصيحة والدعوة إلى الحق فحسب.

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في (البحار) عن (الإرشاد) قال: «لما اعتزل سعد ومن سميناه أمير المؤمنين (عليه السلام) وتوقفوا عن بيعته حمد الله وأثنى عليه ثم قال فيما قال:»

«وأيم الله لأنصحن للخصم، ولأنصفن للمظلوم.

وقد بلغني عن سعد، وابن مسلمة، وأسامة، وعبد الله، وحسان بن ثابت أمور كرهتها. والحق بيني وبينهم»^(٢٩١).

هذا هو كل رد فعل أمير المؤمنين (عليه السلام) تجاه من تخلفوا عن بيعته بلا حجة لهم ولا منطق.

هنا تتجلى الحرية الإسلامية التي يمارسها الحاكم الإسلامي العادل منطق الكلمة، وسيف المنطق، لا منطق السيف.

مع علمي بغدرهما

بايع الزبير وطلحة في جمهور المسلمين الذين بايعوا علياً (عليه الصلاة والسلام) ثم طلبا من أمير المؤمنين (عليه السلام) الإذن لهما في العمرة لما رأوا من عدم تفريق علي (عليه السلام) في العطاء بينهما وبين سائر المسلمين، وعدم استجابته (عليه السلام) لهما في تسليم الكوفة والبصرة إليهما، إذ علم الإمام (عليه السلام) بالمؤامرة التي تمت بينهما وبين معاوية في ذلك. وكان علي (عليه السلام) يعلم أنهما لا يريدان العمرة، ولكنهما يريدان الغدر والحرب، ومع ذلك لم يمتنع الإمام (عليه السلام) من الإذن لهما قضاءً لممارسة الرئيس الحرية الإسلامية الرائعة.

فقد قال (عليه السلام) لهما حين استأذناه في الخروج إلى العمرة:

«لا والله ما تريدان العمرة، ولكن تريدان البصرة».

وقال (عليه السلام) لابن عباس وهو يخبره عن استئذانهما في العمرة:
«إني أذنت لهما مع علمي بما انطويا عليه من الغدر، فاستظهرت بالله عليهما، وإن الله سيرد
كيدهما، ويظفروني بهما»^(٢٩٢).

مخالفة شريح

قال ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) عند ذكره بعض أحوال (شريح): «وأقر علي
(عليه السلام) شريحاً على القضاء مع مخالفته له في مسائل كثيرة من الفقه، مذكورة في كتب
الفقهاء.

وسخط علي (عليه السلام) مرة عليه فطرده عن الكوفة ولم يعزله عن القضاء، وأمر بالمقام
(ببانيقيا) وكانت قرية قريبة من الكوفة أكثر ساكنيها اليهود، فأقام بهامدة حتى رضي عنه،
وأعادته إلى الكوفة»^(٢٩٣).

هل من كاره

بعد ما تمت البيعة لأمير المؤمنين (عليه السلام) وبإيع جمهور المسلمين، عمد أمير
المؤمنين (عليه السلام) إلى عمل لم يسبق له في التاريخ مثيل .

فقد أخرج ابن شهر آشوب في (المناقب) عن الراغب عن عمار بن عباس أنه قال: لما سعد
علي (عليه السلام) المنبر قال لنا:

«قوموا فتخللوا الصفوف ونادوا: هل من كاره؟

فتصارخ الناس من كل جانب: اللهم قد رضينا وسلمنا وأطعنا رسولك وابن عمه»^(٢٩٤).

إن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الخليفة بالحق من عند الله تعالى، ومع ذلك يمتنع عن
البيعة في أول الأمر لكي لا يقال عنها بيعة إكراه وإجبار.

ثم يبايعه الناس باختيارهم، ومن لم يبايع لم يجبره على البيعة ومع ذلك كله: يأمر بتخلل
الصفوف لعل هناك من كاره فيمنحه أمير المؤمنين (عليه السلام) حرية البيعة، وحرية
الكلام، وحرية الحوار، وحرية البحث ..

أية حرية رائعة هذه في الإسلام يمارسها الرئيس الأعلى بعد تمام البيعة؟

إنها من خصائص الإسلام العظيم .

موقف الحسن البصري

كان الحسن البصري كما ذكره المؤرخون :-

«من قيل فيه إنه يبغض علياً ويذمه .

ويقول فيه: لو كان علي يأكل الحشف يعني: أردى التمر بالمدينة لكان خيراً له مما دخل

فيه .

وكان من المخذلين عن نصره علي (عليه السلام) .

وكان يقول علي (عليه السلام) عنه: أما إن لكل قوم سامرياً، وهذا سامري هذه الأمة، إلا

أنه لا يقول «لامساس»^(٢٩٥) ولكنه يقول: لا قتال»^(٢٩٦) .

هذا الرجل لقيه علي (عليه السلام) وهو يتوضأ في ساقية فقال له:

اسبغ طهورك يا فتى .

قال: لقد قتلت بالأمس رجلاً كانوا يسبغون الوضوء .

قال (عليه السلام): وإنك لحزين عليهم .

قال: نعم .

قال (عليه السلام): فأطال الله حزنك»^(٢٩٧) .

وهذا كل ما قابل به علي (عليه السلام) الحسن البصري .

كلمة بكلمة .

وسبة بدعاء عليه .

وهذا مفهوم الحرية الإسلامية في عمقها العظيم .

موقف الأشعث

وأخرج ابن شهر آشوب *أ* في (المناقب) قال:

«وروي عن الحسن بن علي (عليه السلام) في خبر أن الأشعث بن قيس الكندي بنى في

داره مئذنة فكان يرقى إليها إذا سمع الأذان في أوقات الصلاة في مسجد جامع الكوفة، فيصيح

من على مثذنته: يارجل إنك لكاذب ساحر».

وماذا كان رد فعل الإمام (عليه السلام) لهذه الجريمة النكراء؟

إنه مجرد إخبار عن مصير هذا الرجل الوقح.

قال الإمام الحسن (عليه السلام) متابعاً: «وكان أبي يسميه: عنق النار.

وفي رواية: (عرف النار).

فيسأل عن ذلك، فقال: إن الأشعث إذا حضرته الوفاة يدخل عليه عنق من النار ممدودة

من السماء فتحرقه فلا يدفن إلا وهو فحمة سوداء».

هذا كل رد فعل الإمام (عليه السلام) للأشعث بن قيس مقابل فعلته التي من يفعل مثلها

في سلطان أي طاغوت فأقل ما يصيبه كرد فعل السجن والتعذيب والمنع عن الحقوق السياسية

والاجتماعية.

أما أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو سلطان حق، وخليفة الله، ورئيس مطبق للإسلام بدقة

وإتقان.

«فلما توفي الأشعث نظر سائر من حضره إلى النار وقد دخلت عليه كالعنق الممدود حتى

أحرقته وهو يصيح ويدعو بالويل والثبور»^(٢٩٨).

الدية لمقتول المعارضة

لما عزم أمير المؤمنين (عليه السلام) لصد معاوية ورده، والمسير إلى صفين، خطب

خطبة حرض فيها الناس على الجهاد، فعارضه رجل، فقتله الناس فوداه أمير المؤمنين (عليه

السلام).

أخرج العلامة المجلسي (قدس الله سره) في (البحار) عن (كتاب نصر بن مزاحم) عن

معبد قال:

«قام علي (عليه السلام) على منبره خطيباً.. فسمعته يقول:

سيروا إلى أعداء الله

سيروا إلى أعداء القرآن والسنن

سيروا إلى بقية الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار
فعارضه رجل من بني فزارة، ووطأه الناس بأرجلهم، وضربوه بنعالهم حتى مات، فوداه
أمير المؤمنين (عليه السلام) من بيت المال .

فقام الأشر وقال : يا أمير المؤمنين : لا يهدنك ما رأيت، ولا يؤسينك من نصرنا ما سمعت
من مقالة هذا الشقي الخائن»^(٢٩٩).

ويظهر من هذا الحديث أن الرجل كان قد خاشن الكلام مع أمير المؤمنين (عليه السلام)،
ومع ذلك اعتبره الإمام قتيل بيت المال، فدفع ديته من بيت المال .

أين توجد مثل هذه الحرية في الكلام، والرأي، والتعبير إلا في الإسلام؟
أمير المؤمنين (عليه السلام) يدعو الناس إلى حرب عدو الله وعدو رسوله : معاوية بن أبي
سفيان، فيعارضه الرجل، ويقتله الناس . . .

ومع ذلك يدفع أمير المؤمنين (عليه السلام) ديته إلى ورثته؟
أين وفي أي أنظمة الأرض يوجد مثل ذلك حتى في أكثر بلاد العالم حرية هذا اليوم؟
وهكذا مثلت سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) الإسلام العظيم في كل الأبعاد بعمق
وشمول، وفي بعد الحرية أيضاً، ومنح الناس ذلك في مختلف المستويات وشتى الأمور
وضرب علي (عليه السلام) الرقم القياسي وهكذا ليسير الحكام في الإسلام بسيرته
الوضاءة، ويصححوا سياستهم بسياسة علي (عليه السلام) الرشيدة في كل الأصعدة .

المساواة في سياسة أمير المؤمنين (عليه السلام)

الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بنى سياسته كنبى الإسلام (صلى الله عليه وآله
وسلم) على المساواة العادلة بين مختلف أفراد الأمة في تقسيم أموال الأمة التي هم فيها سواء،
عليهم بالسوية . . .

وكان ذلك من السمات البارزة لعلي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) حتى ورد في عدد
صفاته النادرة في بعض زيارته :

«القاسم بالسوية، والعادل في الرعية»^(٣٠٠).

وتطبيق ذلك كلف الإمام (عليه السلام) الكثير من المتاعب، والانشقاقات والحروب وتفرق بعض الرؤوس عنه. لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يعبأ بكل ذلك مقابل التطبيق الحرفي والدقيق للإسلام.

وفيما يلي نذكر نماذج من مساواة أمير المؤمنين (عليه السلام) مما حفظه التاريخ.

يبدأ بنفسه

بدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) في المساواة بنفسه الكريمة أولاً، ثم طبقها على غيره، لكي لا يكون للناس حجة.

عند ما قتل عثمان، وبايع المسلمون أمير المؤمنين (عليه السلام) .. صعد المنبر في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخطب في الناس خطبة ذكرهم بتقوى الله، وشرح لهم سياسته في البلاد والعباد، ثم نزل عن المنبر وأمر بفتح بيت المال، فقال لعمار: «يا عمار قم إلى بيت المال، فأعط الناس ثلاثة دنانير لكل إنسان، وارفع لي ثلاثة دنانير. فمضى عمار وأبو الهيثم مع جماعة من المسلمين إلى بيت المال، ومضى أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مسجد قبا يصلي فيه ...

فأبى طلحة والزبير وعقيل أن يقبلوها»^(٣٠١).

سهل وغلामه واحد

سهل بن حنيف من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأنصار، وقد شهد مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بدرًا ..

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): أنه ذكر سهل بن حنيف فقال:

«كان من النقباء».

ثم قال (عليه السلام): «ما سبقه أحد من قريش ولا من الناس بمنقبة وأثنى عليه»^(٣٠٢).

وهذا الحصر إضافي على حد تعبير الفقهاء بالنسبة للبدرين، أو الأنصار، أو من بقي منهم،

غير أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد روي في تعظيم أمير المؤمنين (عليه السلام) لسهل هذا أنه (عليه السلام) كبر عليه لما

مات خمساً وعشرين تكبيرة .

فقد أخرج الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال :

«كبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على حمزة سبعين تكبيرة .

وكبر علي (عليه السلام) على سهل بن حنيف خمساً وعشرين تكبيرة .

قال : كبر خمساً، خمساً .

كلما أدركه الناس قالوا : يا أمير المؤمنين لم ندرك الصلاة على سهل فيضعه فيكبر عليه

خمساً . حتى انتهى إلى قبره خمس مرات (٣٠٣) .

هذا الرجل العظيم ، في هذه المنزلة الجليلة لم يدع أمير المؤمنين (عليه السلام) المساواة في

العطاء بينه ، وبين عبد أسود له قد أعتقه .

فقد روي الشيخ المفيد (رضي الله عنه) في (الاختصاص) ، عن ابن دأب قال :

«ولى علي (عليه السلام) بيت مال المدينة عمار بن ياسر ، وأبا الهيثم بن التيهان فكتب :

العربي والقرشي والأنصاري والعجمي وكل من في الإسلام من قبائل العرب وأجناس

العجم سواء .

فاتاه سهل بن حنيف بمولى له أسود فقال : كم تعطي هذا ؟

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : كم أخذت أنت ؟

قال : ثلاثة دنانير ، وكذلك أخذ الناس .

قال (عليه السلام) : فأعطوا مولاة مثل ما أخذ ثلاثة دنانير (٣٠٤) .

وفي (المناقب) : «قام سهل بن حنيف فأخذ بيد عبده فقال : يا أمير المؤمنين قد أعتقت هذا

الغلام ، فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف (٣٠٥) .

أخته ومولاتها عطاء واحد

أخرج الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) عن ابن دأب في حديث طويل : «إنه دخلت عليه

(عليه السلام) أخته أم هانئ بنت أبي طالب فدفع إليها عشرين درهماً ، فسألت أم هانئ

مولاتها العجمية فقالت : كم دفع إليك أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟

فقلت : عشرين درهماً.

فانصرفت مسخطة .

فقال لها علي (عليه السلام) : انصرفي رحمك الله، ما وجدنا في كتاب الله فضلاً
لإسماعيل على إسحاق»^(٣٠٦).

ولم يفضل الأشراف

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) عن الشيوخ الأجلة : المفيد والكليني والطوسي
وابن ادريس (رضوان الله عليهم جميعاً) بأسانيد مختلفة :

أنه أتى أمير المؤمنين (عليه السلام) عليه رهط من الشيعة عند تفرق الناس عنه، وفرار كثير
منهم إلى معاوية طلباً لما في يديه من الدنيا فقالوا : يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال، وفضل
هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، ومن يخاف خلافه عليك من الناس،
وفراره إلى معاوية .

حتى إذا استوسقت الأمور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية والعدل
في الرعية .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ويحكم أأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت
عليه من أهل الإسلام ؟

لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير، وما رأيت في السماء نجماً .

والله لو كانت أموالهم مالي لساويت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم»^(٣٠٧).

مناقشة طلحة والزبير

طلحة والزبير امتعضا لصنع أمير المؤمنين (عليه السلام) معهما في المساواة بينهما وبين
غيرهما من المسلمين في العطاء، وناقشا أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك، ولكن الحق كان
أقوى منهما، وأولى بالاتباع في منطلق أمير المؤمنين (عليه السلام) .

أخرج في (مناقب آل أبي طالب) عن أبي الهيثم بن التيهان، وعبد الله بن أبي رافع قالاً :
«إن طلحة والزبير جاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقالوا : ليس كذلك كان يعطينا عمر .

قال (عليه السلام) : فما كان يعطيكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فسكتا.

قال (عليه السلام) : أليس كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم بالسوية بين المسلمين؟

قالا : نعم .

قال (عليه السلام) : فسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى بالاتباع عندكم أم سنة عمر؟

قالا : سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثم قالا : يا أمير المؤمنين لنا سابقة وعناء وقرابة .

قال (عليه السلام) : سابقتكما أقرب أم سابقتي؟

قالا : سابقتك .

قال (عليه السلام) : فقرابتكما أم قرابتي؟

قالا : قرابتك .

قال (عليه السلام) : فعناؤكما أعظم من عنائي؟

قالا : عناؤك .

قال (عليه السلام) : فوالله ما أنا وأجيري هذا إلا بمنزلة واحدة، وأوماً بيده إلى الأجير

(٣٠٨)

وهكذا جرت سيرة علي أمير المؤمنين (عليه السلام) لتكون نبزاً للأجيال الصاعدة وأماً للمظلومين والمستضعفين، وكبحاً لجماح المستكبرين والطغاة، فلا يفضل غني علي فقير، ولا أبيض على أسود، ولا عربي على عجمي، ولا شريف على وضيع .. إلا عند الله في القيامة بالتقوى .. لا بالمال في العطاء الذي جعلهم الله فيه سواءً في الدنيا .

عفو علي (عليه السلام)

يحق للحاكم الإسلامي الأعلى أن يعفو عن بعض المجرمين إذا كانت هناك مصلحة أهم

من مصلحة تنفيذ العقوبة الإسلامية .

وهكذا يحق للحاكم الأعلى الإسلامي أن يخفف من مقدار العقوبة كما أو كيفاً إذا دعت المصلحة الأهم إلى ذلك .

والأهمية في ذلك تكون نابعة من روح الشريعة الإسلامية التي يكون مصدرها القرآن الحكيم، والسنة المطهرة، وإجماع الفقهاء، والعقل .

والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أعلم من يعرف هذه المصالح، وهذه الأمور الأهم، ومن أجل ذلك يلاحظ في تاريخه (عليه السلام) الموارد الكثيرة لعفوه عن المجرمين من تنفيذ العقوبات الإسلامية بحقهم قضاءً لهذه الأهمية .

وفيما يلي نذكر بعض هذه الموارد .

العفو عن مروان

مروان بن الحكم كان من رؤوس النفاق، وكان ممن جهز وشجع الجيش مع عائشة وطلحة بن الزبير في وقعة الجمل ضد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان قد أشعل نار الحرب وحرّض أهل البصرة على أن يشقوا عصا المسلمين ..

هذه الحرب التي راح ضحيتها عشرات الألوف .. وعشرات الألوف من المسلمين المصلين الصائمين ..

لكن مع ذلك كله فقد عفا أمير المؤمنين (عليه السلام) عن مروان هذا بعد أسره .

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في (البحار) عن (المناقب) قال :

«وأسر مالك الأشر يوم الجمل مروان بن الحكم فعاتبه (عليه السلام) وأطلقه»^(٣٠٩) .

وأخرج أيضاً عن (الخرائج) رواية أخرى في ذلك كما يلي :

«روي عن أبي الصيرفي، عن رجل من مراد قال : كنت واقفاً على رأس أمير المؤمنين (عليه

السلام) يوم البصرة إذ أتاه ابن عباس بعد القتال فقال : إن لي حاجة ؟

فقال (عليه السلام) : ما أعرفني بالحاجة التي جئت فيها، تطلب الأمان لابن الحكم ؟

قال : نعم أريد أن تؤمنه .

قال (عليه السلام) : أمنتها، ولكن اذهب إليه وجئني به ولا تجيئني به إلا رديفاً فإنه أذل له .

فجاء به ابن عباس ردفاً خلفه فكانه قرد .

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : أتبايع ؟

قال : نعم وفي النفس ما فيها .

قال (عليه السلام) : الله أعلم بما في القلوب .

فلما بسط يده ليبايعه أخذ كفه عن كف مروان فنترها فقال (عليه السلام) : لا حاجة لي فيها، إنها كف يهودية لو بايعني بيده عشرين مرة لنكت بإسته .

ثم قال (عليه السلام) : هيه يا ابن الحكم خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمة^(٣١١)»

(البغاة) هم الخارجون على إمام عادل .

وحكم أسراهم إذا كانت لهم فئة : القتل .

وكان أصحاب الجمل بغاة . وكانوا فئة . فكان الحكم الأولي لله قتل مروان .

لكن المصلحة الإسلامية التي كان يراها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) آنذاك اقتضت العفو عنه بالرغم مما كان يعلمه أمير المؤمنين (عليه السلام) من خبثه، ولعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له ولمن في صلبه إلى يوم القيامة إلا المؤمن منهم وهم قليل، وعلمه (عليه السلام) كذلك : بما سيحدث مروان من فتن ومظالم .

مع هذا كله، فمصلحة العفو عن مروان حينذاك كانت أهم بملاحظة روح الشريعة .

وعن عائشة أيضاً

وعائشة أيضاً كانت باغية بنص القرآن الحكيم :

«وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا

التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله»^(٣١١) .

وعائشة قاتلت خليفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الشرعي المنصوب من عند الله

ورسوله والمنتخب من الناس .

(إذن) فهي باغية، وحاد الباغي والباغية القتل في الإسلام .
وكانت عائشة تتوقع ذلك من أمير المؤمنين (عليه السلام) ولذا لما رأت أمير المؤمنين (عليه السلام) بعدما انتصر عليها قالت له في استعطاف :

«ملكيت فأسجح» يعني : اعف بفضلك، ولا تنفذ حكم الإسلام الأولي، بل استفد من صلاحية العفو التي لك، فعفا عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) للمصلحة الإسلامية الأهم آنذاك من مصلحة قتل مثل عائشة وإن كانت باغية ورأساً للبغاة، وسبباً لإيجاد حرب طاحنة أبادت الكثير من المسلمين .

قال في (البحار) : فجهزها أمير المؤمنين (عليه السلام) أحسن الجهاز، وبعث معها بتسعين امرأة أو سبعين من البصرة إلى المدينة^(٣١٢) .

وعبد الله بن الزبير

عبد الله بن الزبير كان من المبغضين لعلي (عليه السلام) وآل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الذي كان المحرض لأبيه من أجل إشعال حرب الجمل، وقد روى فيه عن علي (عليه السلام) قوله :

«ما زال الزبير منا حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله» .

وكان يبغض بني هاشم ويلعن ويسب علياً (عليه السلام)^(٣١٣) .

هذا الرجل الخارجي الذي جرد سيفه في وجه خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

هذا الباغي في منطق الإسلام .

كان مستحقاً للقتل .

لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) عفا عن عبد الله بن الزبير في وقعة الجمل .

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في (البحار) عن (المناقب) :

إن عائشة بعثت أخاها محمد بن أبي بكر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) تطلب منه الأمان والعفو لعبد الله بن الزبير . فأمنه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأمن معه سائر الناس بمن

اشتركوا في حرب الجمل (٣١٤).

عفوه عن موسى بن طلحة

قال في (البحار): «وجيء بموسى بن طلحة بن عبيد الله فقال له أمير المؤمنين (عليه

السلام): قل: استغفر الله وأتوب إليه ثلاث مرات.

فقالها، وخلقى علي (عليه السلام) سبيله.

ثم قال له: اذهب حيث شئت، وما وجدت لك في عسكرينا من سلاح أو كراع فخذها واتق

الله فيما تستقبله من أمرك واجلس في بيتك» (٣١٥).

العفو عن صاحب التآمر

أخرج في (مناقب آل أبي طالب) عن الأصمغ بن نباتة قال:

«صلينا مع أمير المؤمنين (عليه السلام) الغداة، فإذا رجل عليه ثياب السفر قد أقبل، فقال

علي (عليه السلام): من أين؟

قال: من الشام.

قال (عليه السلام): ما أقدمك؟

قال: لي حاجة.

قال (عليه السلام): أخبرني وإلا أخبرتك بقضيتك.

قال: أخبرني بها يا أمير المؤمنين.

قال (عليه السلام): نادى معاوية يوم كذا وكذا، من شهر كذا وكذا، من سنة كذا وكذا:

من يقتل علياً فله عشرة آلاف دينار.

فوثب فلان، وقال: أنا.

قال له معاوية: أنت؟

فلما انصرف إلى منزله ندم وقال: أسير إلى ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

وأبي ولديه فاقتله؟

ثم نادى مناديه اليوم الثاني: من يقتل علياً فله عشرون ألف دينار.

فوثب آخر فقال : أنا.

فقال معاوية: أنت؟

ثم إنه ندم واستقال معاوية، فأقاله.

ثم نادى مناديه اليوم الثالث: من يقتل علياً فله ثلاثون ألف دينار.

فوثبت أنت وأنت رجل من حمير..

قال الرجل: صدقت.

قال علي (عليه السلام): فما رأيك؟ تمضي إلى ما أمرت به أو ماذا؟

قال الرجل: لا، ولكن انصرف.

قال (عليه السلام): يا قنبر أصلح راحلته، وهبي له زاده، وأعطه نفقته^(٣١٦).

هذه واحدة أخرى من أمثلة العفو الرائعة التي ضربها علي (عليه السلام) في سيرته

الوضاءة. يعلم بمن أراد قتله. ويتركة ليذهب حيث شاء. ويضيف: أنه يصلح راحلته، ويهبي

زاده، ويعطيه نفقته..

أين تجد مثيل ذلك إلا في الإسلام الصحيح؟

العفو عن أسرى صفين

أخرج في (المناقب) عن أبي جعفر الإمام الباقر (عليه السلام) قال:

«كان علي (عليه السلام) إذا أخذ أسيراً في حروب الشام أخذ سلاحه ودابته واستحلفه

أن لا يعين عليه»^(٣١٧).

محاربون، شهر واسيوفهم على أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد قتل بعضهم بعض

المؤمنين من أصحاب علي (عليه السلام) لكنه لا يعرف بذلك ولا يعترف به وانكسر

جيشهم، وظفر أمير المؤمنين (عليه السلام) بهم..

مع ذلك كله تركهم، وأطلق سراحهم.. في حين أن فئتهم كانت موجودة وهم معاوية

وأصحابه.

وهذه من سياسة العفو الرائعة في سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، يجلب بها الأعداء

إلى الإسلام، ويحرض بها المنافقين والنفعيين على الالتحاق بصفوف المؤمنين، ويربط بها على قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم .

رد أموال الخوارج إليهم

وأخرج في (المناقب) أيضاً عن عرفة عن أبيه قال :

«ما قتل علي (عليه السلام) أصحاب النهر جاء بما كان في عسكرهم فمن كان يعرف شيئاً

أخذه، حتى بقيت قدر ثم رأيتها بعد قد أخذت»^(٣١٨) .

أمر بالضرب ثم عفا

وأخرج في (المناقب) أيضاً قال : «وبعث أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى لبيد بن عطار

التميمي في كلام بلغه، فمر به أمير المؤمنين (عليه السلام) في بني أسد، فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدي فأفلقته .

فبعث إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فأتوه به . وأمر به أن يضرب .

فقال له : نعم والله إن المقام معك لذل ، وإن فراقك لكفر .

فلما سمع ذلك منه قال : قد عفونا عنك ، إن الله عز وجل يقول : «ادفع بالتي هي أحسن

السيئة»^(٣١٩) .

أما قولك : إن المقام معك لذل فسيئة اكتسبتها .

وأما قولك : إن فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها فهذه بهذه»^(٣٢٠) .

العفو عندما تستوجه المصالح التي هي أهم من غيرها ينقض به حكم الحاكم، فإن العفو

من حكم الله، والضرب من حكم الله، وحكم الله الأهم ينقض به حكم الله المهم . وبهذه

السماحة والल्प والرفق يستبقي الإسلام على المسلمين، ويؤلف قلوب غير المسلمين،

ويستجلبهم إلى الإسلام .

أمير المؤمنين (عليه السلام) بين الناس دائماً

عادة أصحاب السلطات يعيشون بعيدين عن المجتمع، وترفعون عن ممارسة الحاجات

الصغيرة بأنفسهم لعدة أسباب :

١ : للجبروت والطغيان .

٢ : للخوف من المجتمع الذي يمارسون الظلم معه .

٣ : للفرار من كثرة تراكم الأعمال عليهم .

أما الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) فهو أبعد ما يكون عن هذه الأسباب كلها . . فعلي (عليه السلام) أبعد ما يكون عن الجبروت والطغيان .

وأمير المؤمنين (عليه السلام) لا يظلم أحداً حتى يخافه في دخول المجتمع .

وسيد الوصيين (عليه السلام) يبحث عن التعب والمشقة في سبيل الله، فكيف يفر عن ذلك .

لذلك كان (عليه السلام) يمارس الأعمال الصغيرة بنفسه الكريمة بجنب ممارسة الأعمال الكبيرة، ويقضي حاجات الناس بشخصه يبحث عنها بين الناس ليلاً نهاراً، وفي الحر والقر . وهذا هو الذي كان يطمئن الضعفاء والمساكين والمستضعفين، إلى أن لا يخشوا ظلم الناس لهم، لأنهم يعلمون أن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الذي بنفسه يبحث في الأزقة والأسواق، والطرق العامة والمجتمعات الجامعة . . فيسعفهم، ويدفع عنهم كل حيف .

وهذا هو الذي يصد أيضاً الطغاة والمستكبرين عن الظلم وإيذاء الناس، لأنهم يعلمون أن علياً (عليه السلام) لهم بالمرصاد، وهو بشخصه موجود بين أفراد المجتمع، فلا يأمنون في كل لحظة وفي كل مكان أن يكون علي (عليه السلام) هو الشاهد والحاضر يقبض عليهم متلبسين بالجريمة .

وفيما يلي نذكر نماذج من حضور أمير المؤمنين (عليه السلام) بين الناس دائماً ليعتبر به قادة المسلمين، فلا يتركوها الشعوب لينعزلوا في الأبراج العاجية بعيدين عن المجتمع فيأمن الظالمون ردعهم، ويخاف المظلومون ظلم الظالمين .

الشفاعة إلى القصاب

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في (البحار) عن كتاب (الخرائج) قال :

روي أن قصاباً كان يبيع اللحم من جارية إنسان وكان يحيف عليها، فبكت وخرجت فرأت

علياً (عليه السلام) فشكته إليه .

فمشى (عليه السلام) معها نحوه، ودعاه إلى الإنصاف في حقها، وكان يعظه ويقول له :
«ينبغي أن يكون الضعيف عندك بمنزلة القوي فلا تظلم الناس»^(٣٢١).

والشفاعة إلى التمار

أخرج ابن شهر آشوب في (المناقب) عن أبي مطر البصري قال :

إن أمير المؤمنين (عليه السلام) مر بأصحاب التمر، فإذا هو بجارية تبكي، فقال : يا جارية ما يبكيك ؟

قالت : بعثني مولاي بدراهم فأبتعت من هذا تمرأ، فأتيتهم به فلم يرضوه فلما أتيت به أبي أن يقبله .

قال (عليه السلام) للتمار : يا عبد الله إنها خادم، وليس لها أمر فاردد إليها درهمها وخذ التمر .

فقام إليه الرجل فلكزه^(٣٢٢) .

فقال الناس : هذا أمير المؤمنين .

فربا الرجل^(٣٢٣) واصفر وأخذ التمر ورد إليها درهمها، ثم قال : يا أمير المؤمنين ارض عني !

فقال (عليه السلام) : ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك .

أو قال : ما أرضاني عنك إذا وفيت الناس حقوقهم^(٣٢٤) .

يظهر من القصة : أن أمير المؤمنين (عليه السلام) ربما كان جديد النزول بذاك البلد البصرة أو الكوفة أو كان الرجل بائع التمر جديداً بها، فلم يعرف أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولذلك لكز الإمام .

ولم يعاقبه علي (عليه السلام) على اللكزة لأنها قضية شخصية في نظر الإمام، ولا يعاب علي (عليه السلام) بشخصه من حيث هو شخصه . .

ثم إن مهمة الإمام (عليه السلام) الساعة هي رد الحيف عن الجارية، وهذه المهمة ربما تضمحل إذا حاسب الإمام الرجل على اللكزة .

هذه القضايا على صغرها هي التي تربي المجتمع من نواح عديدة، بسبب حضور الرئيس الأعلى للمسلمين بين الناس، يقضي حوائجهم بشخصه وينصح الظالمين، ويأخذ بحق المظلومين .

إصلاح بين زوجين

وأخرج في (المناقب) أيضاً عن الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) قال في خبر: «إنه رجع علي (عليه السلام) إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول:

إن زوجي ظلمني، وأخافني، وتعدى علي وحلف ليضربني .

فقال (عليه السلام): يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار، ثم أذهب معك إن شاء الله .

فقلت: يشتد غضبه عليّ .

فطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول:

لا والله، أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع .

أين منزلك؟

فمضى (عليه السلام) إلى بابه فوقف فقال: السلام عليكم .

فخرج شاب .

فقال علي (عليه السلام): يا عبد الله، اتق الله، فإنك قد أخفتها وأخرجتها .

فقال الفتى وهو لا يعرف أمير المؤمنين (عليه السلام): وما أنت وذاك، والله لأحرقنها

لكلامك .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): أمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر

وتنكر المعروف؟

قال: فأقبل الناس من الطرق ويقولون: سلام عليكم يا أمير المؤمنين .

فسقط الرجل في يديه .

فقال: يا أمير المؤمنين أفلني عشرتي، فوالله لأكونن لها أرضاً تطأني .

فاغمد علي (عليه السلام) سيفه وقال: يا أمة الله أدخلني منزلك، ولا تلجئي زوجك إلى

مثل هذا وشبهه»^(٣٢٥).

لأعين مظلوماً

أخرج الشيخ الجليل محمد بن محمد بن النعمان المفيد (قدس الله سره) في كتابه (الاختصاص)، في حديث طويل عن ابن دأب جاء فيه:
قال: ذكر الكوفيون: إن سعيد بن قيس الهمداني رآه يعني علياً (عليه السلام) في شدة الحر في فناء حائط.

فقال: يا أمير المؤمنين بهذه الساعة؟

قال (عليه السلام): «ما خرجت إلا لأعين مظلوماً أو أغيث ملهوفاً»^(٣٢٦).

من هو أضعف مني

وأخرج المفيد (رضي الله عنه) أيضاً، قال: «وذكروا أنه (عليه السلام) توضع مع الناس في ميضأة المسجد، فزحمه رجل، فرمى به.

فأخذ الدرّة فضربه، ثم قال له: ليس هذا لما صنعت بي، ولكن يجيء من هو أضعف مني فتفعل مثل هذا فتضمن»^(٣٢٧).

المنع عن المشي خلفه

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في (البحار)^(٣٢٨)، عن (الكافي) و(المحاسن) بأسانيد صحيحة عن أبي عبد الله الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «خرج أمير المؤمنين (عليه السلام) على أصحابه وهو راكب، فمشوا خلفه، فالتفت إليهم فقال: لكم حاجة؟ فقالوا: لا يا أمير المؤمنين، ولكننا نحب أن نمشي معك.

فقال لهم: انصرفوا، فإن مشى الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي.

قال: وركب مرة أخرى فمشوا خلفه فقال (عليه السلام):

انصرفوا، فإن خفق النعال خلف أعقاب الرجال مفسدة لقلوب النوكى»^(٣٢٩).

النوكى، جمع الأنوك: الأحمق.

وأخرج في (المناقب) عن زاذان: «إنه (عليه السلام) كان يمشي في الأسواق وحده..

وهو ذاك يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» (٣٣٠) «(٣٣١) . وهكذا كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) بين الناس دائماً، وفي أوساط المجتمع، يعيش مشاكلهم ويحل معضلاتهم، ويؤدبهم بلسانه وعلمه، وسيرته وأفعاله .

التطبيق الدقيق للإسلام

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يطبق الإسلام تطبيقاً دقيقاً في الأمور الصغيرة والكبيرة، لأن الأمر الصغير كبير إذا كان حكم الله، والكبير كبير لأنه حكم الله . فالقياس حكم الله، وبحسابه يكون كل شيء منتسباً إلى الله تعالى كبيراً . بهذا المنظار الواقعي العميق كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يقيم سيرته مع الناس وفي مختلف أدوار الحياة، كما كان (عليه السلام) هكذا دقيقاً وعميقاً في حياته الشخصية . وفيما يلي نذكر بعض النقاط من ذلك ليكون خيراً أسوة للمسلمين وقادة بلاد الإسلام .

إطفاء السراج

جاء في كتاب (المناقب) لابن شهر آشوب (قدس الله سره) عن ابن مردويه قال : «وسمعت مذاكرة : إنه (عليه السلام) دخل عليه عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال، فطفئ السراج، وجلس في ضوء القمر، ولم يستحل أن يجلس في الضوء من غير استحقاق» (٣٣٢) . أتري كم كان يصرف من الزيت هذه اللحظات التي كان يكلم فيها عمرو بن العاص؟ إنه شيء يسير جداً .

ولكن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أسوة وقدوة، فإذا كان واقعياً دقيقاً إلى هذا الحد في أموال المسلمين فلا تصل النبوة إلى ما وصل اليوم إليه بعض رؤساء بلاد الإسلام الذي يبذر المليارات . . وعشرات المليارات من أموال المسلمين اعتباطاً وسرفاً .

خشن في ذات الله

وأخرج (المناقب) أيضاً عن ابن مردويه قال :

«لما أقبل يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) من اليمن، تعجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه. فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي (عليه السلام).

فلما دنا جيشه خرج علي (عليه السلام) ليتلقاهم، فإذا هم عليهم الحلل .
فقال : ويلك ما هذا؟

قال : كسوتهم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس .

قال (عليه السلام) : ويلك من قبل أن تنتهي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟
قال الراوي : فانتزع علي (عليه السلام) الحلل من الناس وردّها في البز .
قال أبو سعيد الخدري :

شكا الناس علياً إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك .
فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خطيباً فقال :
يا أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه لخشن في ذات الله» (٣٣٣).

كسر الذهب

وأخرج المناقب : أيضاً عن زاذان قال :

«إن قمبراً قدّم إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) جامات من ذهب وفضة في الرحبة وقال :
إنك لا تترك شيئاً إلا قسمته فنجبأت لك هذا .

فسل سيفه وقال : ويحك لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً؟

ثم استعرضها بسيفه فضربها حتى انتثرت من بين إناء مقطوع بضعة وثلاثين وقال : عليّ
بالعرفاء .

فجاءوا، فقال (عليه السلام) : هذا بالحصص» (٣٣٤).

جامات الذهب والفضة قد تكون قيمتها أكثر وأكثر ما دامت جامات من قيمتها بعد
كسرها . . ولكن حيث إن أواني الذهب والفضة محرمة لعله لذلك كسرها أمير المؤمنين (عليه
السلام) ووزعها غير محرم . وهكذا ضرب أمير المؤمنين (عليه السلام) الرقم القياسي في

التطبيق الدقيق للإسلام .

لا . . . للقوميات

(القومية) هي إحدى أساليب الاستعمار الفكرية التي ضرب بها المسلمين وحطمهم، وشتت شملهم، وفرق جمعهم، وبالتالي : وتطبيقاً للقانون «فرق تسد» ساد الاستعمار على بلاد الإسلام وعلى المسلمين، وهو ما نراه اليوم بكل وضوح وجلاء . . .

أما الإسلام فقد قضى على هذه النعرات القومية يوم أعلن القرآن الحكيم : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (٣٣٥).

ويوم أعلن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى» (٣٣٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «كلكم لأدم وأدم من تراب» (٣٣٧).

كذلك : سار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) نفس هذا المسير، ورفض القوميات بكل شدة وشجاعة، تحكيماً للقرآن، وتطبيقاً لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

العربية والعجمية سواء

أخرج ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) عن أبي إسحاق الهمداني قال : «إن امرأتين أتتا علياً (عليه السلام) إحداهما من العرب والأخرى من الموالي فسألتاه، فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسواء .

فقلت إحداهما : إني امرأة من العرب وهذه من العجم .

فقال (عليه السلام) : إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق» (٣٣٨).

أخته والعجمية سواء

وقد ذكرنا سابقاً أنه (عليه السلام) لم يفضل في العطاء أخته العربية، القرشية الهاشمية، وهي من أقرب الناس إليه، لم يفضلها على مولاة أعجمية.

وقال (عليه السلام) في بعض خطبه:

«لأسوين بين الأسود والأحمر»^(٣٣٩).

وعندما أراد توزيع بيت المال كتب (عليه السلام):

«العربي والقرشي

والأنصاري والعجمي.

وكل من في الإسلام من قبائل العرب وأجناس العجم سواء»^(٣٤٠).

(وهكذا) جعل أمير المؤمنين (عليه السلام) الإطار العام هو الإسلام، يتحطم على

صخرته الصلدة كل القوميات والقبليات والأعراف غير الإسلامية والتجزئات والتبعيضات

غير الإنسانية.

سياسة علي (عليه السلام) في مختلف الأبعاد

وكانت سياسة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) في مختلف

الأبعاد، وفي كل أمر مارسه، سياسة حكيمة رشيدة، مقتبسة من سياسة الله تعالى خالق البشر

والعالم بأحسن سياسة لهم، والمنزل للقرآن الحكيم أجمع دستور سياسي عرفه البشر..

ومتبعة لسياسة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التي هي أول وأحكم وأعمق

سياسة مارسها إنسان على وجه الأرض.

لذلك: كانت سيرة أمير المؤمنين... كلها سياسة رشيدة.

في أيام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفي أيام من قبله.

وفي أيام خلافته الظاهرية.

حفظ الوحدة الإسلامية

فلم يدع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مجالاً للمشعوذين والذين يريدون إلقاء

الخلافة بين المسلمين.

فقد أخرج الإربلي (قدس سره) في كتاب «كشف الغمة» بسنده عن الإمام الحسين (عليه

(السلام) قال :

«جاء رجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) يسعى بقوم .
فأمرني أن دعوت له قنبراً .

فقال له علي (عليه السلام) : أخرج إلى هذا الساعي فقل له : قد أسمعنا ما كره الله تعالى
فانصرف في غير حفظ الله تعالى» (٣٤١).

منطق العدل

والعدل هو أساس سياسة أمير المؤمنين (عليه السلام) في كل أمر .
ومن ذلك ما أوصى به ولاته في أهل الكتاب ومنهم اليهود الذين وصفهم القرآن الحكيم
بأنهم : «أشد الناس عداوة للذين آمنوا» (٣٤٢).

فقد أخرج الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في الكتاب الشريف (الكافي) بسنده عن
رجل من ثقيف وكان من عمال أمير المؤمنين (عليه السلام) قال :

«استعملني علي بن أبي طالب (عليه السلام) على بانقيا وسواد من سواد الكوفة فقال لي
والناس حضور : انظر خراجك فجد فيه ولا تترك منه درهماً . فإذا أردت أن تتوجه إلى عمك
فمر بي .

قال : فأتيته فقال لي : إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج ، أو تباع
دابة عمل في درهم ، وإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو» (٣٤٣).

تصحيح خط المسلمين

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يعلم أن معاوية لن يُقتل في صفين وسيبقى ليعيث
الفساد في الأرض ، وإنما حاربه لتصحيح خط المسلمين وليسلب الشرعية عن معاوية وحكمه
ومن يأتي من بعده ويبني على أسس معاوية .

وهناك نصوص عديدة في قضايا تاريخ أمير المؤمنين (عليه السلام) تنص على ذلك .

فقد أخرج ابن شهر آشوب (رضي الله عنه) عن مينا قال :

«سمع علي (عليه السلام) ضوضاء في عسكره فقال : ما هذا؟

فقيل : قُتِل معاوية .

قال : كلا ورب الكعبة لا يقتل حتى تجتمع عليه هذه الأمة .

قالوا له : يا أمير المؤمنين فلم تقاتله ؟

قال : التمس العذر بيني وبين الله ^(٣٤٤) .

وأخرج أيضاً عن مروان الأصفر قال :

«قدم راكب من الشام وعلي (عليه السلام) بالكوفة، فنعى معاوية، فأدخل علي علي

(عليه السلام) فقال له علي : أنت شهدت موته ؟

قال : نعم وحثوت عليه .

قال : إنه كاذب .

قيل : وما يدريك يا أمير المؤمنين أنه كاذب ؟

قال : أنه لا يموت حتى يعمل كذا وكذا أعمالاً عملها في سلطانه .

فقيل له : فلم تقاتله وأنت تعلم هذا ؟

قال : للحجة ^(٣٤٥) .

بُعد النظر

من سمات أمير المؤمنين (عليه السلام) الظاهرة في سياسته : بُعد النظر .

(وهذا) أمر مستساغ بكل سهولة لمن يعتقد عصمة أمير المؤمنين (عليه السلام) كما دلت

عليه العشرات من أدلة النقل والعقل .

وأول ما وصف (ضرار بن ضمرة) به أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما سأله معاوية ذلك

بعد استشهاد علي (عليه السلام) كان قوله : «كان والله بعيد المدى» .

ولذلك : لم يول طلحة والزبير على الكوفة والبصرة .

ولذلك أيضاً : لم يبق معاوية على الإمارة .

لما كان يعلم به من تواطئهما مع معاوية جميعاً ضد أمير المؤمنين (عليه السلام) .

اقرأ معي النصوص التالية :

لا أولى معاوية ليلة

أخرج العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في (البحار) عن ابن سحيم عن أبيه أنه قال : «لما بويح علي (عليه السلام) جاء إليه المغيرة بن شعبة فقال : إن معاوية من قد علمت، وقد ولاه الشام من كان قبلك، فوله أنت كيما تتسق عرى الإسلام ثم أعزله إن بدالك» .
فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما قال : «لا يسألني الله تعالى عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً» .

ثم قرأ قوله تعالى : «وما كنت متخذ المضلين عضداً» (٣٤٦)، (٣٤٧) .

وأخرج في (البحار) عن ابن أبي الحديد : أن علياً (عليه السلام) قال للزبير يوم بايعه : «إني لخائف أن تغدربي فتنكث بيعتي؟
قال : لا تخافن فإن ذلك لا يكون مني أبداً» .

فقال علي (عليه السلام) : فلي الله عليك بذلك راع وكفيل؟

قال : نعم الله لك عليّ بذلك راع وكفيل» (٣٤٨) .

وقال بعد حديث : «بعث معاوية رجلاً من بني عيس وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوام وفيه :

أما بعد : فإنني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا، واستوثقوا الحلف فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقنك إليها ابن أبي طالب فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهر الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير .

قال : فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سرّ به وأعلم به طلحة وقرأه إياه فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف علي (عليه السلام) .

قال : وجاء الزبير وطلحة إلى علي (عليه السلام) بعد البيعة له بأيام فقال له : يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كنا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها، وعلمت أن رأي عثمان كان في بني أمية، وقد ولاك الله الخلافة من بعده، فولنا بعض أعمالك .

فقال علي (عليه السلام) لهما: ارضيا بقسم الله لكما حتى أرى رأيي، واعلما أنني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي ومن قد عرفت دخيله. فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس، فاستأذناه في العمرة.

وروي: أنهما طلبا منه أن يولييهما المصرين البصرة والكوفة.

فقال: حتى أنظر، ثم لم يولييهما^(٣٤٩).

وهذا كله من بُعد نظر أمير المؤمنين (عليه السلام) في سياسة البلاد والعباد.

فلو كان قد ولى معاوية، وطلحة والزبير، لتأمروا على أمير المؤمنين (عليه السلام)، بعدما

كانت ورقة الشرعية بيدهم بتوقيع أمير المؤمنين (عليه السلام).

«الاعتصام هو الكسب كله»^(٣٥٠)

الإمام الصادق (عليه السلام)

٥. سياسة الإسلام في المجال الاقتصادي

إن الاقتصاد له الأهمية الكبرى في السياسة، وكلما كان التوازن الاقتصادي أقوى كانت السياسة أكثر سداداً ورشداً.

فلننظر إلى الإسلام كيف جعل من الدولة الإسلامية البعيدة الأفاق، الشاسعة^(٣٥١) الأراضي، الكثيرة النفوس، أمة غنية كاد أن يصبح الفقر فيها خبراً لكان.. ولا فقير واحد

انظر إلى القصة التالية وتدبر في أبعاد دلالتها.

ذكر الشيخ الحر العاملي (رضي الله عنه) في كتاب (وسائل الشيعة):

أن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان يمشي في سكك الكوفة، فنظر إلى رجل يستعطي الناس: فوجه الإمام السؤال إلى من حوله من الناس قائلاً:
ما هذا؟

فقالوا: إنه نصراني كبر وشاخ ولم يقدر على العمل، وليس له مال يعيش به، فيكتنف الناس..

فقال الإمام في غضب: استعملتموه على شبابه حتى إذا كبر تركتموه؟

ثم جعل الإمام (عليه السلام) لذلك النصراني من بيت مال المسلمين مرتباً خاصاً ليعيش به حتى يأتيه الموت^(٣٥٢).

وهذا يدل على أن الفقر كاد أن لا يرى لنفسه مجالاً في الدولة الإسلامية حتى إذا رأى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فقيراً واحداً كان يستغرب، ويعتبره ظاهرة غير طبيعية وغير لائقة بالمجتمع الإسلامي، والنظام الاقتصادي الإسلامي.

ثم يجعل له من (بيت مال المسلمين) مرتباً يرتزق به مع أنه نصراني لا يدين بالإسلام،

لكيلا يكون في البلد الإسلامي مظهر واحد للفقر والجوع .
ولكي يعرف العالم، والمسلمون أنفسهم أن الحكومة الإسلامية تقضي على الفقر وترفع
مستوى الفقراء لا بالنسبة للمسلمين فحسب، بل تنفي الفقر حتى عن الكفار ماداموا تحت
رعاية الدولة الإسلامية .

لا فقر في أفريقيا

القارة السوداء التي لا تزال حتى اليوم رغم كل التقدم الاقتصادي في مختلف الميادين في
العالم ترزح تحت وطأة الجوع والفقر والبؤس، والتي يموت فيها يوماً المئات والألوف .
هذه القارة التي تربض على مخازن الثروة الضخمة، والتي يسرق الطغاة في العالم ثرواتها
دون أن يعطوها خبزاً أو قمحاً يسدان الجوع .
هذه القارة كانت قبل أكثر من عشرة قرون تنعم بالغنى والثروة نتيجة حكم الإسلام
عليها .

فقد نقل المؤرخون: أن والي أفريقيا في العهد الإسلامي وبالضبط في عهد أبي جعفر الإمام
محمد الباقر (عليه السلام) خامس أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مفتتح القرن الثاني
الهجري بعث رسالة إلى العاصمة الإسلامية يستفسر عن الصدقات والزكوات المتضخمة
عنده ماذا يصنع بها؟

فصدر الجواب: أصرفها على الفقراء والضعفاء .

فكتب: عملنا ذلك وزادت صدقات كثيرة فماذا نعمل بها إذن؟

وصدر الجواب: اجعل من يعلن في البلاد على رؤوس الناس: (ألا من كان محتاجاً فليأت
الوالي وليأخذ حاجته من الصدقات) واجعل من يبحث عن الفقراء وأهل العوز، فلعل هناك
بعض من يمنعه الحياء أن يأتي الوالي ..

فكتب الوالي إلى العاصمة الإسلامية: فعلنا ذلك وزادت الصدقات .

فصدر الجواب: اصرفها في عامة مصالح المسلمين .

فهل رأت أفريقيا مثل ذلك في كل تاريخها وبعد الإسلام؟

وهل رأى العالم أوقراً أو سمع نظاماً اقتصادياً يستطيع أن يقتلع جذور الفقر عن الناس حتى يكون من بواعث العجب والدهشة رؤية فقير واحد في طول البلد الإسلامي وعرضها، ولو كان ذلك مسيحياً غير مسلم؟ وهل استطاع العالم المعاصر، والتجارب الاقتصادية الكثيرة من وضع نظام اقتصادي كهذا؟

والجواب على ذلك كله: النفي طبعاً.

فاليوم وقد بلغت الحضارات قمتها، والأنظمة الاقتصادية ذروتها، لا تكاد تجد بلداً واحداً إلا والفقر قد نشر أجنحته السوداء، والفقراء ملاء الأرض، والجوع والحرمات شمالاً الشرق والغرب والجنوب والشمال .

ولعل بالحجاز

الحجاز واليمامة^(٣٥٣) بلاد جافة وأرض جرداء لا زرع فيها ولا ضرع غالباً، خصوصاً في التاريخ الغابر حيث كان يقل ماؤها، ولا عيون فيها إلا نادراً.

ومثل هذه البلاد من الطبيعي أن يشكو أهلها الجوع والبؤس ..

لكن لم يكن قد مضى على تأسيس الإسلام بعد نصف قرن حيث قال زعيم الدولة الإسلامية وإمام المسلمين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبة خطبها على جماهير المسلمين وهو يذكر سبب تقشفه وزهده: «ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع»^(٣٥٤).

فالإمام (عليه السلام) وهو زعيم أكبر دولة على وجه الأرض ذلك اليوم، لا يلقي الكلام بجزم أن هناك في زوايا دولته المترامية الأطراف شخصاً فقيراً واحداً لم يشبع طيلة حياته، ولا إنساناً واحداً لا يطمع في تحصيله على قرص خبز، من أجل عدم التأكد لهذه الدرجة من الفقر، فيلقي الكلام ب(لعل) وبذلك يذكر السبب لزهده وعدم شبعه من الأكل، لأن الإمام ينبغي له أن يواسي أضعف الرعية، وكيف يشبع الإمام علي (عليه السلام) وربما يوجد في الرعية من لم يشبع .

(أما) مسألة الموت من الجوع مثل هذا الذي كثر اليوم في بعض بلاد العالم، فذاك ما لا

يذكر تاريخ الإسلام الصحيح له مورداً واحداً.

وفي السويد

تعتبر (السويد) اليوم من أرقى بلدان العالم حضارة وتقدماً، ولكنها لا تزال تعاني فقراً شديداً، ويعيش فيها فقراء في منتهى الجوع والبؤس.

ففي (استوكهولم) عاصمة السويد، يقول عنها بعض الصحف :

«في برد السويد ينام البعض من الفقر تحت الثلج، وبعضهم يلتحف بأوراق الصحف ليجدهم الكناسون صباحاً موتى من البرد»^(٣٥٥).

فإذا كان أرقى بلاد العالم كما يقولون يعيش هذه الحالة التعيسة من الفقر فكيف بباقي بلاد العالم ..

أليس عظيماً اقتصاد الإسلام الذي ينفي الفقر قبل ثلاثة عشر قرناً حتى لا يعتبر زعيمه مسألة الفقر ووجود فقير واحد في طول البلاد وعرضها شيئاً مؤكداً واحتمياً؟

نصوص الشريعة

النصوص الكثيرة في الشريعة الإسلامية، والأحكام الشرعية، وعمل زعماء المسلمين من النبي والأئمة الطاهرين (عليه وعليهم الصلاة والسلام) هي التي خلقت ذاك الجوع الذي لم ير الجوع فيه موضع قدم واحدة، وإليك نماذج من الكثير الكثير :

فعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : «ما آمن بي من أمسى شباعاً وأمسى جاره جائعاً»^(٣٥٦).

وجاء في (نهج البلاغة) من كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : «إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك»^(٣٥٧).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث له : «... وإن الناس ما افتقروا، ولا احتاجوا، ولا جاعوا، ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء»^(٣٥٨).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) في حديث له : «... ولأن أعول أهل بيت من المسلمين

أشبع جوعتهم وأكسو عورتهم وأكف وجوههم عن الناس أحب إليّ من أن أحج حجة،
وحجة.. حتى انتهى إلى عشر وعشر مثلها، حتى انتهى إلى سبعين» (٣٥٩).

الكرامة الاقتصادية

هناك قاعدة معروفة تقول : (الكرامة الاقتصادية تورث الكرامة الاجتماعية) .

هذه حقيقة ثابتة في المجتمعات التي لم يكتمل فيها الوعي والفهم في كل الأبعاد .

ولأن الكثير من المجتمعات في العديد من مقاطع التاريخ هكذا كانت... ولا تزال... وربما

ستكون أيضاً .

فلم يتغافل الإسلام الاهتمام بها لكي لا يكون المؤمنون والأخيار في ذيل المجتمع لا يعبا

بهم؟ ولا يقدر جانبهم .

من أجل ذلك نرى التحريض الكبير والمؤكد في المتواتر من روايات أهل البيت (عليهم

الصلاة والسلام) على تحصيل الكرامة الاقتصادية أكثر وأكثر، وأبواب التجارة من كتب

(وسائل الشيعة) و(مستدرك الوسائل) و(بحار الأنوار) و(جامع الأحكام) ونحوها من

موسوعات الحديث الشريف تطفح بهذه الروايات الشريفة المروية عن النبي وأهل بيته

الطاهرين (عليه وعليهم الصلاة والسلام) .

وهناك ملاحظات لطيفة ودقيقة في هذا المجال في ثنايا الأحاديث الشريفة نذكر واحدة

منها .

تجارة الموالي

أخرج حجة الإسلام الكليني (رضي الله عنه) في الكتاب الشريف (الكافي) بسنده عن

أبي عبد الله الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

«أتت الموالي أمير المؤمنين (عليه السلام) فقالوا: نشكو إليك هؤلاء العرب، إن رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعطينا معهم العطاء بالسوية .

وزوج سلمان، وبلالاً، وصهيباً .

وأبوا علينا هؤلاء، وقالوا: لا نفعل .

فذهب إليهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فكلّمهم فيهم .

فصاح الأعراب: أبينا ذلك يا أبا الحسن، أبينا ذلك .

فخرج وهو مغضب يجر رداءه وهو يقول :

يا معشر الموالي : إن هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى، يتزوجون إليكم ولا

يزوجونكم .

ولا يعطونكم مثل ما يأخذون .

فاتجروا ببارك الله لكم .

فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول للرزق عشرة أجزاء تسعة أجزاء

في التجارة وواحدة في غيرها»^(٣٦٠) .

هذا الحديث الشريف يحتوي على عدة مواضع إسلامية في الصميم ومهمة بالغ الأهمية

وهي بإيجاز كما يلي :

١ : شعبية الرئيس الإسلامي الأعلى حتى ليأتيه الموالي وهم مستضعفون في المجتمع

لا قدر لهم ولا قيمة، فيفتح الرئيس صدره، ويستمع إليهم، ويفسح المجال لهم، كما يفسح

المجال لغيرهم .

٢ : المساواة الإسلامية العظيمة، على أساس العدل والإنسانية حتى ليجرأ غير العرب،

في بلاد العرب أن يرفعوا الشكوى إلى الرئيس الأعلى من أجل استحقاقهم من قبل العرب،

وهذا ما لا يوجد إلا في الإسلام .

٣ : قيام أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو الرئيس الأعلى للدين والدنيا، بالوساطة لهم

بنفسه ودخوله على العرب لينصحبهم في هذا الحكم الإسلامي المهم، وهو المساواة في الزواج

بين العرب وغير العرب على أساس الإسلام والإنسانية .

٤ : الحرية الإسلامية الرائعة التي تسمح لأناس عاديّين أن يردوا ووساطة مثل أمير المؤمنين

(عليه السلام) .

٥ : العدل الإسلامي العظيم الذي يتجلى في عدم قيام أمير المؤمنين (عليه السلام) برد

فعل تجاهه رد هؤلاء له، وعدم قيامه بعتابهم، أو عقابهم، أو منعهم عن بعض حقوقهم، ونحو ذلك مما يفعله معظم الرؤساء في مثل هذه المواقف .

٦ : تشبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) أولئك العرب الذي ردوا العمل بحكم إسلامي عظيم جداً أو سياسي خطير باليهود والنصارى في هذا الموقف القومي البغيض الذي جاء الإسلام لرفضه ورفض أمثاله، تعميقاً من الإمام (عليه السلام) لهذه النقطة السياسية المهمة في الإسلام التي تجمع المسلمين على صعيد واحد ويبني عليها الاتحاد الإسلامي الشامل .

٧ : تعليم الموالي طريق الكرامة الاجتماعية، الذي هو في مثل تلك المجتمعات غير المتشعبة بعد بروج الإسلام في كل الأبعاد : هو تحصيل الكرامة الاقتصادية ..

لكي يتماسك المسلمون، وتتحد القوميات في ظل الإسلام، ولو عن طريق الكرامة الاقتصادية ..

لأن القوميات تعشعش غالباً في المحيطات الفقيرة، فإذا كان الغنى وكانت الأراضي والسيارات، والتجارات والقصور .. ونحوها فإن القومية تنهار كالمح في الماء والخطب في النار .

وبالفعل تعلم أولئك الموالي من أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) هذه الحكمة الاجتماعية وساروا طريق التجارة، حتى أصبح الكثير منهم تجاراً، وأصحاب أموال، وتزوجوا بعد ذلك من العرب، وتزوج منهم العرب، وتماسك التلاحم العربي العجمي في ظل الإسلام العظيم .

«إن في القرآن آية تجمع الطب كله :

«كلوا واشربوا ولا تسرفوا» (٣٦١) « (٣٦٢) .

الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

٦. سياسة الإسلام في المجال الصحي

الإسلام وضع خططاً حكيمة لاقتلاع جذور المرض من أطراف الدولة الإسلامية كلها ومن عامة المسلمين .

فإننا نجد في قائمة الأحاديث الشريفة المأثورة عن رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن أهل بيته الأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) المئات المئات . . بل الألوف والألوف منها مخصصة لبيان الأمور الصحية .

وللتوسع في ذلك دونك كتاب (بحار الأنوار) ^(٣٦٣) للإمام العلامة المجلسي (رضي الله عنه) الكتاب الذي يضم زهاء مائة ألف حديث شريف، وكتاب (وسائل الشيعة) للإمام الشيخ الحر العاملي (رضي الله عنه) الكتاب الذي يضم زهاء أربعين ألف حديث شريف، فانك تجد فيهما الفصول المخصصة بالصحة والطب، والأحاديث الكثيرة فيها .

ولأجل ذلك قلما يجد الإنسان في ظل الحكم الإسلامي مرضى كثيرين وأمراضاً متفشية .

وكانت الصحة العامة ترفرف بأجنحتها العريضة على الدولة الإسلامية، وكان ذلك مستمراً إلى عهد سقوط الدولة الإسلامية .

فالبلد الواحد ذو مائة ألف نسمة مثلاً كان يكفيه أطباء قليلون، وكنت ترى يوماً بعضهم بلا مراجعين، أو قليلي المراجعين يعدون عدداً بالأصابع .

ونحن حين لا ننكر ما للطب الحديث من التقدم في مجالي (التشريح) و(كشف المكروبات) وغيرهما، نود أن نتساءل :

لماذا أصبح الطب اليوم بما أوتي من حول وطول عاجزاً عن معالجة المرضى، ومكتوف الأيدي أمام هذا العدد الهائل من الأمراض؟

ففي كل بلد ترى المرضى يعدون بالألوف.. والألوف .
والأطباء بالعشرات.. بل بالمئات .
والصيدلة ومخازن ومستودعات بيع الأدوية والعلاج كذلك ..
ولو قسنا هذه الكمية الكبيرة بعهد الإسلام وعدد المرضى فيه لكانت النسبة واحداً
بالمائة، أو أقل بكثير^(٣٦٤) .
أليس ذلك دليلاً على رشد الإسلام في سياسته الصحية، وفشل غير الإسلام في هذا
المجال؟

فالأطباء يضاعف عددهم سنوياً بالألوف .
والمستشفيات في ازدياد .
والتجارب الصحية في تقدم .
والمرضى ملأ الدنيا .
والأمراض طبقت البلاد .
هل هذه سياسة صحية رشيدة؟
أم هذه ظاهرة صحية فاشلة .
مقارنة

ويمكنك استطلاع هذه الحقيقة بالتفتيش عن المصححات والمستشفيات ودور الصحة،
فإنك تجد نسبة المتدينين والملتزمين بتعاليم الإسلام الصحية فيها أقل بكثير من غير المتدينين
وغير الملتزمين بالتوجيهات الإسلامية في مجال الصحة العامة .
وقد لا أكون مبالغاً إذا قلت : إن النسبة واحد في المائة .
وهذه المقارنة البسيطة تعطيك فكرة خاطفة وسريعة عن مكان الصحة في الإسلام .
وليس في هذا العرض البسيط متسع من المجال لذكر الأسباب الصحية التي وضعها
الإسلام لتعميم الصحة في كل بيت، ومع كل إنسان، وإنما نرجى ذلك إلى بحوث خاصة، وننبه
على بعض ما كتب في ذلك، وهي :

(طب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم))^(٣٦٥) ..

(طب الصادق (عليه السلام))^(٣٦٦) ..

(طب الأئمة (عليهم السلام))^(٣٦٧) ..

(شرح توحيد المفضل) للعلامة الخليلي، مجلدان .

وغيرها . . .

تقليل الدم

ولنضع هنا مثلاً يكون نموذجاً واحداً لما قلناه عن سياسة الصحة في الإسلام :

فقد كان المسلمون غالباً حسب أوامر الشريعة الإسلامية المتكررة والمؤكدة يعمدون إلى تقليل كمية الدم من كل فرد في كل عام على الأقل مرة واحدة خصوصاً في أيام الربيع حيث يهيج الدم، تبعاً لتهيج كل ما في الكون من إنسان، وحيوان، ونبات، وأجهزة، وطاقت وغيرها .
وذلك بعملية (الحجامة) أو عملية (الفصد)^(٣٦٨) .

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن تقليل الدم أمان من موت الفجأة وهي السكتة القلبية،
والشلل المؤدي إلى ذلك .

ومما ورد في ذلك حديث شريف للإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) حيث قال :
«الدم هو عبد وربما قتل العبد سيده»^(٣٦٩) .

ولكن الطب الحديث جاء ليمنع عن تقليل الدم منعاً باتاً حتى أنني عندما اقترحت على
طبيب أن يسمح لنا بتقليل الدم من مريض لنا مصاب بضغط الدم تبسم وقال : «نحن لا نعتقد
ذلك» .

وكان نتيجة ذلك وغيره أيضاً انتشار السكتة القلبية في طول البلاد وعرضها، ومن أقصاها
إلى أقصاها .

فكانت البلاد الإسلامية تعيش ولا تعرف السكتة القلبية، ويعرف جيداً من عاش قبل
نصف قرن أن السكتة القلبية كانت مثار عجب ودهشة إذا أصيب بها إنسان واحد .

وقد حدثني شيخ من المؤمنين : أنه في شبابه وقعت حادثة وفاة بالسكتة القلبية في محلة

من بلده، وإذا بالناس يترაკضون إلى الميت وقد ملكهم العجب مما سمعوا ولم يكذب بعضهم ليصدقه .

أما اليوم وقد ربض الطب الحديث مكان الطب الإسلامي فترى الموتى بالسكتة القلبية كثيراً . . . وكثيراً، ولعلني لا أكون مبالغاً إذا قلت : إن نسبة ذلك قد تصل إلى ٣٥٪ . أي : قرابة ثلث الناس يلقون حتفهم بالسكتة القلبية الناتجة عن تخثر الدم، نتيجة عدم تقليل الدم بالحجامة، أو الفصد، أو ما شابه ذلك .

كشف الخطأ

وقد انكشف للطب الحديث أخيراً وبعد أن راح ضحية هذا الخطأ الملايين من البشر موتاً بالسكتة القلبية خطأ هذا الرأي، وأن النافع للبدن والصحي للإنسان هو تقليل الدم . وما نشأ عن ذلك توجيه الأطباء للناس النصيحة بتقليل الدم .

ففي أوائل شهر كانون الثاني من عام (١٩٧٢) ميلادية أذاعت إذاعة بريطانيا من ركن الطب الذي له بحث خاص كل أسبوع ما يلي :

«تقليل الدم، أو التبرع بالدم أمر صحي ضروري لكل إنسان، وهذا بدوره يمنع تصلب الشرايين الذي يؤدي غالباً إلى تخثر الدم، الذي يمهّد الطريق إلى انسداد صمام القلب، وتوقف القلب، وبالتالي (السكتة القلبية) . وإن عملية (الحجامة) أو (المشروط) التي كان المسلمون يزاولونها هي التي تركت نسبة الموت الفجائي فيهم قليلة ضئيلة» .

هذا بعض ما في الإسلام من السياسة الصحيحة لتعميم الصحة على الجميع في كل مكان .

«قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»

سورة الزمر : ٩

٧. سياسة الإسلام في مجال الثقافة

لا تكاد ترى أمة، أو فكرة، أو مبدأ، أو نظاماً فتح أبواب العلوم والثقافة كما فتحتها الإسلام، أو ندب إليها كما ندب الإسلام إلى العلم.

فكم ندب الإسلام إلى العلم، وكم قدّر من العلماء، ورفع من شأنهم.

منزلة العلم في القرآن

ونظرة باحثة بدقة في القرآن الحكيم، وتصفح آيات بينات ورد فيها العلم والفكر والعلماء والمفكرين، توقف الباحث على كنز كبير وزخم عظيم.

ففي القرآن أكثر من ألف وخمسمائة آية تتحدث عن المواد التالية: (العلم)، (المعرفة)، (التعقل)، (التذكر)، (التدبر) التي يجمعها معنى (الثقافة).

وإذا علمنا أن كل ما في القرآن من آيات (٦٤٠٠) آية تقريباً.

وإذا علمنا أيضاً أن هذه الآيات تعني بكل ما في الإسلام من أصول، وفروع، وأحكام، وأخلاق، ونفس، وجسد، وعلوم الكون، والحيوان، والنبات، والفلسفة، والطب، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، والعلاقات الدولية، والفردية، والعائلية، والقومية، والإقليمية، وما إلى ذلك من عبادات، ومعاملات، وجيش، وشرطة، وأمن، وحاكم، ومحكوم، وغير ذلك ..

ومن مجموع ذلك نسبة الربع تقريباً يختص بالثقافة.

إذا علمنا كل ذلك وجمعنا بعضها إلى بعض ظهر لنا بجلاء اهتمام القرآن بالثقافة، وأنه لا يشابهه اهتمام أي نظام، أو دين، أو مبدأ.

فهل نجد عبر التاريخ كله كتاباً للتشريع والتنفيذ جميعاً في مختلف الميادين تستأثر الثقافة

منه بالربع؟ كلا!

منزلة العلم في السنة

والسنة والأحاديث الشريفة المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الأئمة الأطهار (عليهم السلام) هي الأخرى زاخرة بالعلم والمعرفة.

ويكفيك أن تعلم أن كتاباً واحداً من مجاميع الأحاديث هو (بحار الأنوار) جمع فيه من أحاديث العلم والمعرفة قرابة ثلاثة آلاف حديث أو تزيد.

هذه الخلفية الثقافية الواسعة المعمقة تعكس بعض اهتمام الإسلام بالثقافة والفكر.

نماذج

ولمجرد النماذج نذكر بعض الأحاديث لنعرف البعد العميق في تحريض الإسلام على

الثقافة والعلم:

١: «اطلبوا العلم ولو بالصين»^(٣٧٠).

ولو علمنا أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي فاه بهذه النادرة العظيمة كان في الحجاز وكان في زمان يستغرق السفر منه إلى الصين ذهاباً وإياباً سنتين، دع عنك الأخطار الكبيرة.. والكثيرة التي كان يواجهها المسافر إلى الصين عبر البحار والصحاري، من تعرض للغرق والضياح والهلاك عطشاً أو جوعاً، أو بتمزيق السباع، وما شاكل ذلك.. لعرفنا بعض عمق هذا الكلام النبوي..

٢: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»^(٣٧١).

ولعلنا لا نجد في التاريخ كلمة أخرى غير هذه النادرة التي ورد بها الحديث الشريف تدل على أن المهمة الأولى والأخيرة للإنسان هو العلم، فمن المهد يبدأ الإنسان مدرسته، ولا ينتهي منها إلا عندما يوضع في القبر ويلحد.

٣: «العلماء ورثة الأنبياء»^(٣٧٢).

الأنبياء (عليهم السلام) هم قمم البشر، هم السفراء بين الله وبين خلقه، هذه المنزلة هي التي يختار الله لها من يشاء من بين الناس.. فليس باختيار الناس أنفسهم بل هو اختيار الله تعالى، ولكن لأي بشر أن يتسنى الوراثة لهذه القمة، بأن يتعلم حتى يصبح عالماً، ويكفي ذلك دلالة على رتبة العلم وعظيم منزلته.

٤: «الناس موتى وأهل العلم أحياء»^(٣٧٣).

الحياة ينسجم معها الأحياء ولا ينسجم معها الأموات، لأن كل شيء ينسجم مع مجانسه، وهذه الكلمة هي من أروع التعبير لذلك، فالناس إن لم يكونوا علماء فهم أموات، والأموات لاحق لهم في هذه الحياة، وأهل العلم هم أحياء وهم الذين يستحقون الحياة.

فالجاهل وإن كان حياً في هذه الدنيا فهو بحكم الميت.

والعالم وإن كان ميتاً منذ قرون فهو بحكم الحي.

٥: «ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقها»^(٣٧٤).

عالم اليوم يفتخر بالتعليم الإجماري الذي فرض في بعض الدول على عامة الناس غافلين عن أن المخطط الأول لذلك هو حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) صاحب هذه الكلمة النادرة.

فهو يتمنى لو استطاع جبر أصحابه على التفقه والتعلم ولو بسبب ضربهم بالسياط.

٦: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»^(٣٧٥).

هذا الإجمار العام في التعليم والثقافة الشامل لكل رجل وامرأة عديم الوجود في غير الإسلام، فهو من مختصات الإسلام أن يبلغ بالتحريض على الثقافة حداً يربطها بأوثق الروابط بالسما، فهو فريضة، وواجب شرعي إلهي، ثم إنه لا يختص بألف قيد، وألف شرط، من: التحديدات بالعمر، أو الجنسية، أو المهنة، أو ما شاكل ذلك مما تشترط في تعليم عالم اليوم.

إنه واجب على كل مسلم شاباً، وشيوخاً، وكهولاً، ومن مختلف الجنسيات، والألوان، واللغات، والقوميات، والقبليات... إلى آخره.

وهو واجب على كل امرأة مسلمة كذلك.

والأحاديث الشريفة في التحريض على الثقافة والأمر بالعلم والاستزادة منه كثيرة..

كثيرة، لا مجال لذكرها هنا في هذا العرض المبني على الاختصار.

فهل تجد مثل ذلك في غير الإسلام؟

كلا!.

معرفة الصناعات

ويضرب الإسلام شوطاً أبعد في ميدان الثقافة، فيصدر حكمه الأكيد والوجوب المحتوم على تعلم كافة الصناعات، والمخترعات، والحرف، وجوباً كفائياً.

ومعنى الوجوب الكفائي هو: أن المسلمين لو تركوا جميعاً صنعة أو حرفة فتعطلت عندهم أجهزة الحياة ولو نسبياً اشترك الجميع في الإثم والعصيان والمسؤولية أمام الله تعالى .
قال شيخ الفقهاء الشيخ المرتضى الأنصاري (رضي الله عنه) في كتاب (المكاسب):
«وللواجب بالصناعة الواجبة كفاية خصوصاً إذا تعذر قيام الغير به»^(٣٧٦).

فعلم صنع الطائرات واجب مقدس في الإسلام .

وتعلم صنع المكائن بأنواعها وأشكالها واجب مقدس .

وكذلك تعلم صنع الأقمار الصناعية، والمركبات الفضائية .

وتعلم فلق الذرة واجب مقدس أيضاً .

وهكذا كل صناعة، أو حرفة، أو اختراع يتضرر الإسلام والمسلمون بتركه واجب مقدس

في الإسلام ..

(ومعنى) الواجب ليس المفضل وحسب . بل معناه في اصطلاح الإسلام ما لو توانى عنه

المسلمون وتقاوسوا لاستحق جميعهم عذاب الله تعالى ممن كان يمكنه القيام به وتركه .

ولو فعله بعض المسلمين بمقدار الكفاية للعالم الإسلامي وكل المستضعفين في العالم

الذين أمر الله سبحانه بالجهاد من أجل كلمة الله ومن أجلهم، حيث قال في القرآن الحكيم:

«وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين»^(٣٧٧) . كان لمن فعله أجر الدنيا وثواب الآخرة .

فيندرج ذلك في العبادة التي لم يخلق الله تعالى الناس إلا من أجلها حيث قال القرآن الحكيم:

«وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»^(٣٧٨) .

«لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»^(٣٧٩) .

الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

٨. سياسة الحرية في الإسلام

الحرية التي سنّها الإسلام للمسلمين ولعمامة الناس بمثابة لم ير التاريخ الطويل للعالم لها نظيراً ولا مثيلاً، وحتى هذا اليوم الذي يجب الغربيون أن يسموه بـ(عصر الحرية).
فإن الإسلام يعطي لكل فرد من المسلمين، بل وحتى لغير المسلمين من سائر البشر، كامل الحرية في جميع المجالات المشروعة، مادام لا يضر بحرية غيره^(٣٨٠).

حرية الفكر

وأول ما يبداً الإسلام بتحرير الناس فيه: الفكر، واختيار الدين، فإن الإسلام لا يجبر الناس على دين معين أبداً ولو كانوا في بلاد الإسلام وتحت رعايته وحمايته.
وقد أعلن القرآن الحكيم هذه الحرية الفكرية بقوله:
«لا إكراه في الدين»^(٣٨١).

وقد نفذ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل حروبه الدفاعية، وغزواته...
فكانت الانتصارات تلو الانتصارات التي يحققها الله تعالى لرسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تحمله على إجبار الناس باعتراف الإسلام، بل يعرض عليهم الإسلام، فمن قبله فهو، ومن لم يقبله فلا جبر عليه بالقبول.

في فتح مكة

ومن أبرز الشواهد على ذلك (فتح مكة).
(فمكة) ضغطت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثة عشر عاماً بمختلف أنواع الضغوط: من قتل المسلمين، وتعذيبهم، وشتيمهم، واهانتهم، ومقاطعتهم، وترك مناكحتهم، وترك مبايعتهم، وترك التكلم معهم، وتهجيرهم، وسجنهم...
(ومكة) هي التي تأمرت على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أمره الله

تعالى بالخروج منها ليلاً، فخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) منها خائفاً يترقب .
(ومكة) هي التي قادت المسيرة ضد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طيلة عشرين
سنة تقريباً .

(ومكة) هي التي أقامت العشرات من الحروب الدموية الطاحنة لتحطيم الإسلام
والمسلمين . وهكذا دواليك ..

ثم جاء دور انتصار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على مكة، ووصل زمن وعد الله
تعالى للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :
«إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد»^(٣٨٢) .

وللمسلمين المهجرين، والمهاجرين، والمعذبين في سبيل الله :
«لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين»^(٣٨٣) .

فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا البلد، ودخل معه الجيش الإسلامي .
أترى أجبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أحداً من المشركين على الإسلام ؟
كلا!

فحرية العقيدة من دستور الإسلام .

وهذا الموقف من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تجاه أهل مكة فريد في تاريخ
الفتوحات، والانتصارات . إلا اللهم في تاريخ الأنبياء والمرتبطين بالله تعالى من الأوصياء
والأولياء (عليهم السلام) .

وفعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تعميقاً في الخير والحب العام أكثر من ذلك .
فإن أحد المسلمين أخذ راية الإسلام بيده وجعل يدور في أسواق وسكك مكة ويصيح :
«اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى الحرمة»^(٣٨٤) .

إلا أنه لما بلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر الإمام علياً (عليه السلام) أن
يأخذ الراية بيده ويعلن بضد ذلك النداء .

فأخذ علي (عليه السلام) راية الإسلام بيده وجعل يصيح في طرق وشوارع مكة :

«اليوم يوم الرحمة، اليوم تصان الحرمة».

أترى أي فاتح غير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مثل مكة وموقفها من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فعل مثل ذلك؟

إنه الإسلام الذي جاء لإسعاد البشر حتى الذي لا يؤمن بالإسلام يريد له الخير ويجب له

النجاة ..

إنه أبعاد الحرية المقدسة في الإسلام .

فتح البلاد

وكانت سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما يفتح البلاد أن يرسل إلى أهلها

حاكماً، أو قاضياً، أو معلماً للقرآن والأحكام ..

فيقوم هؤلاء ببث الثقافة الإسلامية بين أهل تلك البلاد، فمن قبل وآمن فحجاً وكرامة،

ومن ترك ولم يؤمن فشأنه .

الكفار في مكة والمدينة

ومن الشواهد البارزة لذلك : إن مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وما حولهما من القرى

والأرياف، كان يعيش فيها بكثرة اليهود، والنصارى، والمشركون، حتى وفاة الرسول (صلى

الله عليه وآله وسلم) فلم يجبرهم على الإسلام، بل تركهم وشأنهم .

آيات قرآنية

وأساس هذه الحرية العميقة في القرآن الحكيم آيات عديدة منه، وقد عرض ذلك القرآن

بأسلوب إنساني وعاطفي غاية في اللطف والجمال، اقرأ معي هذه الآيات :

«لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد

استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها والله سميع عليم»^(٣٨٥) . . .

«والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات»^(٣٨٦) .

«الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل

يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم

إصرهم والأغلال التي كانت عليهم»^(٣٨٧).

«وهديناه النجدين»^(٣٨٨).

«إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً»^(٣٨٩).

«قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً»^(٣٩٠).

«إننا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً»^(٣٩١).

حريات أخرى

والإنسان حر بنظر الإسلام في مزاوله كل أنواع الأعمال، بمختلف أشكالها، وأحوالها،

في أي زمان ومكان.

انطلاقاً من الآيات القرآنية الأنفة الذكر.

ومن قوله تعالى: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم»^(٣٩٢).

والذي يستفاد منها أن كل إنسان ولي نفسه، وهو حر في جميع تصرفاته في نفسه

وأمواله^(٣٩٣).

وقد استنبط فقهاء الإسلام من ذلك قاعدة ثابتة أساسية هي قولهم:

«الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم».

وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

«إن الناس مسلطون على أموالهم»^(٣٩٤).

وورد عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام):

«لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»^(٣٩٥).

فهذه الآيات والأحاديث الشريفة تؤكد حرية الإنسان في تصرفاته الشخصية في جميع

أبعاد الحياة: في نفسه، وماله، كيف شاء، ومتى شاء، وحيث شاء، إلا أن يستغل ذلك

في المضرات الشخصية كقتل نفسه وإسراف ماله، أو المضرات الاجتماعية كقتل الآخرين

وظلمهم وغصب أموالهم ونحو ذلك.

(وبكلمة واحدة): أي تصرف كان للشخص، في نفسه، أو في أمواله، أو في طاقاته، أو في

طاقات الكون مما لا يزاحم حق إنسان آخر فهو حلال، وله الحرية الكاملة في مزاولته (في الإطار الإسلامي الواسع).

فإن الإسلام يعطي لكل فرد من المسلمين حرية الكسب والتجارة، حرية العمل والصناعة، حرية السفر والإقامة، حرية الخطابة والكتابة، والحرية في جميع الأمور.

فالتاجر بحكم الإسلام حر في التجارة من أية نقطة إلى أي بلد، دون حاجة إلى أخذ إجازة أو رخصة، وليس عليه جمارك ومكوس، ولا للبلاد الإسلامية التي يتجر فيها حدود!!

والمسافر بحكم الإسلام حر في أن يسافر من أين شاء إلى حيث يريد، ويتوطن أي بلد أراد، دون أن يطالب بجواز سفر، أو إقامة، أو يسأل عن اسمه واسم أبيه وأمه، وأسماء عشيرته وأقربائه وأصدقائه، أو يسأل عن غاية سفره أو هدفه^(٣٩٦).

والعمال، والصناع بنظر الإسلام أحرار في الأعمال التي يختارونها والصناعات التي ينتخبونها دون أية معارضة أو منع أو حاجة إلى إجازة أو نحوها...!

والكاتب عند الإسلام حر فيما يكتب، وما يث وما ينشر، دون رقابة، أو إجازة، إلا فيما يضر المجتمع نفسياً، أو فكرياً، أو صحياً، أو نحوها...!!

«ولكم في القصاص حياة»

سورة البقرة: ١٧٩

٩. سياسة الإسلام في مكافحة الجرائم

وقد قام الإسلام بمكافحة الجرائم والجنايات، بأسلوب لم تحلم به الدول كلها حتى وبعد الإسلام! فهو يجعل بقوانينه الراشدة من الناس أمة طاهرة لا تأتي بجناية!!
ولو نظرت إلى الدولة الإسلامية الكبيرة، منذ البعثة النبوية العظمى حتى مضي قرنين من مفتحها، والتي كانت شاسعة جداً، لرأيت التاريخ يسجل سرقات قليلة في هذه الدولة الواسعة، بينما ترى أميركا اليوم (وهي تدعي لنفسها أنها من الدول الحضارية الفائقة في حضارتها) تستتجد بالعالم في كيفية مكافحة هذا الخطر المحدق لخلاصها من ستة ملايين لص، في ظرف خمسة وعشرين عاماً، فما النسبة؟.

مئتان من السنوات، دولة كبيرة جداً، وسرقات قليلة جداً.

مع ربع قرن، ودولة كأميركا، وستة ملايين لص^(٣٩٧).

ونشر في الآونة الأخيرة في بعض الجرائد تقرير مرعب عن نسبة الجرائم في أميركا المعاصرة

المتحضرة كما يلي :

في أميركا يقع كل عام :

١ : سبعة عشر ألف ومائتان وثمانون جريمة قتل .

٢ : سبعة وسبعون ألفاً وسبعمائة وستون جريمة اغتصاب فتاة، أو ولد أو امرأة .

٣ : واحد وخمسون ألفاً وثمانمائة وأربعون جريمة سرقة بمختلف أشكالها، من سرقة بنوك،

ومحلات تجارية، وبيوت، وأفراد، وغيرها .

وذلك يعني : أن في كل ساعة تمضي على أميركا، يقع فيها أكثر من سبعة عشر جريمة .

بنسبة أكثر من جريمتي قتل . وتسع جرائم اغتصاب . وست جرائم سرقة .

هذا بالنسبة إلى هذه الجرائم الثلاث، أما غيرها من سائر الجرائم فيمكن تعدادها في كل

عام بالملايين .. كما يشهد به دور المحاكم، ومخافر (الشرطة) وأجهزة الأمن، وغيرها^(٣٩٨).

العلماء لا يعرفون عقوبة السارق

والقصة التالية تدل بوضوح على مدى قدرة الإسلام على نفي الجرائم:

«في عهد المعتصم العباسي حيث كان (المعتصم) جالساً على أريكة الحكم، في مجلس ضخم كبير، يضم كبار العلماء والفقهاء ومن بينهم الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام)^(٣٩٩)، وهو على أبواب العقد الثاني من عمره الشريف، يترأى لهم طفلاً بعد، في مثل هذا المجلس، جاؤوا بسارق ثبت عليه الإدانة بالسرقة، وبعد ما تم الإثبات الشرعي لدى (المعتصم) بشأن إدانته بجريمة السرقة توجه المعتصم إلى الفقهاء المحققين به يستفسرهم عن حكم (السارق)، فأجمع الكل على أن حكمه أن تقطع يده لقوله تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا»^(٤٠٠)، لكنهم اختلفوا في أن اليد من أين تقطع؟

فقال بعض الفقهاء، ومنهم أبو داود: تقطع يده من الكرسوع أي الزند، لقوله تعالى في آية التيمم: «فامسحوا بوجوهكم وأيديكم»^(٤٠١)، فأطلق القرآن كلمة (الأيدي) وأراد بها من الزند.

وقال آخرون من الفقهاء: بل تقطع يده من المرفق، لقوله تعالى في آية الوضوء: «فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق»^(٤٠٢). فأطلق القرآن كلمة (الأيدي) وأراد بها من المرفق.

هذا كله .. والإمام محمد بن الجواد (عليه السلام) لزم جانب الصمت ولم يتكلم بشيء، ولم يؤيد واحداً من هذه الآراء، فتطلع (المعتصم) إلى رأي ثالث عند الإمام، حيث لم يؤيد هذه الأقوال، فتوجه إلى الإمام قائلاً:

ماذا تقول أنت يا ابن العم؟! .

الإمام: قالوا وسمعت .

المعتصم: لا بد أن تقول رأيك، أي شيء عندك؟ .

الإمام: إن كان لا بد من ذلك، فإنهم أخطئوا فيه السنة، فإن القطع يكون من مفصل أصول الأصابع، ويترك له الكف .

المعتصم: ولم؟.

الإمام: لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «السجود على سبعة أعضاء، الوجه، واليدين، والركبتين، وإبهامي الرجلين، فإذا قطعت يده من الكر سوع، أو المرفق، لم تبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: «وأن المساجد لله» يعني به هذه الأعضاء السبعة «فلا تدعو مع الله أحداً»^(٤٠٣) وما كان لله لم يقطع.

فأعجب المعتصم ذلك، فأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف^(٤٠٤).

«... فمن ترك ما لا فلورثته ومن ترك ديناً فعلي»^(٤٠٥).

حديث شريف

١٠. سياسة الإسلام في الضمان الاجتماعي

والضمان الاجتماعي في الإسلام صبابة الإنسانية في قمتها، ولذا فإن الإسلام حيث ينطلق من زاوية الإنسانية، يصب هذا الضمان بما توافق الإنسانية في أعماق أبعادها الفضيلة، ويتأكد لم ير التاريخ قبل الإسلام، ولم تسجل الحضارات بعد الإسلام، حتى اليوم ضماناً اجتماعياً بعمق الضمان الاجتماعي في الإسلام.

إنه يقول: إن كل من يموت وعليه ديون، فعلى إمام المسلمين أداء ديونه، وكل من يموت وله مال، فالمال كله لورثته، ليس لإمام المسلمين منه شيء..

فهل سمعت ضماناً اجتماعياً كهذا، حتى في أعماق الحضارات؟
بالتأكيد، لا..

زخم النصوص

وفي نصوص الشريعة الإسلامية زخم كبير من ذلك، وهو إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى اهتمام الإسلام بالتأكيد على هذا الجانب الاجتماعي المهم، حيث تكرر نقل ذلك عن نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة العترة الطاهرة (عليهم السلام). اقرأ معي النصوص الشريفة التالية:

في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

روى الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) سادس أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:
«أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، وعلي (عليه السلام) أولى به من بعدي».
فقل له: ما معنى ذلك؟

فقال: قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

«من ترك ديناً، أو ضياعاً فعلي، ومن ترك مالا فلورثته»^(٤٠٦).

قال الإمام الصادق (عليه السلام) بعد نقل هذا الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«وما كان سبب إسلام عامة اليهود إلا من بعد هذا القول من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنهم آمنوا على أنفسهم وعلى عيالاتهم»^(٤٠٧).

وروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه) قال: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان لا يصلي على رجل عليه دين، فأتى بجزاة، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): هل على صاحبكم دين؟ فقالوا: نعم، ديناران، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): صلوا على صاحبكم.

فقال أبو قتادة: هما عليّ يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال: فصلى عليه، فلما فتح الله على رسوله، قال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن ترك مالا فلورثته، ومن ترك ديناً فعلي»^(٤٠٨).

وأخرج علي بن إبراهيم في تفسيره، بسنده المذكور عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه كان يقول: «ما من غريم ذهب بغريمه إلى والٍ من ولاية المسلمين واستبان للوالي عسرته إلا برئ هذا المعسر من دينه، وصار دينه على والي المسلمين فيما في يديه من أموال المسلمين»^(٤٠٩).

وفي أحاديث الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)

عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «من مات وترك ديناً، فعلينا دينه، وإلينا عياله، ومن مات وترك مالا، فلورثته»^(٤١٠).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: ما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ينزل من منبره، إلا قال:

«من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً، فعلي»^(٤١١).

وأخرج الكليني والطوسي (قدس سرهما) في كتابي الحديث، عن أبي الحسن الكاظم

(عليه السلام) أنه قال : «من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله، كان كالمجاهد في سبيل الله عز وجل، فإن غلب عليه، فليستدن على الله عز وجل وعلى رسوله ما يقوت به عياله، فإن مات ولم يقضه كان على الإمام قضاؤه، فإن لم يقضه كان عليه وزره»^(٤١٢).

وأخرج أيضاً بأسانيدهما، عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال :
«الإمام يقضي عن المؤمنين الديون»^(٤١٣).

وأخرج الطوسي (رحمة الله عليه) بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) : أنه قال له (عطاء) : جعلت فداك، إن عليّ ديناً إذا ذكرته فسد عليّ ما أنا فيه .

فقال (عليه السلام) : «سبحان الله ! وما بلغك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقول في خطبته : من ترك ضياعاً فلاهله ضياعه، ومن ترك ديناً فعلي دينه، ومن ترك مالاً فلاهله، فكفالة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ميتاً ككفالتة حياً، وكفالتة حياً ككفالتة ميتاً» .

فقال الرجل : نفّست عني جعلني الله فداك^(٤١٤) .

وأخرج العياشي في تفسيره، عن الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنه سئل، فقال له رجل من أهل الجزيرة : جعلت فداك، إن الله تبارك وتعالى يقول : «فنظرة إلى ميسرة . . .»^(٤١٥) فأخبرني عن هذه (النظرة) التي ذكرها الله، لها حد يعرف إذا صار هذا المعسر لا بد له من أن ينتظر وقد أخذ مال هذا الرجل وأنفق على عياله، وليس له غلة ينظر إدراكها، ولا دين ينتظر محله، ولا مال غائب ينتظر قدومه .

قال (عليه السلام) : «نعم، ينتظر بقدر ما ينتهي خبره إلى الامام، فيقضي عنه ما عليه من سهم الغارمين»^(٤١٦) .

وروى الشيخ الصدوق (رضي الله عنه) في (معاني الأخبار) بسنده المذكور عن الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، قال :

«صعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المنبر، فقال : من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ، ومن ترك مالاً فلورثته، فصار بذلك أولى بهم من آبائهم وأمهاتهم، وصار أولى بهم منهم

بأنفسهم، وكذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) بعده، جرى ذلك له مثل ما جرى لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)»^(٤١٧).

وأخرج الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) في (مجالسه) بسنده المذكور عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه كان يقول :

«صعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المنبر، فتغيرت وجنتاه والتمع لونه، ثم أقبل بوجهه فقال : يا معشر المسلمين ! إني إنما بعثت أنا والساعة كهاتين إلى أن قال : أيها الناس من ترك مالا فلاهله وورثته، ومن ترك كلاً أو ضياعاً، فعليّ وإليّ»^(٤١٨).

وعن أبي عبد الله الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه قال :

«ومن كان له على رجل مال أخذه ولم ينفقه في إسراف أو في معصية، فعسر عليه أن يقضيه، فعلى من له المال أن ينظره حتى يرزقه الله فيقضيه، وإذا كان الإمام العادل قائماً، فعليه أن يقضي عنه دينه، لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً، فعليّ وإليّ وعلى الإمام ما ضمنه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)»^(٤١٩).

هذا واحد من بنود (الضمان الاجتماعي) في الإسلام، ويظهر منه عمق الإنسانية في الإسلام، وفي هذا النظام بالذات .

بالعكس تماماً مما تعمله عدة من أنظمة العالم المتحضر المتمدن، من جعل الضريبة على الإرث، على من مات وترك أموالاً .

ولومات شخص وعليه ديون، فليس على النظام الحاكم من دينه شيء أبداً، أترى كم يساهم مثل هذه الأنظمة في تشتيت المجتمع وتحطيم الديون بين الأفراد والجماعات، إذ الدائن

لا يملك ضماناً لو أعطى ديناً لفقير معدم، لأنه لو مات فمن الذي سيتكفل ديونه؟

فمن تراه يقرض المحتاجين والمعوزين؟ .

فهل هناك ضمان اجتماعي كما في الإسلام؟

«من أحيأ أرضاً ميتة فهي له، قضاءً من الله ورسوله»^(٤٢٠).

النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)

١١. سياسة الإسلام في العمران والزراعة

اتخذ الإسلام سياسة حكيمة، في ازدياد العمران والزراعة، التي بهما تكون رفعة الدولة أو سقوطها، وذلك بإباحة الأراضي لمن عمرها بالبناء، أو الزراعة، أو فتح قناة، أو شق عين، أو تشييد المصانع والمعامل، أو غير ذلك. وبالتحبيذ إلى العمل والزراعة، واتخاذ دور وسيدة، وغيرها. فعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : «من أحيأ أرضاً ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق»^(٤٢١).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) : «من أحاط حائطاً على أرض، فهي له»^(٤٢٢).
وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) : «من سبق إلى ما لا يسبقه إليه المسلم، فهو أحق به»^(٤٢٣).

فإذا رأى الشخص، أن الأراضي مباحة، تعطى دون أي ثمن، وهو حر في أن يختار ما يريد أن يصنع، أو ما يشاء أن يبني، ولا ضريبة عليه، ولا إجازة ولا رواج ومجيء، ولا معارض، ولا، ولا...

فمن الطبيعي أن يتخذ كسباً، أو يعمل عملاً، أو يخترع اختراعاً، أو يصنع صناعة... أو يعمر دوراً، أو يتخذ مزارع، و... و...

وبذلك تزدهر الدولة بالعمارات الكثيرة، والمزارع الوفرة، والصنائع والمخترعات، وتتسع البلاد، و... وتترقى، وتفوق!

وإليك ما كتبه (جرجي زيدان) عن ازدهار العمارات والزراعات في الدولة الإسلامية، حينما كان يحكمها الإسلام ولو نسبياً، قال :

العمارات الكثيرة

«ولكن كثيراً من المدن الإسلامية، أصبح خراباً بعد ذلك بالقياس إلى ما كان عليه في عهد

الدولة الإسلامية، وخصوصاً (العراق) أو (السواد)^(٤٢٤) وعلى الأخص (بغداد) و(البصرة) و(الكوفة) وسائر مدن العراق».

وقد وصف الاضطخري^(٤٢٥) مدينة (البصرة) وصفاً يمثل ما كانت عليه أرض العراق من العمارة في عصره، قال: «البصرة مدينة عظيمة، لم تكن في أيام العجم، وإنما مصرها (المسلمون) وليس فيها مياه إلا أنهار».

وذكر بعض أهل الأخبار، أن أنهار البصرة عدت أيام بلال بن أبي بردة فزادت على مائة ألف نهر وعشرين ألف نهر، تجري فيها الزوارق^(٤٢٦). وقد كنت أنكروا ما ذكر من عدد هذه الأنهار في أيام بلال، حتى رأيت كثيراً من تلك البقاع، فرجما رأيت في مقدار رمية سهم، عددًا من الأنهار صغاراً تجري في كلها زوارق صغار، ولكل نهر اسم ينسب به إلى صاحبه الذي احتفراه أو إلى الناحية التي يصب فيها، فجوزت أن يكون ذلك في طول هذه المسافة وعرضها. ثم يقول (جرجي زيدان):

فاعتبر المسافة التي تحفر فيها (١٢٠,٠٠٠) نهر، أو ترعة، كم يمكن أن يكون سكانها؟ وهذا مستغرب عند أهل هذا الزمان، لكنه يدل على كل حال على عمران تلك الأرض. وأردف قائلاً:

«وناهيك ببغداد.. فقد ذكر الاضطخري أيضاً في وصفها كما شاهدها في أيامه في القرن الرابع للهجرة قال: وتفتش قصور الخلافة وبساتينها من بغداد إلى نهر بين فرسخين^(٤٢٧) على جدار واحد، حتى تتصل من نهرين إلى شط دجلة، ثم يتصل البناء بدار الخلافة مرتفعاً على دجلة إلى الشماسية نحو خمسة أميال^(٤٢٨)، وتحاذي الشماسية في الجانب الغربي الحربية، فيمتد نازلاً على دجلة إلى آخر الكرخ... الخ».

ثم قال: «فأين هذه العمارات مما صارت إليه بغداد عند اضمحلالها؟».

ثم قال: «وقس على ذلك مدينة دمشق وغيرها من المدن التي ضعف أمرها اليوم^(٤٢٩)، وهناك مدن أخرى كانت يومئذ (أي: في الحكومة الإسلامية)، في إبان مجدها، فأصبحت الآن اسماً بلا مسمى، مثل الفسطاط في مصر، والكوفة في العراق، والقيروان^(٤٣٠) في أفريقيا،

وبصرى في حوران، وغيرها» (٤٣١).

هذه بالنسبة إلى العمارات .

والزراعات الوافرة

وأما الزراعات، فهي أيضاً كانت بكثرة هائلة منقطعة النظير حتى بالنسبة إلى هذه الأيام التي سهلت فيها الزراعات، وصنعت مكائن تعمل لاستخراج المياه ورش البذور والحصاد وغيرها..

فالعراق كان يسمى بـ(أرض السواد) لأن الشخص في العراق أين ما كان يذهب أو يحل، يبصر بمرمى بصره الزراعات، وكان يقول واصفو مزارع العراق: إنها لا يوجد فيها فدان غير مزروع .

ومصر كانت مزروعة خصبة في عهد الحكومة الإسلامية .

قال المقرئزي وهو من المؤرخين :-

«إن هشام بن عبد الملك سنة ١٠٧ هجرية، أمر عبد الله بن الحجاب عامله على خراج مصر أن يمسخها (أي: يستعلم مساحتها) فمسحها بنفسه، فوجد مساحة أرضها الزراعية، مما يركبه النيل ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ فدان (ثلاثين مليون فداناً) .

ويقول (جرجي زيدان): مع أن مساحة الأرض الزراعية في وادي النيل سنة ١٩١٤ مع ما تبذله الحكومة من العناية في إخصابها وتعميرها لم تتجاوز ستة ملايين فدان كثيراً . الخ .

ثم يقول: لأن مساحة مصر بما فيها من الواحات في صحراء (ليبيا) والأرض بين النيل والبحر الأحمر، وبينه وبين بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) إلى العريش تزيد على ٤٠٠,٠٠٠ ميل مربع، وذلك يساوي نحو ١٨٧ مليون فدان، فلا غرابة إذن أن يكون العامر منها (٣٠) مليون فدان .

ثم يردف قائلاً: واعتبر نحو هذا العمران أيضاً في مدن الإسلام الكبرى في (الأندلس) مثل: (قرطبة) و(غرناطة) و(طليطلة)، وفي (العراق) و(الشام) بلاد لا تحصى، كانت في تلك الأيام مدناً كبرى وأصبحت الآن قرى صغيرة (٤٣٢) .

وهذه الشواهد وإن كانت لا تعطينا صورة تفصيلية عن العمران والزراعة في ظل الحكم الإسلامي في البلاد الإسلامية كلها، إلا أنها تكفي لأن تكون أنموذجاً عن ذلك .
وما هذا التدهور القهقري في الزراعات والعمارات في الدولة الإسلامية إلا من جراء إزاحة الإسلام عن مجال الحكم والتنفيذ، ومن جراء استبدال الإسلام بقوانين ليست من الإسلام ولا الإسلام منها، وجعل قيود ثقيلة على الزراعات والعمارات مضافاً إلى الضرائب .
ولورجعت الأنظمة الإسلامية اليوم إلى دست الحكم، وأبيحت الأراضي لمن عمرها وأحياها، ورفضت القوانين الحديثة، والضرائب الباهضة، لساد البلاد الإسلامية ذلك العمران الشامل، وتلك الزراعات التي تملأ الدنيا، وبهما تترقى الدولة الإسلامية، وتزدهر في جميع النواحي، وتستطيع أن تجعل من نفسها أغنى دول العالم وأرقاها^(٤٣) .

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين . . »

سورة الممتحنة : ٨

١٢. سياسة الإسلام في العلاقات الدولية

وضع الإسلام قانوناً لشد الروابط الدبلوماسية، والصدقة مع جميع الدول وحتى الكافرة منها، فجوز ذلك بالنسبة إلى الكفار الذين لم يؤذوا المسلمين، ونهى عنه مع الكفار الذين يؤذون المسلمين حيث يقول تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين» * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون» (٤٣٤).

فالدول الكافرة التي أخرجت المسلمين من ديارهم، مثل إسرائيل، لا يجوز للمسلمين إيجاد العلاقات معها، وأما الدول الكافرة المحايدة، فلا بأس للمسلمين في أن يشدوا معهم روابط، ويكونوا صداقات معهم، ويبروا ويحسنوا إليهم.

وهذه الآية نزلت في (خزاعة) و(بني مدلج) حيث صالحوا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) على أن لا يقاتلوا المسلمين ولا يعينوا أحداً عليهم^(٤٣٥)، فشد المسلمون معهم الروابط وذهبوا إليهم وبروهم وأقسطوا وأحسنوا إليهم، وذلك حسب الرابطة العالمية التي يجعلها الإسلام بين بني الإنسان، فالإنسان نظير الإنسان، كما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «فإنهم أي الناس صنغان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق»^(٤٣٦)، ولم يقاطع المسلمون من لم يجاروهم ولم يخرجوهم، أما لو قاموا ضد المسلمين فالمسلمون دفاعاً يقاتعونهم ويدافعون بذلك عن أنفسهم، وليجزوا بما فعلوا.

وفي سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع الكفار بأصنافهم المختلفة من مشركين ونصارى، خير أسوة لأي نظام إسلامي يقوم على وجه الأرض.

فقد قال الله تعالى عن ذلك:

«لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً»^(٤٣٧).

وفي سورة الممتحنة من القرآن الحكيم عدة من الآيات الكريمة بهذا الشأن، وكذلك آيات متفرقة في مختلف سور القرآن، ونحن نذكر نماذج من ذلك مع مختصر تفسيرها موجزين له من تفسير (مجمع البيان)، فإنه بيان لجانب من العلاقات الدولية الواردة في القرآن الحكيم.

الإسلام قبل الأرحام

«لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير» * قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء آؤا منكم وبما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لا استغفرن لك...»^(٤٣٨).

«لن تنفعكم أرحامكم» أي: ذووا أرحامكم والمعنى قراباتكم «ولا أولادكم» أي: لا يحملنكم قراباتكم ولا أولادكم التي بمكة على خيانة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين، فلن ينفعكم أولئك الذين عصيتهم الله لأجلهم «يوم القيامة يفصل» الله «بينكم»، فيدخل أهل الإيمان والطاعة الجنة، وأهل الكفر والمعصية النار، ويميز بعضكم من بعض ذلك اليوم، فيرى القريب المؤمن في الجنة قريبه الكافر في النار.

ثم ضرب سبحانه لهم إبراهيم (عليه السلام) مثلاً في ترك موالة الكفار، فقال: «فقد كانت لكم أسوة حسنة» أي: اقتداء حسن «في إبراهيم» خليل الله «والذين معه» ممن آمن به واتبعه، «إذ قالوا لقومهم» الكفار «إنا براء آؤا منكم» فلا نواليكم «وبما تعبدون من دون الله» أي: وبراء من الأصنام التي تعبدونها «كفرنا بكم» أي يقولون لهم جحدنا دينكم وأنكرنا معبودكم «وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً» فلا يكون بيننا موالة في الدين «حتى تؤمنوا بالله وحده» أي تصدقوا بوحدانية الله، وإخلاص التوحيد والعبادة له، «إلا قول إبراهيم لأبيه لا استغفرن لك» أي: اقتدوا بإبراهيم في كل أموره، إلا في هذا القول، فلا تقتدوا به فيه، فإنه (عليه السلام) إنما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إياه بالإيمان، فلما تبين له أنه عدو

لله تبرأ منه (٤٣٩).

التأسي بصمود إبراهيم (عليه السلام)

«لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني

الحميد*»

عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم*
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم
وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين*
إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم
أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون» (٤٤٠).

ثم أعاد سبحانه في ذكر الأسوة فقال: «لقد كان لكم فيهم» أي في إبراهيم (عليه السلام)
ومن آمن معه «أسوة حسنة» أي قدوة حسنة، وإنما أعاد ذكر الأسوة، لأن الثاني منعقد بغير
ما انعقد به الأول، فإن الثاني فيه بيان أن الأسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب،
والأول فيه بيان أن الأسوة في المعادة للكفار، وقوله «لمن كان يرجو الله واليوم الآخر» بدل من
قوله (لكم) وهو بدل البعض من الكل مثل قوله: «والله على الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلاً» (٤٤١) وفيه بيان أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة وهو قوله: «واليوم
الآخر» وقيل: يرجو ثواب الله وما يعطيه من ذلك في اليوم الآخر «ومن يتول» أي ومن يعرض
عن هذا الاقتداء بإبراهيم (عليه السلام) والأنبياء (عليهم السلام) والمؤمنين والذين معه فقد
أخطأ حظ نفسه وذهب عما يعود نفعه إليه فحذفه لدلالة الكلام عليه، وهو قوله: «فإن الله هو
الغني الحميد» أي الغني عن ذلك، المحمود في جميع أفعاله، فلا يضره توليه، ولكنه ضر
نفسه.

«لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم» أي: ليس
ينهاكم الله عن مخالطة أهل العهد الذين عاهدوكم على ترك القتال وبرهم ومعاملتهم
بالعدل، وهو قوله: «أن تبروهم وتقسطوا إليهم» أي: وتعاملوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء

بالعهد «إن الله يحب المقسطين» أي: العادلين، ثم قال: «إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين» من أهل مكة وغيرهم «وأخرجوكم من دياركم» أي منازلكم وأملاككم «وظاهروا على إخراجكم» أي عاونوا على ذلك وعاضدوهم وهم العوام والأتباع عاونوا رؤساءهم على الباطل «أن تولوهم» أي: ينهاكم الله عن أن تولوهم وتوادوهم وتحبوهم، والمعنى: أن مكاتبتم بينهم بإظهار سر المؤمنين موالاتهم «ومن يتولهم» منكم أي: يوالهم وينصرهم «فأولئك هم الظالمون» يستحقون بذلك العذاب الأليم^(٤٢).

المؤمنات المهاجرات

«يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتوهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لانهن حل لهن ولا هم يجلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وأسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم & وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون»^(٤٣).

لما قطع سبحانه الموالاتة بين المسلمين والكافرين، بين حكم النساء المهاجرات وأزواجهن، فقال: «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن» بالإيمان، أي: استوصفوهن بالإيمان، وسماهن مؤمنات قبل أن يؤمن، لأنهن اعتقدن الإيمان «الله أعلم بإيمانهن» أي: كنتم تعلمون بالامتحان ظاهر إيمانهن، والله يعلم حقيقة إيمانهن في الباطن «فإن علمتموهن مؤمنات» يعني في الظاهر «فلا ترجعهن إلى الكفار» أي: لا تردوهن إليهم «لانهن حل لهن ولا هم يجلون لهن» وهذا يدل على وقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة وإن لم يطلق المشرك «وآتوهن ما أنفقوا» أي: وآتوا أزواجهن الكفار ما أنفقوا عليهن من المهر «ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتهن أجورهن» أي: ولا جناح عليكم معاشر المسلمين أن تنكحو المهاجرات إذا أعطيتهن مهورهن التي يستحل بها فروجهن، لأنهن بالإسلام قد بن من أزواجهن «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» أي: لا تمسكوا بنكاح الكافرات، وأصل العصمة

المنع، وسمي النكاح عصمة، لأن المنكوحه تكون في حبال الزوج وعصمته... «واسألوا ما أنفقتم» أي: إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدة، فاسألوهم ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ولم يدفعوها إليكم، كما يسألونكم مهور نسائهم إذا هاجرن إليكم وهو قوله: «وليسألوا ما أنفقوا ذلكم» يعني: ما ذكر الله في هذه الآية «حكم الله بينكم والله عليم» بجميع الأشياء «حكيم» فيما يفعل ويأمر به. ولما نزلت هذه الآية، آمن المؤمنون بحكم الله وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرروا بحكم الله فيما أمرهم به من أداء نفقات المسلمين، فنزل «وإن فاتكم شيء من أزواجكم» أي أحد من أزواجكم «إلى الكفار» فلحقن بهم مرتدات «فعاقتن» معناه فغزوتن وأصبتن من الكفار عقبى، وهي: الغنيمة فظفرتن وكانت العاقبة لكم «فأتوا الذين ذهب أزواجهم» أي نساؤهم من المؤمنين «مثل ما أنفقوا» من المهور عليهن من رأس الغنيمة، وكذلك من ذهب زوجته إلى من بينكم وبينه عهد، فنكث في إعطاء المهر، فالذي ذهب زوجته يعطى المهر من الغنيمة، ولا ينقص شيئاً من حقه بل يعطى كملاً.

«واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون» أي اجتنبوا معاصي الله الذي أنتم تصدقون به، ولا تجاوزوا أمره، وقالوا: فكان جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام، ست نسوة:

أم الحكم بنت أبي سفيان، كانت تحت عياض بن شداد الفهري .
 وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة، كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر، أبت وارتدت .

وبروع بنت عقبة، كانت تحت شماس بن عثمان .

وعمة بنت عبد العزى بن فضلة، زوجها عمر بن عبدود .

وهند بنت أبي جهل بن هشام، كانت تحت هشام بن العاص بن وائل .

وكلثوم بنت جرول، كانت تحت عمر .

فأعطاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مهور نسائهم من الغنيمة «٤٤٤» .

لا.. لكل أنواع الاستعمار

«يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور»^(٤٤٥).

ثم خاطب سبحانه المؤمنين، فقال: «يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم» أي: لا تتولوا اليهود وغيرهم من الكفار، وذلك أن جماعة من فقراء المسلمين كانوا يجبرون اليهود أخبار المسلمين يتواصلون إليهم بذلك فيصيرون من ثمارهم، فنهى الله المقاتلين عن ذلك، فقال: «قد يئسوا من الآخرة» أي من ثواب الآخرة «كما يئس الكفار من أصحاب القبور» يعني أن اليهود بتكذيبهم محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم يعرفون صدقه وأنه رسول قد يئسوا من أن يكون لهم في الآخرة حظ، لأنهم قد أيقنوا بعذاب الله^(٤٤٦).

«تناكحوا تناسلوا تكثروا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط»^(٤٤٧).

الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)

١٣. سياسة الإسلام في تكثير النفوس

اليوم أصبحت دول العالم تفتخر فيما تفتخر به بزيادة النفوس، فالدول التي نفوسها أكثر، يكون فخرها أكثر، وكان من الطبيعي ذلك، لأن بكثرة النفوس يكثر العمران والزراعة، وبكثرة النفوس تزداد المصانع والمخترعات، وبكثرة النفوس تكون القوة ضد الأعداء، وبكثرة النفوس تبتعد الدولة عن الاستعمار والاستغلال، فالدول الصغيرة تستعمر في مدة قصيرة، ولكن الدول الكبيرة لا تستعمر إلا بجهود وافرة، ومراوغات مستمرة وجهود دائمة من المستعمرين . هذه كلها نتيجة كثرة النفوس .

فلننظر إلى رأي الإسلام في ذلك :

الإسلام عرف نتائج تكثير النفوس قبل أن يحلم بها العالم، فقرره ووضع له خطوطاً وأسساً رصينة، تمكن بها من أن يجعل من الأمة الإسلامية أمة كبيرة كثيرة النفوس، وإليك بعض النقاط من ذلك .

أ: الإسلام حرص على النكاح والزواج إبان بلوغ البنين والبنات البلوغ الشرعي فقال :
«شراز موتاكم العزاب»^(٤٤٨) .

و: «ركعتان يصليهما متزوج أفضل من سبعين ركعة يصليهما أعزب»^(٤٤٩) .

و: «من سعادة المرء أن لا تطمث^(٤٥٠) ابنته في بيته»^(٤٥١) .

كناية عن أنه على الرجل أن تخرج ابنته من بيته، قبل أن تحيض والحيض يكون في الأغلب أوائل البلوغ .

ب: رفع الإسلام القيود التي وضعت في الزواج، وحبذ اتخاذ النكاح بسيطاً يقدر عليه كل فرد، فحبذ أن يكون المهر قليلاً .

يقول الحديث الشريف : «خير نسائكم أصبحهن وجهاً، وأقلهن مهراً»^(٤٥٢) .

كما حبذ أن لا يرد المؤمن إذا طلب التزويج وإن كان فقيراً، فالله تعالى يقول: «إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله»^(٤٥٣) وقد أفتى بعض العلماء بجرمة رد المؤمن القادر على النفقة، قال العلامة الحلبي (قدس سره): «ويجب إجابة المؤمن القادر على النفقة»^(٤٥٤).

ج: أباح الإسلام التزويج بأكثر من واحدة، حتى أربع إن استطاع الزوج أن يعدل بينهم، حيث قال في القرآن المجيد: «فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة»^(٤٥٥).

فهناك ربما يوجد أناس كثيرون لا تكفيهم زوجة واحدة، فلم طاقاتهم تذهب هباءً!! وهناك من مرضت زوجته بأمراض تمنع من التوالد والتناسل، أو كانت عقيمة لا تلد، فلم يبق الزوج بلا عقب وأولاد؟. وهناك من كبرت زوجته فلا تلد، وفي الزوج توجد طاقة الإنجاب^(٤٥٦)، فلماذا تذهب قواه دون إنتاج؟.

وإباحة التزويج بأكثر من واحدة من أفضل وسائل تكثير النفوس، فهذا أحد الأوروبيين يقول: «إن المسلمين يتمتعون بمتع ثلاث: هي التي جعلتهم أقوياء، وصعبت استعمارنا لهم، وهي: تقدمية المبدأ، ووفرة الخامات، وكثرة النسل».

وما كثرة النسل إلا وإباحة الزوجات فيها حظ وافر.

فهذه إحدى دول أوروبا حينما أرادت أن تشن حرباً على بعض دول العالم لمصالح نفسها، أباح التزويج بنساء متعدّدات قبل الحرب بعشرات السنين علماً بأنها بذلك يوجب تكثير النفوس، ويزيادة الناس تزداد القوى، فلما وضعت الحرب أوزارها رجعت القهقري، فمنعت من التزويج بأكثر من زوجة واحدة، كما كانت عليه من قبل، حيث التقليد غير الصحيح.

وما هذه الدول التي تمنع من ذلك، إلا للتقليد من الغرب!.

د: والإسلام يمرض كثيراً على حفظ صحة الناس، فيأمرهم بما يقربهم من الصحة، وينهاهم عما يبعدهم عن الصحة، حتى أن الإسلام ينهى الناس عن إبقاء الأوساخ في الدار إذا جن الليل^(٤٥٧)، كما يجب أن يغسل الشخص جميع جسده كل يومين مرة^(٤٥٨)، وغيرها،

وغيرها.

فإذا استقامت واعتدلت صحتهم يكون الموت والمرض فيهم أقل، فالرجل الصحيح والمرأة الصحيحة يستطيعان أن ينجبا أكثر وأكثر. وإذا حكمت هذه الموارد الأربعة في الدول الإسلامية، فمن الطبيعي أن تكثر النفوس.

فإن صار زواج كل من البنين والبنات عند البلوغ، ورفعت القيود الثقيلة من الزواج، وأبيحت النساء حتى أربع لزوج واحد، واتزنت صحة الناس، فلا شك أن الدولة التي هي^(٢٥) مليون نسمة مثلاً تصبح بعد مرور عشرين عاماً أضعف ذلك وعلى هذا المعدل والمقياس.

ولكن ما هو ذنب الإسلام إذالم يعمل به المسلمون؟

ولم يطبقوه في حياتهم العملية؟.

«يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة...»

سورة البقرة: ٢٠٨

١٤. سياسة الإسلام في السلم والحرب

الإسلام هو الدين الذي يدعو إلى السلم والسلام صدقاً، حيث يقول :
«يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو
مبين» (٤٥٩).

ويقول : «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» (٤٦٠).

ولم يكن الإسلام يوماً ما مثل هذه الدول التي تدعو إلى السلام كذباً وتجعل السلام
شعارها فقط، ثم إذا قامت الحرب أفنت قنابلها عشرات الملايين، وتفتخر بأن في استطاعتها
إبادة العالم في دقائق معدودة.

وعجيب هذا !! .

أفهل يكون الفخر بالتدمير وسفك الدماء؟! .

ولكن الإسلام حينما يدعو قرآنه إلى السلام، يسير على السلام في الصغيرة من خطواته
والكبيرة، فهذا التاريخ يحدثنا بأن دولة الإسلام قامت على أقل من ألف وأربعمائة ضحية من
المسلمين والكفار جميعاً، وكان ذلك نتيجة الحروب التي شنها الكفار، فدافع المسلمون عن
أنفسهم .

أفهل ترى اليوم يقام مبدأ، أو توجد فكرة، أو يطبق نظام، على أقل من ملايين من

الضححايا؟

إنه من المستحيل ..

والمستحيل جداً.

ومن سياسة الإسلام الإنسانية في الحروب : أنه لم يبدأ بحرب قط، فالحروب والغزوات
التي قامت في حياة الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) كلها كانت دفاعية، فلم يكن

الإسلام يوماً ما يذهب إلى الكفار ليشتن عليهم الحرب جزافاً واعتباطاً، كما أنه لم يبدأ بحرب إلا بعد الصبح، حتى أن في غزوة (ذات السلاسل) حينما تمكن المسلمون من الكفار ليلاً، لم يهجموا عليهم وأبى أمير المؤمنين (عليه السلام) من ذلك . «الموريات قدحاً* فالمغيرات صباحاً»^(٤٦١)، ومعنى الفقرة الأخيرة: أن الخيل تغير بفرسانها على العدو وقت الصبح، وإنما ذكر وقت الصبح، لأنهم كانوا يسيرون إلى العدو ليلاً فيأتونهم صباحاً^(٤٦٢) .

وفيما يلي نذكر قسماً من الأحاديث الشريفة الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن أهل بيته الأئمة الهداة (عليهم السلام)، في مختلف أحكام السلم والحرب، التي يظهر من خلالها جلياً كيف أن الإنسانية والعدل وتعميم الخير والصالح العام هي الأسس المتينة الثابتة لكل تصرفات الإسلام حتى في حالة الحرب... مما لم نجد له في التاريخ مثيلاً، لا تاريخنا المعاصر، عصر الحروب والتدمير، ولا تاريخ العالم الماضي، ولا تاريخ أي مذهب أو دين آخر .

وفي الوقت نفسه نذكر بكل اختصار عدداً من الأحاديث الشريفة في هذا المجال والتعليق عليها والبحث عنها بما يناسب حجم الكتاب، ونسأله تعالى أن يأتي بتفصيل ذلك في مجال أوسع في كتاب أكثر تفصيلاً إن شاء الله تعالى .

لا . . للغدر

في الكافي عن الصادق (عليه السلام) قال : «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أراد أن يبعث سرية، دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول :
سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله . .
لا تغلوا، ولا تملوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً،
إلا أن تضطروا إليها، وأما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين، فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمناً، واستعينوا بالله عليه»^(٤٦٣) .

(الغلول) : السرقة .

لا.. لكل الرذائل في حال الحرب، واشتباك النار وسقوط القتلى .
فالقتل في سبيل الله فضيلة، سواء كان قتلاً للعدو، أم قتل العدو للمؤمن كلاهما للمؤمن
فضيلة .

أما الرذائل فلا تنقلب فضيلة .

هذا هو منطق الإسلام، وسياسته الإنسانية حتى في الحرب .. فالغاية لا تبرر الوسيلة أيّاً
كانت .

تنظيم حربي رائع

روي في (تحف العقول) كتاب كتبه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى زياد بن النضر حين
أنفذه على مقدمته إلى صفين :

«اعلم أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، فإذا أنت خرجت من بلادك،
ودنوت من عدوك، فلا تسأم من توجيه الطلائع في كل ناحية، وفي بعض الشعاب والشجر
والخمر، وفي كل جانب، حتى لا يغيركم عدوكم ويكون لكم كمين، ولا تسير الكتائب
والقبائل من لدن الصباح إلى المساء إلا تعبئة، فإن دهمكم أمر، أو غشيكم مكروه كنتم قد
تقدمتم في التعبئة، وإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في إقبال الأشراف، أو في
سفاح الجبال، أو أثناء النهار، كيما يكون لكم ردءٌ ودونكم مردأٌ، ولتكن مقاتلتكم من وجه
واحد واثنين، واجعلوا رقباءكم في صياصي الجبال، وبأعلى الأشراف وبمناكب الأنهار يريئون
لكم، لئلا يأتيكم عدو من مكان مخافة أو أمن، وإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا رحلتم فارحلوا
جميعاً، وإذا غشيكم الليل فنزلتم، فغفوا عسكركم بالرمح والترسة، واجعلوا رماتكم يلون
ترستكم، كيلا تصاب لكم غرة ولا تلقى لكم غفلة، واحرس عسكرك بنفسك، وإياك أن ترقد
أو تصبح إلا غرراً أو مضمضة، ثم ليكن ذلك شأنك ودأبك حتى تنتهي إلى عدوك، وعليك
بالتأني في حربك، وإياك والعجلة إلا أن تتمكنك فرصة، وإياك أن تقاتل إلا أن يبدؤك، أو يأتيك
أمري، السلام عليك ورحمة الله» (٤٦٤).

عظيم هذا الإسلام .

عظيم جداً.. وجداً.

إنه دين الإنسانية.

إنه بحق الدين الذي جعله خالق الإنسان لسعادة الإنسان.

فالارتباط بينهما وثيق غاية في الوثاقة.

ففي نفس الوقت الذي يضع الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) هذا التنظيم

الرائع الحربي لقائد جيشه في المقدمة.

تراه يؤكد في آخره:

«وياك أن تقاتل إلا أن يبدؤك».

فالجيشان اصطفا لماذا؟

أليس للقتال؟

أليس (معاوية) خرج على الله وعلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ خرج على

خليفة الرسول الشرعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟

أليس جيش معاوية بغاة في المصطلح القرآني:

«وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا

التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله» (٤٦٥).

ولكنه الإسلام العظيم الذي لا يترك الإنسانية في أحلك الحالات وأعسر الظروف.

لا.. للمبادرة بالحرب.

نعم.. للمبادرة بالإنسانية.

هذه هو موجز منطق الإسلام العسكري.. وفي كل مجال.

لا.. للنبالم

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يلقي السم في بلاد المشركين» (٤٦٦).

(لا.. للنبالم)

هذا ما أكد عليه رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أربعة عشر قرناً .
إنه قال : لا .. والتزم بهذا القول .

أما اليوم فيقول العالم .. لا للنبالم، ولكنهم لا يلتزمون به .
من هنا يعرف عظمة الإسلام في السيف .. وفي الالتزام .
لا .. لقتل النساء

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن النساء كيف سقطت الجزية عنهن
ورفعت عنهن ؟
قال : فقال :

«لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب،
إلا أن يقاتلن، وإن قاتلت أيضاً فأمسك عنها ما أمكنك ولم تحف خللاً، فلما نهى رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) عن قتلهن في دار الحرب كان ذلك في دار الإسلام أولى، ولو
امتنعت أن تؤدي الجزية لم يمكن قتلها، فلما لم يمكن قتلها رفعت الجزية عنها، ولو منع الرجال
فأبوا أن يؤدوا الجزية كانوا ناقضين للعهد، وحلت دماؤهم وقتلهم، لأن قتل الرجال مباح
في دار الشرك والذمة، وكذلك المقعد من أهل الشرك والذمة والأعمى والشيخ الغاني والمرأة
والولدان في أرض الحرب فمن أجل ذلك رفعت عنهم الجزية» (٤٦٧).

(الإسلام) هو حامي المرأة في كل المجالات .

(والمادية) جعلت المرأة سلعة رخيصة، شأنها شأن الخمر .. والهيروثين .

فلينصف العالم الإسلام من خلال هذا النص الواحد الذي له ألوف الأمثال في الإسلام

هل الإسلام حمى المرأة أم حاربها؟

وهل المادية حمت المرأة أم خلعتها .

يسعى بدمتهم أذناهم

عن السكوني عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قلت له :

ما معنى قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : يسعى بدمتهم أذناهم ؟

قال: «لو أن جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين، فأشرف رجل فقال: أعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم وأناظره، فأعطاه أدناهم الأمان، وجب على أفضلهم الوفاء له» (٤٦٨).

أدنى المسلمين وأقلهم شخصية له كل هذا التقدير الكبير في نظام الإسلام أن يجبر مشركاً في الحرب، فيجب على عامة المسلمين، حتى القائد العام للقوات المسلحة أن يحترم جواره، نعم إلا إذا ثبتت المؤامرة أو خيفت .

هذا التقدير العظيم للفرد . لا يوجد في أية حكومة، أو أي نظام عسكري إلا في الإسلام . . دين الإنسانية .

وقد صرح فقهاء الإسلام استنباطاً من الأحاديث الشريفة أنه لو أعطى الأمان للكافر عبد من المسلمين، أو امرأة من المسلمات نفذ أمانه استعظماً للإسلام واستعلاءً للمسلمين .
فإن «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه» (٤٦٩) .

قال المحقق الحلبي (رضي الله عنه) في (شرائع الإسلام) :

(ويستوي في ذلك الحر والعبد والذكر والأنثى) (٤٧٠) .

وقال المحقق الشيخ محمد حسن النجفي (رضي الله عنه) في (جواهر الكلام) في شرح هذه العبارة: (بلا خلاف كما اعترف به في المنتهى في الأخير أي الأنثى ونسبه فيه أيضاً على علمائنا، وأكثر أهل العلم في العبد لعموم قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يسعى بذمتهم أدناهم»، وخصوص خبر مسعدة في العبد) (٤٧١) .

ونصوص الشريعة بتواتر تؤكد ذلك تعميقاً في احترام المسلمين وإعلاءً للإسلام، وفيما يلي نذكر بعض تلك النصوص :

في خبر مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إن علياً (عليه السلام) أجاز أمان عبد مملوك لأهل حصن من الحصون، وقال (عليه السلام): «هو من المؤمنين» (٤٧٢) .

وهذه الجملة الأخيرة (هو من المؤمنين) لعلها إشارة إلى قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «المؤمنون تتكافأ دمائهم يسعى بذمتهم أدناهم» (٤٧٣) .

فكان أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) استدلل على صحة أمان العبد المسلم بأنه مؤمن فيشملة إطلاق قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يسعى بذمتهم أي المؤمنين أدناهم .
وفي حديث محمد بن الحكم عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : «لو أن قوماً حاصروا مدينة فسألوهم الأمان، فقالوا: لا، فظنوا أنهم قالوا نعم، فنزلوا إليهم كانوا آمنين»^(٤٧٤).
وقد مر حديث السكوني^(٤٧٥).

وفي كتاب (جواهر الكلام) نقلاً عن (المنتهى) للعلامة الحلبي (رضي الله عنه) : أن أم هانئ قالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا رسول الله إني أجرت أحمائي وأغلقت عليهم، وإن ابن أمي أراد قتلهم .
فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، إنما يجير على المسلمين أدناهم»^(٤٧٦).

وفي الجواهر أيضاً : «إن زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أجات العاص بن الربيع فأمضاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)»^(٤٧٧).

المؤمنون سواسية

عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال :
«قرأت في كتاب لعلي (عليه السلام) : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب : إن كل غازية غزت بما يعقب بعضها بعضاً بالمعروف والقسط بين المسلمين، فإنه لا يجوز حرب إلا بإذن أهلها، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أمه وأبيه، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على عدل وسواء»^(٤٧٨).

التسوية بين أفراد المسلمين .. كبيرهم وصغيرهم .. حرهم وعبدهم .. شابههم وشيخهم ..
قائدهم وجنديهم .. في الحرب وغيرها .. هذا من مختصات الإسلام .

المسلمون تتكافئ دماؤهم

عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنه قال : خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

في مسجد الخيف فقال : «رحم الله امرئاً سمع مقالتي فوعاها، وبلغها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه وليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم، إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، والمسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، فإذا آمن أحد من المسلمين أحداً من المشركين، لم يجب أن تخفر ذمته»^(٤٧٩).

وعن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سألته عن قريتين من أهل الحرب، لكل واحدة منهما ملك على حدة اقتتلوا ثم اصطلحوا، ثم إن أحد الملكين غدر بصاحبه، فجاء إلى المسلمين فصالحهم على أن يغزوا تلك المدينة، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : «لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا، ولا يأمرؤا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا، ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم، ولا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفار»^(٤٨٠).

وهذا أيضاً من مختصات الإسلام، فالعالم والجاهل، والأسود والأبيض، والشيخ والشاب، وذو العشيرة ومن لا عشيرة له، كلهم . . حتى الجندي والقائد للقوات المسلحة . . كلهم في الدم سواء.

أليس هذا من مختصات الإسلام؟

نعم . . فانظر إلى الغرب والشرق في هذا الأمر لتعلم ذلك .

لا . . لكل فساد

عن محمد بن سنان، أن أبا الحسن الرضا (عليه السلام)، كتب إليه فيما كتب من جواب مسأله :

«حرم الله الفرار من الزحف، لما فيه من الوهن في الدين، والاستخفاف بالرسول والأئمة العادلة (عليهم السلام)، وترك نصرتهم على الأعداء، والعقوبة لهم على ترك ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية، وإظهار العدل، وترك الجور، وإماتة الفساد، لما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين، وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطال دين الله عز وجل وغيره من الفساد»^(٤٨١).

(الإسلام) دين الصلاح، والصلاح والفساد لا يجتمعان .

إذن : لا . . لكل أنواع الفساد في الإسلام .

والفرار من الزحف فساد للدين . . وللقيادة . . وللمسلمين . . فلا للفرار من الزحف .

وصايا إمام المسلمين

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا حضر الحرب، يوصي المسلمين بكلمات فيقول :
«تعاهدوا الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها، فإنها كانت على المؤمنين

كتاباً موقوتاً، وقد علم ذلك الكفار حيث سألوا :

«ما سللكم في سقر» قالوا لم نك من المصلين»^(٤٨٢) وقد عرف حقها من طرقها، وأكرم

بها من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زين متاع، ولا قرعة عين من مال ولا ولد، يقول الله عز وجل :

«رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة»^(٤٨٣)، وكان رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم) منصباً لنفسه بعد البشرى له بالجنة من ربه، فقال عز وجل :

«وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها . . .»^(٤٨٤) الآية، فكان يأمر بها أهله، ويصبر عليها نفسه .

ثم إن الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام على أهل الإسلام، ومن لم يعطها

طيب النفس بها يرجو بها من الثمن ما هو أفضل منها فإنه جاهل بالسنة، مغبون الأجر،

ضال العمر، طويل الندم بترك أمر الله عز وجل، والرغبة عما عليه صالحو عباد الله، يقول الله

عز وجل :

«ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى»^(٤٨٥)

من الأمانة، فقد خسر من ليس من أهلها وضل عمله، عرضت على السماوات المبنية،

والأرض المهادة، والجبال المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم لو امتنعن من طول

أو عرض أو عظم أو قوة أو عزة امتنعن، ولكن أشفقن من العقوبة .

ثم إن الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام وهو قوام الدين، والأجر فيه عظيم، مع العزة

والمنعة، وهو الكرة في الحسنات والبشرى بالجنة بعد الشهادة، وبالرزق غداً عند الرب

والكرامة، يقول الله عزوجل :

«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله»^(٤٨٦) الآية.

ثم إن الرعب والخوف من جهاد المستحق للجهاد، والمتوازين على الضلال، ضلال في الدين، وسلب للدنيا مع الذل والصغار، وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال، يقول الله عزوجل : «يا أيها الذين آمنوا إذا القيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار»^(٤٨٧) فحافظوا على أمر الله عزوجل في هذه المواطن التي الصبر عليها كرم وسعادة، ونجاة في الدنيا والآخرة من فظيع الهول والخافة، فإن الله عزوجل لا يعاب بما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم، لطف به علماً، وكل ذلك «في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى»^(٤٨٨)، فاصبروا وصابروا، واسألوا النصر، ووطنوا أنفسكم على القتال واتقوا الله عزوجل فإن «الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»^(٤٨٩) «^(٤٩٠)».

(هذه الوصايا) كتاب كامل .

كل جملة منها وكل وصية منها علم وفن وإنسانية، وبالتالي إنها خلاصة (الإسلام) الذي يجمع كل الخيرات .

وإمام المسلمين، أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الأعراف بذلك كله في كل أبعاده، فلتؤخذ منه هذه الوصايا، ولينفذها المسلمون في حروبهم مع الكفار والظالمين .

تنسيق عسكري دقيق

عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه وصف القتال، فقال :

«قدموا الرجال الرماة، فليرشقوا بالنبل ولتتناوش الجنبتان، واجعلوا خيل الروابط المنتخبة رداءً للواء، ولا تنتشروا عن مراكزكم لفارس شد من العدو، ومن رأى فرصة من العدو فلينشز ولينتهز الفرصة بعد إحكام مركزه، فإذا قضى حاجته عاد إليه، فإذا أردتم الحملة فليبدأ صاحب المقدمة، فإن تضعضع أدمته شرطة الخميس، فإن تضعضعوا حملت المنتخبة ورشقت الرماة، وتقف الطلائع والمسالح في الأطراف والغياض والأكام ليتحفظ من المكامن، فإن ابتدأكم العدو بالحملة، فأشروعوا الرماح واثبتوا واصبروا ولتنضح الرماة وحرخوا الرايات

وقعقعو الحجف، وليبرز في وجوههم أصحاب الجواشن والدروع، فإن انكسروا أدنى كسرة، فليحمل عليهم الأول فالأول، ولا تحملوا حملة واحدة ما قام من حمل بأمر العدو فإن لم يقم فادعوه شيئاً شيئاً، وألزموا مصافكم واثبتوا في مواقفكم، فإذا استحقت الهزيمة، فاحملوا بجماعتكم على التعابي غير متفرقين ولا منقبضين، وإذا انصرفتم من قتال، فانصرفوا كذلك على التعابي»^(٤٩١).

حيث كان العالم يعيش اللاتنسيق في كل شيء، حتى في الحرب كان أهل البيت (عليهم السلام) يضعون للمسلمين خطوط التنسيق في كل شيء، في الحرب وغير الحرب. هذا التنسيق الحربي الدقيق الذي تضمنه هذا المقطع من أوامر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في القتال قبل أربعة عشر قرناً تجده كافياً حتى لعهد الأقمار الصناعية والصواريخ.. ولما بعد هذا العهد.. ويزيد.

إعداد نفسي وعسكري

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه قال: «إن زحف العدو إليكم، فصفوا على أبواب الخنادق، فليس هناك إلا السيوف ولزوم الأرض بعد إحكام الصفوف، ولا تنظروا في وجوههم، ولا يهولنكم عددهم، وانظروا إلى أوطانكم من الأرض، فإن حملوا عليكم فاجثوا على الركب، واستتروا معاً بالترسة صفاً محكماً لا خلل فيه، فإن أدبروا فاحملوا عليهم بالسيوف فإن ثبتوا فاثبتوا على التعابي، وإن انهزموا فاركبوا الخيل، واطلبوا القوم ولا قوة إلا بالله، وإن كانت وأعوذ بالله فيكم هزيمة، فتداعوا وكبروا وثقوا بالله وبما تواعده من فر من الزحف، ويكتوا من رأيتموه ولي، واجمعوا الألوية واعتقدوا، وليسرع المخفون في رد من انهزم من الجماعة وإلى المعسكر، فلينفرد من فيه إليكم، فإذا اجتمع أطرافكم، وأبت إمدادكم، وانصرف فلكم، فألحقوا الناس بقوادهم، وأحكموا تعابيهم وقتلوا واستعينوا بالله واصبروا»^(٤٩٢).

(الإعداد) النفسي في الحرب مع (الإعداد) العسكري رضيعاً لبان، كلما كانا معاً انتصر الجيش، وهذا ما لا يتناساه الإسلام، والإمام (عليه السلام) يمزج الإعدادين في صورة واحدة من الكلام ليكون أكثر تماسكاً وقوة.

لا . . لتصفية الحسابات في الحرب

عن حفص بن غياث قال :

سألت أبا عبد الله (عليه السلام)، عن الرجل من أهل الحرب، إذا أسلم في دار الحرب، فظهر عليهم المسلمون بعد ذلك؟

فقال : «إسلامه إسلام لنفسه ولولده الصغار وهم أحرار، وولده ومتاعه ورقيقه له، فأما الولد الكبار، فهم فيء للمسلمين، إلا أن يكونوا أسلموا قبل ذلك، وأما الدور والأرضون فهي فيء ولا تكون له، لأن الأرض هي أرض جزية لم يجز فيها حكم أهل الإسلام، وليس بمنزلة ما ذكرناه، لأن ذلك يمكن احتيازه وإخراجه إلى دار الإسلام»^(٤٩٣).

(الإسلام) دين الحق والعدل، وليس دين تصفية الحسابات والتشفي، فإذا أسلم مشرك في دار الحرب قبل منه إسلامه، وكان يتبعه ولده الصغار غير البالغين . .

وقد نص القرآن الحكيم على هذه الاستيعابية الإنسانية الرائعة الفريدة : «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً»^(٤٩٤).

التقسيم بالسوية

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه أمر عمار بن ياسر وعبد الله بن أبي رافع وأبا الهيثم بن التيهان، أن يقسموا مالا من الفيء بين المسلمين، وقال : «اعدلوا بينهم ولا تفضلوا أحداً على أحد».

فحسبوا فوجدوا الذي يصيب كل رجل من المسلمين ثلاثة دنانير، فأتوا الناس فأقبل عليهم طلحة والزبير ومع كل واحد ابنه، فدفعوا إلى كل واحد منهم ثلاثة دنانير .

فقال طلحة والزبير : ليس هكذا كان يعطينا عمر، فهذا منكم أو عن أمر صاحبكم؟ قالوا : هكذا أمرنا أمير المؤمنين (عليه السلام) .

فمضيا إليه (عليه السلام)، فوجداه في بعض أحواله قائما في الشمس على أجير له يعمل بين يديه فقالا له : ترى أن ترتفع معنا إلى الظل؟

قال : نعم .

فقالا له : إنا أتينا إلى عمالك على قسمة هذا الفيء، فأعطونا كما أعطي سائر الناس .

قال : فما تريدان ؟

قالا : ليس كذلك كان يعطينا عمر .

قال (عليه السلام) : فما كان يعطيكما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ فسكتا .

فقال (عليه السلام) : أليس كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم بين المسلمين

بالسوية ؟

قالا : نعم .

قال : فسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى بالاتباع عندكما، أم سنة عمر ؟

قالا : سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن لنا يا أمير المؤمنين سابقة وعناء

وقرابة، فإن رأيت أن لا تسوينا بالناس، فافعل .

قال : سابقتكما أسبق أم سابقتي ؟

قالا : سابقتك .

قال : فقرابتكما أقرب أم قرابتي ؟

قالا : قرابتك .

قال : فعناؤكما أعظم أم عنائي ؟

قالا : بل أنت يا أمير المؤمنين أعظم عناءً .

قال : فوالله ما أنا وأجيري هذا في المال، إلا بمنزلة واحدة، وأومئ بيده إلى الأجير الذي بين

يديه^(٤٩٥)، الخبر .

(عظيم) الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

إنه الشخصية الفريدة في التاريخ بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(وعظمة) الشخص تعرف من خلال تاريخه .

فمن مثل علي (عليه السلام) ؟

ومن له مثل هذا التاريخ المجيد في كل الأبعاد ؟

وقد أسلم بعض الفلاسفة الغربيين، وقال : إن سبب إسلامي أنني رأيت علي بن أبي طالب مسلماً، ولو لم يكن الإسلام حقاً لما اعتنقه هذا العملاق العظيم، ومن اعتناق علي (عليه السلام) للإسلام عرفت أن الإسلام حق .

الأولوية للإسلام

عن الإمام الصادق جعفر، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث حاصر أهل الطائف قال : «أما عبد خرج إلينا قبل مولاه فهو حر، وأما عبد خرج إلينا بعد مولاه فهو عبد»^(٤٩٦).

العبد والمولى مشركان في دار الحرب أو في ساحة الحرب لا فرق، فلو أسلم العبد قبل مولاه تحرر عن العبودية . . فإنه «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً»^(٤٩٧). و«الإسلام يعلو ولا يعلو عليه»^(٤٩٨).

ولو أسلم المولى ثم أسلم العبد فلا يزال عبداً لمولاه . . . وهذه أولوية الإسلام .

احترام الرسول

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : «إن ظفرتم برجل من أهل الحرب، فزعم أنه رسول إليكم، فإن عرف ذلك منه وجاء بما يدل عليه، فلا سبيل لكم عليه، حتى يبلغ رسالاته، ويرجع إلى أصحابه، وإن لم تجدوا على قوله دليلاً، فلا تقبلوا منه»^(٤٩٩).

(رسول) المشركين إلى المسلمين محترم، لا يقتل، ولا يهان، ولا يسلب ولا يؤذى، ولا يدفع .

هذه قاعدة إنسانية يؤكد عليها الإسلام الذي هو دين الإنسانية .

وفي نفس الوقت الذي يعمل الإسلام بالإنسانية، ويؤكد عليها بالغ التأكيد في كل المجالات حتى في الحرب التي هي أعتى المجالات . .

في نفس الوقت لا يغفل الإسلام عن غدر المشركين، وعدم التزامهم بالإنسانية، فيؤكد على ثبوت كون الرجل رسولاً، لكي لا يصير المسلمون مصيدة لغدر الكفار .

(أليس) عظيماً هذا الإسلام في سياسته الجامعة بين الدقة والإنسانية .

إخراج الكفار

عن أم سلمة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى عند وفاته، أن تخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وقال: «الله في القبط، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعاوناً في سبيل الله»^(٥٠٠).

كم لقي المسلمون طيلة القرون الأربعة عشر الماضية من مغبة تركهم لهذه الوصية العظيمة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولا يزال الكفار يتغلغلون في جزيرة العرب، ويمدون خيوط الاستعمار منها إلى عامة البلاد الإسلامية في مجالات الثقافة والسياسة والجيش وغيرهما.

الشعار في الإسلام

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «شعارنا: (يا محمد يا محمد)، وشعارنا يوم بدر: (يا نصر الله اقترب اقترب)، وشعار المسلمين يوم أحد: (يا نصر الله اقترب)، ويوم بني النضير: (يا روح القدس أرح)، ويوم بني قينقاع: (يا ربنا لا يغلبنك)، ويوم الطائف: (يا رضوان)، وشعار يوم حنين: (يا بني عبد الله يا بني عبد الله)، ويوم الأحزاب: (حم لا يبصرون)، ويوم بني قريظة: (يا سلام أسلمهم)، ويوم المريسيع وهو يوم بني المصطلق: (ألا إلى الله الأمر)، ويوم الحديبية: (ألا لعنة الله على الظالمين)، ويوم خيبر يوم القموص: (يا علي أتهم من عل)، ويوم الفتح: (نحن عباد الله حقاً حقاً)، ويوم تبوك: (يا أحد يا صمد)، ويوم بني الملوح: (أمت أمت)، ويوم صفين: (يا نصر الله)، وشعار الحسين (عليه السلام): (يا محمد)، وشعارنا: (يا محمد)»^(٥٠١).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر بالشعار قبل الحرب وقال: وليكن في شعاركم اسم من أسماء الله تعالى»^(٥٠٢).

(الشعار) ضرورة حتمية لكل أمة تريد النهوض بأبنائها إلى الصعود، إذ الشعار هو المعبر عن آلام الأمة وآمالها، وهو الذي يربي عليه أجيالها الصاعدة، وهو الذي يحدد مسير الأمة

ومصيرها، ويوضح موقفها في الأحداث الداخلية والخارجية، وفي الإسلام حيث إن الله مبدأ ومنتهى كل شيء فليكن في الشعار بعض أسماء الله تعالى .

احترام الكرام

في (العدد القوية) لعلي بن يوسف، أخ العلامة، عن محمد بن جرير الطبري قال : لما ورد سبي الفرس إلى المدينة، أراد عمر بن الخطاب بيع النساء وأن يجعل الرجال عبداً، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) :

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : أكرموا كريم كل قوم .

فقال عمر : قد سمعته يقول : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا، وإن خالفكم .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السلام، وورعوا في الإسلام، ولا بد من أن يكون لهم فيهم ذرية، وأنا أشهد الله وأشهدكم أنني قد أعتقت نصيبي منهم لوجه الله .

فقال المهاجرون والأنصار : وقد وهبنا حقنالك يا أخا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فقال : اللهم إني أشهد أنهم قد وهبوا لي حقهم وقبلته، وأشهدك أنني قد أعتقتهم لوجهك .

فقال عمر : لم نقضت عليّ عزمي في الأعاجم، وما الذي رغبتك عن رأيي فيهم؟ فأعاد عليه ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في إكرام الكرماء .

فقال عمر : قد وهبت لله ولك يا أبا الحسن ما يخلصني وسائر ما لم يوهب لك .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : اللهم أشهد على ما قالوا، وعلى عتقي إياهم .

فرغب جماعة من قريش في أن يستنكحوا النساء .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : هؤلاء لا يكرهن على ذلك ولكن يجيرن ما اخترنه عمل به^(٥٠٣)، الخبر .

الإسلام دين الحب

وقد ورد في متواتر الروايات: «هل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله»^(٥٠٤). وبالحب والفضيلة استطاع الإسلام أن يخضع العالم فكراً، ويخضع حكومات الدنيا سياسياً. حتى أن المؤرخين يذكرون: أن الزحف الإسلامي في قوته وسرعته هو الفريد الذي لم يحدثنا تاريخ العالم كله له مثيلاً ولا نظيراً.

وما هذا التأخر الفظيع الذي حدث للمسلمين في هذا القرن إلا وليد عدم قدرة المسلمين على (الحب في الإسلام) كما كان ينبغي.

وقد عمد الأجنب إلى تشويه صورة الإسلام، وإعطائه إطار العنف والشدّة والقسوة، لكي يستقطبوا غير المسلمين ويضيقوا الخناق على المسلمين.

ولنعم ما قال من قال: (الإسلام جوهره غطاؤها المسلمون).

فلو أظهر المسلمون الإسلام ناصحاً كما أنزل الله لا عتقه أكثر المجموعة البشرية لأن أكثر الناس ليسوا متعصبين، وإنما هم جهال لا يعلمون، فإذا علموا رجعوا.

هذه ثلثة من أحاديث الرسول وأهل بيته الطاهرين (عليه وعليهم الصلاة والسلام) في مختلف شؤون الحرب، أثبتناها هنا كنماذج، من موسوعة (وسائل الشيعة) و(مستدرك الوسائل) كتاب الجهاد، وإلا ففيهما وفي غيرهما من موسوعات الحديث الشريف زخم كبير من النصوص وجمعها بحاجة إلى تدوين كتاب مستقل ضخم.

«إن الله يأمر بالعدل والإحسان»

سورة النحل: ٩٠

١٥. من أسس الخارجية للبلد الإسلامي حسب نصوص الشريعة من القرآن

تبتني أسس السياسة الخارجية للبلد الإسلامي حسب نصوص الشريعة من القرآن الحكيم والسنة المطهرة على أعمدة عدة، ترجع إليها غيرها من الأحكام والقوانين غالباً، وهي كما يلي:

١: قبول الإسلام فوراً

قال تعالى: «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً»^(٥٠٥).

فكل من قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» حقن ماله وعرضه ودمه.

فلا يُقتل ولا يُقاتل، ولا تسبى نساؤه وأولاده الصغار، ولا تصادر أمواله، نعم لو علم منه الكذب والدجل وأن ما قاله مجرد لقلقة لسان فذاك بحث آخر ليس هذا الموجز معداً لنقاش أطراف الحديث عنه.

وبما أن الإسلام دين عالمي جاء من إله الإنسان لهداية كل أفراد الإنسان اقتضى أن يكون استيعابياً «وما أرسلناك إلا كافة للناس»^(٥٠٦)، «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً»^(٥٠٧).

وتحقيقاً لاستيعاب أكبر عدد يمكن هدايتهم إلى الحق يجب قبول إسلام كل من ألقى السلام.

أضف إلى ذلك: أن تحقيق العدل العام يقتضي هذا القبول أيضاً، وذلك: لأن في أولئك الذين يلقون السلام ويعترفون بالإسلام أناساً صادقين، ولا يمكن تمييزهم بدقة عن الكاذبين، فلولم يقبل الإسلام الاعتراف من كل إنسان، لذهب في العديد من الصادقين صدقهم سدى، وهذا ينافي تعميم العدل الإنساني والإحسان الإلهي بعباده.

وأضف إليه ثانياً: أن الكثير من الذين يلقي السلام ويعترف بالإسلام لا عن عمق، أو عن كذب ودجل، يتحولون إلى مسلمين صادقين نتيجة للممارسات الإنسانية التي يعرفونها ويرونها في ظل الإسلام، فينجذبون إلى الإسلام.

(فالشهادتان) تكون بمنزلة بوتقة الذهب، التي يصب فيها الذهب المغشوش والذي فيه خلط آخر، ثم تصفيه البوتقة شيئاً فشيئاً.

٢. تعميم العدل

قال تعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان»^(٥٠٨).

وورد في الحديث الشريف: «بالعدل قامت السموات والأرض»^(٥٠٩).

والإسلام: لا يجيد عن العدل مهما كلف الأمر.

فالعدل، ووضع كل شيء في موضعه اللائق به، يعتبر من الأعمدة الأساسية في الإسلام.

ولذا نجد الإسلام ينهى عن أمور تناهى العدل، بالرغم من أنها غير منهي عنها في الممارسات السياسية في العالم قديماً وحاضراً، وكنماذج نذكر ثلاثة أمثلة من منهيّات الحرب في الإسلام:

أ: لا.. للغدر

الغدر في الحرب منهي عنه، مع أنه كثيراً ما يسرع الانتصار العاجل، ومع أن السياسة العالمية المعاصرة مبتنية على الغدر غالباً.

فعن الأصمغ بن نباته: أن علياً (عليه السلام) قال في خطبة له:

«لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفر، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة»^(٥١٠).

ويذهب الإسلام شوطاً أبعد عمقاً في التجنب من الغدر الذي هو مناقض للعدل الإسلامي الساري المفعول في كل الأحوال.. وذلك بعدم إجازة الحرب مع الكافر المحارب للمسلمين من خلال مساعدة كفار محاربين آخرين يغدرون بالكفار المحاربين الأولين. ولعلنا

لا نجد في تاريخ الدنيا، ولا في قاموس أية سياسة على وجه الأرض مثل هذا الالتزام العميق بالعدالة.

اقرأ معي النص التالي المروي عن حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وناشر علوم الإسلام، ومعلم أئمة المذاهب الإسلامية كلها: أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

في خبر طلحة بن زيد عن أبي عبد الله (عليه السلام): سأله عن فرقتين من أهل الحرب، لكل واحدة منهما ملك على حدة واقتتلوا ثم اصطلحوا، ثم إن أحد الملكين غدر بصاحبه فجاء إلى المسلمين فصالحهم على أن يغزوا معهم تلك المدينة.

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا، ولا أن يأمروا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا، ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم»^(٥١١).

وأخر الحديث الشريف إشارة إلى قوله تعالى: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم»^(٥١٢)

الآية.

ب: لا.. للتمثيل

نهى في الإسلام عن التمثيل بقتلى الأعداء، مهما كانوا، وأياً كانت أديانهم ومذاهبهم.. والتمثيل هو تقطيع الأعضاء، والجوارح، وفقاً العين، ونحو ذلك من الأمور المشوهة لجسم القتيل.

انظر إلى النصوص التالية:

روي عن علي (عليه السلام) أنه كان ينهى الجيش عن التمثيل ويقول:

«ولا تمثلوا بقتيل»^(٥١٣).

وروي (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«ياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»^(٥١٤)

ج: لا.. لقتل عشرة

لقد استثنى الإسلام من الموجودين في ساحة الحرب أي الكفار المحاربين، عشر طوائف،

أو أربع عشرة على قول آخرين من الفقهاء، فإنهم لا يقتلون..

وهذا من الممارسات الخاصة بالإسلام لا يكاد يوجد له نظير في قاموس السياسة المعاصرة.

وهؤلاء كما يلي :

١ : الشيخ الفاني الذي لا يقدر على حمل السلاح .

٢ : المرأة التي لا تشترك في الحرب، وإن كانت تسعف الجرحى والمحاربين وتساعدهم في

المأكل والملبس ونحو ذلك .

٣ : الطفل قبل بلوغه البلوغ الشرعي، الذي هو في الأثنى : عشر سنوات، وفي الذكر :

إكمال خمس عشرة سنة غالباً..

٤ : من به الشلل والزمن، وكل مقعد لا يقوم على رجليه .

٥ : الأعمى .

٦ : كل مريض أقعده المرض .

٧ : الرسول الذي يأتي برسالة من الكفار المحاربين إلى المسلمين .

٨ : الراهب المنشغل بعبادته، وإن كان مع المحاربين ويدعو لهم بالنصر ولكنه لا يشترك

في الحرب عملياً .

٩ : المجنون .

١٠ : كل من لا مصلحة انتصارية في قتله .

وأضاف عدد من فقهاء الإسلام أربع طوائف آخر لا يقتلون أيضاً وهم كالتالي :

١١ : الفلاح والزراع الذي يعمر الأرض بالزراع .

١٢ : أصحاب الصناعات، كالمهندسين والمخترعين ونحوهم .

١٣ : أصحاب الحرف كالنجار والصائغ ونحوهم .

١٤ : الخنثى .

ودليل استثناء هؤلاء الطوائف نصوص الشريعة المذكورة في موسوعات الحديث وكتب

الفقه بتفصيل، مثل (وسائل الشيعة) و(مستدرك الوسائل) و(جواهر الكلام) وغيرها.

٣: إنقاذ المستضعفين

من الأعمدة الثابتة في السياسة الخارجية للحكومة الإسلامية هو إنقاذ المستضعفين أينما كانوا، ومهما كانت أديانهم ومعتقداتهم، وإن كانوا غير مسلمين وكانوا مشركين، وعباد أصنام، وغير ذلك..

وأساس ذلك قوله تعالى:

«وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين»^(٥١٥).

فكما يجب القتال في سبيل الله، كذلك يجب القتال لإنقاذ المستضعفين.

فلو كانت هناك حكومة كافرة، وشعبها كفار أيضاً، وكانت الحكومة تظلم شعبها وتستضعفهم، يجب على المسلمين مقاتلة تلك الحكومة الظالمة، وإنقاذ الشعب المسكين من براثن الظلم.

ولا يصغي الإسلام إلى أن ذلك تدخل في الأمور الداخلية لحكومة أخرى..

فإن المحور عند الإسلام هو الإنسان، ومن أعمدة سياسة الإسلام إنقاذ المستضعفين أينما كانوا، وكيفما كانوا.

٤: لا لاندلاع الحرب

الإسلام ينهى عن أن يبتدأ المسلمون بالقتال مع الكفار الذين لم يسلموا سيفاً على المسلمين، ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم، ولم يظاهروا على إخراجهم، ويحيز قتال الكفار الذين بدؤوا الحرب على المسلمين، وأخرجوهم من ديارهم.

ودليل ذلك قوله تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلواكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين» * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلواكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون»^(٥١٦).

٥: الإسلام يعلو

ومن الأسس الثابتة للسياسة الإسلامية الخارجية هي: أن الإسلام يجب أن يكون دائماً، وفي كل مكان، وفي جميع المجالات، أعلى من أي دين أو حكومة أو نظام آخر.. ودليل ذلك قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»^(٥١٧).

فالإسلام دائماً يجب أن يكون في تعالٍ مستمر مهتما تعالت الأديان والأمم، بحيث يكون الإسلام أعلى منها جميعاً.

أعلى في جميع الجوانب، وفي كل المجالات.

فكما أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي اختاره الله تعالى لجميع البشر بعد بعثة خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). كذلك يجب أن يناسب تعالي المسلمين في كل الميادين، هذا العلو الثابت للدين..

فالمسلمون يجب أن يكونوا أعلى من غيرهم في الاقتصاد، وفي الزراعة، وفي الاجتماع، وفي علم النفس، وفي فن الإدارة، وفي الحرب، وفي السلم، وفي التأليف، وفي النشر، وفي الصناعة، وفي الطب، وفي الهندسة، وفي الفيزياء، وفي الكيمياء، وفي الفضاء، وفي الذرة، وفي غيرها.. من جميع المجالات.

وهناك نقاط في الفقه الإسلامي يجمعها رباط (الإسلام يعلو) نذكر بعضها بإيجاز:

أ: وجوب الهجرة

يجب على المسلم الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فيما إذا لم يستطع هناك من إقامة شعائر الإسلام.

قال الله تعالى: «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً»^(٥١٨).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:

«إني بريء من كل مسلم نزل مع مشرك في دار الحرب»^(٥١٩).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً أنه قال:

«لا ينزل دار الحرب إلا فاسق برئت منه الذمة»^(٥٢٠).

وحيث إن المناط المستنبط في ذلك هو (الإسلام يعلو) لذكركهم التمكن من إقامة شعائر الإسلام ذكر الفقهاء فروعاً في المسألة يجدر الاطلاع على بعضها:

قال في (الفقه): (هل المعيار في وجوب الهجرة بلد الكفر أو القطر الكافر؟ الظاهر بقريظة الآيات والروايات المتقدمة البلد الكافر، فإذا كانت مملكة كافرة فيها بلد مسلم يتمكن المسلم فيه من إقامة شعائر الإسلام لم تجب الهجرة، ولو انعكس بأن كان القطر مسلماً لكن البلد كان كافراً لم تجب الهجرة فيما إذا تمكن المسلم من إقامة شعائر الإسلام.

وهل ينسحب الحكم إلى الدار بأن كان الرجل خادماً مثلاً في دار كافرة، في بلد مسلم، لم يتمكن فيها من إظهار شعائر الإسلام فهل يجب عليه الخروج منها؟ الظاهر ذلك لما تقدم من النص المؤيد بالدليل العقلي»^(٥٢١).

ب: الدعاء إلى الإسلام

قال الفقهاء: لا يبدأ المسلمون الكفار بالحرب بدون دعائهم إلى الإسلام وإتمام الحجّة، وذلك في الجملة بلا خلاف ولا إشكال. وقد استدلو لذلك بالأدلة الأربعة:

القرآن الحكيم، والسنة المطهرة، وإجماع الفقهاء، ودليل العقل، مثل قوله تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً» * وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً»^(٥٢٢).

وروي عن أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه) أنه قال:

«لما بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن قال: يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأمّ الله لئن يهدي الله عزوجل على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاه يا علي»^(٥٢٣).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال أيضاً:

«لا تقاتل الكفار إلا بعد الدعاء»^(٥٢٤).

وهذه النقطة تحقيق آخر (الإسلام يعلو) في مختلف الميادين الفكرية، والعسكرية، والاجتماعية.

ج: حرمة الفرار من الحرب

الفرار من الحرب من أعظم المحرمات، ومن الكبائر التي وعد الله عليها النار، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار * ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير» (٥٢٥).

وروي عن مولانا أبي الحسن علي بن موسى الرضا (صلوات الله عليه) أنه كتب في جواب مسائل محمد بن سنان:

«حرم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين، والاستخفاف بالرسول والأئمة العادلة (عليهم السلام)، وترك نصرتهم على الأعداء والعقوبة لهم على إنكار ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية وإظهار العدل وترك الجور وإماتته والفساد ولما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطال حق دين الله عز وجل وغيره من الفساد» (٥٢٦).

وهذا الحديث الشريف تفصيل لمضمون (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) وتأكيد له.

د: العبد المسلم عند الكافر

لا يباع عبد مسلم لكافر، ولا يقر ملك كافر على عبد مسلم، فلو كان عبد مسلم وجاءه كافر ليشتريه لا يجوز بيعه له، ولو كان عبد كافر عند كافر فأسلم العبد لا يقر ملك الكافر عليه بل يباع العبد من مسلم، ولو كان عبد مسلم عند مسلم، فكفر المولى، لا يقر ملكه على العبد بل يرثه ورثته المسلمون.

قال الشيخ الأنصاري (قدس سره) في المكاسب:

«يشترط فيمن ينتقل إليه العبد المسلم ثمناً أو مثنياً أن يكون مسلماً، فلا يصح نقله إلى الكافر عند أكثر علمائنا، كما في (التذكرة)، بل عن (الغنية) عليه الإجماع» (٥٢٧).

ثم استدلل له بأدلة منها الحديث المروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

(الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) (٥٢٨).

إلى أن قال بعد بحث طويل : «ثم إنه لا إشكال ولا خلاف في أنه لا يقر المسلم على ملك الكافر، بل يجب بيعه عليه، لقوله (عليه السلام) في عبد كافر أسلم: اذهبوا فبيعوه من المسلمين وادفعوا إليه ثمنه ولا تقروه عنده».

ثم قال : «ومنه يعلم أنه لو لم يبعه باعه الحاكم، ويحتمل أن تكون ولاية البيع للحاكم مطلقاً لكون المالك غير قابل للسلطنة على هذا المال» (٥٢٩).

هـ : لا يباع القرآن للكافر

لا ينقل القرآن الحكيم إلى الكافر.

هكذا ذكر فقهاء الإسلام .

لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه» (٥٣٠).

وبيع القرآن الحكيم للكافر الذي يعتقد بعدم صحة القرآن نوع إهانة للقرآن، وإذلال

للإسلام، والامتناع عن تمكين الكافر من القرآن نوع علو للقرآن وإعزاز للإسلام .

وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«أنه نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو» (٥٣١).

وهناك نقاط أُخر في هذا المضمون ندع البحث عنها إلى الكتب المفصلة في هذا المجال .

٦: وحدة المسلمين

المسلمون كلهم أمة واحدة في منطق القرآن والإسلام .

قال الله تعالى : «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» (٥٣٢).

وقال سبحانه : «وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون» (٥٣٣).

وقال عز من قائل : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل

لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم» (٥٣٤).

وقد أخرج في تفسير (نور الثقلين) عند ذكر هذه الآيات أحاديث مستفيضة نذكر بعضها

منها كنماذج :

في تفسير علي بن إبراهيم : وقوله : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» .

قال : الشعوب العجم، والقبائل : العرب .

وقوله : «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» وهو رد على من يفتخر بالأحساب والأنساب (٥٣٥) .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح مكة :

«يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية، وتفاخرها بأبائها، إن العربية

ليست بأب ووالدة، وإنما هو لسان ناطق، فمن تكلم به فهو عربي، ألا إنكم من آدم وادم من

التراب، وأكرمكم عند الله أتقاكم» (٥٣٦) .

وفي روضة الكافي، بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال :

«كان سلمان جالساً مع نجر من قريش في المسجد، فاقبلوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم

حتى بلغوا سلمان، فقال له عمر بن الخطاب : أخبرني من أنت ؟ ومن أبوك ؟ وما أصلك ؟

فقال : أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً فهداني الله عز وجل بمحمد (صلى الله عليه وآله

وسلم) .

كنت عائلاً فأغواني الله بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

هذا نسبي وهذا حسبي .

قال : فخرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلمان (رضوان الله عليه) يكلمهم .

فقال له سلمان : يا رسول الله ما لقيت من هؤلاء، جلست معهم فاخذوا ينتسبون ويرفعون

في أنسابهم حتى إذا بلغوا إليّ قال عمر بن الخطاب : من أنت وما أصلك وما حسبك ؟

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : فما قلت له يا سلمان ؟

قال : قلت أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً فهداني الله عز ذكره بمحمد (صلى الله عليه

وآله وسلم)، وكنت عائلاً فأغواني الله عز ذكره بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكنت

مملوكاً فأعتقني الله عز ذكره بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، هذا نسبي وهذا حسبي .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا معشر قريش إن حسب الرجل دينه،
ومروءته خلقه، وأصله عقله، وقال الله عز وجل :

«إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله
أتقاكم» .

ثم قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لسلمان : ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا
بتقوى الله عز وجل ، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل^(٥٣٧) .

فأين مكان القوميات، والأقليميات في الإسلام؟

فالبلاد الإسلامية كلها بلد واحد، وقانون واحد، وأمة واحدة، بلغاتهم المختلفة، وقومياتهم
المختلفة، وألوانهم المختلفة، وعاداتهم المختلفة، كما لهم إله واحد، ونبي واحد، وقرآن واحد،
وسنة واحدة، وقبله واحدة، ..

ولذا فإن أي تفريق بين المسلمين يعتبر من أشد المحرمات في الإسلام ويكون تشتيتاً
للأمة الواحدة، وتسهيلاً لسيطرة الكفار على بلاد الإسلام وعلى المسلمين سواء كان تفريقاً
بالقوميات : فهذا عربي، وهذا تركي، وهذا فارسي، وهذا كردي، وهذا هندي .. الخ .

أم كان تفريقاً بالأراضي : فهذا العراق، وهذه إيران، وهذا الخليج، وهذه سوريا، وهذه مصر،
وهذا الحجاز .. وهلم جراً .

أم كان تفريقاً بالجنسيات : فهذا عراقي، وهذا إيراني، وهذا مصري .. الخ .

أم أي تفريق آخر، كل ذلك مرفوض في الإسلام أيضاً شديداً وأكداً .

لا.. للجنسية والجواز

وعليه فالجواز، والجنسية، ونحوهما من بدع الاستعمار التي ليست من الإسلام، ولا
الإسلام منها في شيء .

ولم يكن لها سابق في تاريخ الإسلام الطويل إلا في القرن الأخير الذي ضعف فيه
المسلمون فلعبت بهم أهواء المستعمرين .

ولهذا الأمر كان ما ينقل عن العالم الزاهد الكبير المرحوم (الميرزا صادق آقا التبريزي

(رضي الله عنه) ^(٥٣٨)، أنه لما حدث قانون الجنسية والجواز والإقامة في إيران عارضه هذا العالم الجليل، وأفتى بتحريم الخضوع له. حتى نقل أنه أفتى بعدم جواز الحج إلى بيت الله الحرام إذا توقف الحج على الخضوع للجواز والجنسية، باعتباره محرماً أشد ومزاحماً أعظم لوجوب الحج.

وهذا من صميم الحرية الإسلامية التي منحها الإسلام للمسلمين في ما استفادها فقهاء الإسلام من نصوص الشريعة الإسلامية قالوا:

«الناس مسطون على أنفسهم» ^(٥٣٩).

لا.. للحدود الأرضية

وهكذا وضع الحدود الأرضية في أراضي المسلمين بغية تشتيت المسلمين أيضاً من أشد المحرمات، وهي الأخرى التي لا سابق لها في تاريخ الإسلام الطويل، إلا بعد (لورنس) ^(٥٤٠) النصراني الكافر المستعمر البريطاني الذي وضع للعراق حدوداً، ولإيران حدوداً، وللجزيرة العربية حدوداً، وهكذا دواليك. وهي مضادة لوحدة المسلمين التي صرح بها القرآن الحكيم في أكثر من آية.

وصرحت بها الأحاديث الشريفة العديدة، وسار عليها المسلمون قروناً.. وقروناً.. وهذه الحدود الأرضية المفتعلة هي هدية الاستعمار الكافر الذي أمرنا القرآن بالابتعاد عنه.

فلا.. للاستعمار الكافر.

ولا.. لهديته الممقوتة.

ونحن نتطلع إلى اليوم الذي تصبح كل البلاد الإسلامية ذات الألف مليون مسلم تقريباً ^(٥٤١) بلداً واحداً من أقصاها إلى أقصاها كما أراد الله تعالى وقال القرآن الحكيم: «أمة واحدة وأنا ربكم» ^(٥٤٢).

لا.. للجمارك والمكوس

ومن المحرمات الشديدة الأكدية التي راجت في بلاد الإسلام في القرن الأخير هي مسألة

الجمارك والمكوس .

وقد حاربها الإسلام أشد الحرب .

فهي بالإضافة إلى مصادتها للحرية الإسلامية : «الناس مسلطون على أنفسهم»^(٥٤٣) .

وهي مضادة كذلك للاقتصاد الإسلامي المبني على الحرية الاقتصادية في الإسلام :

«الناس مسلطون على أموالهم»^(٥٤٤) .

«لا يجل لأحد أن يتصرف في مال غيره بغير إذنه»^(٥٤٥) .

«لا يجل مال امرئ مسلم إلا بطيبة نفسه»^(٥٤٦) .

«لئلا يتوى حق امرئ مسلم»^(٥٤٧) .

إلى غير ذلك من نصوص الشريعة والأحاديث الشريفة .

بالإضافة إلى ذلك كله :

هناك أحاديث شريفة شديدة اللهجة في لعن أهل الجمارك، وصب عذاب الله عليهم .

وإليك بعضاً منها : أخرج الشيخ الصدوق (رضي الله عنه) بسنده المتصل إلى نوف قال :

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «يانوف إياك أن تكون عشاراً»^(٥٤٨) .

وأخرج أيضاً بسنده المتصل عن جعفر بن محمد (عليه السلام) عن آبائه (عليهم

السلام) عن علي (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إن الله

عزوجل لما خلق الجنة» إلى أن قال : «فقال عزوجل :

بعزتي وعظمتي وجلالي وارتفاعي لا يدخلها مدمن خمر، ولا سكير، ولا قتات وهو

النمام، ولا ديوث وهو القلطان، ولا قلاع وهو الشرطي، ولا زنوق وهو الخنثى، ولا خيوف وهو

النباش، ولا عشار»^(٥٤٩) .

وأخرج أيضاً بسنده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال :

«لا يدخل الجنة . . . عشار، ولا قاطع رحم . . .»^(٥٥٠) .

وأخرج أيضاً بسنده عن نوف قال : قال لي أمير المؤمنين (عليه السلام) :

«يانوف أقبل وصيتي : لا تكونن نقيباً ولا عريفاً ولا عشاراً . . .»^(٥٥١) .

ونقل العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في (بحار الأنوار): عن أم سلمة (رضوان الله عليها) قالت: «كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يمشي في الصحراء فناداه مناد: يا رسول الله.. مرتين، فالتفت فلم ير أحداً، ثم ناداه فالتفت فإذا هو بظبية موثقة فقالت: إن هذا الأعرابي صادني ولي خشقان في ذلك الجبل، أطلقني حتى أذهب وأرضعهما وأرجع.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): وتفعلين؟

قالت: نعم إن لم أفعل عذبني الله عذاب العشار. فأطلقها»^(٥٥٢).

وأخرج أيضاً عن كتاب (المنتقى في مولد المصطفى) في سياق الحديث عن رجم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المرأة الغامدية التي زنت وهي ذات بعل ورجمها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قصة مفصلة مذكورة هناك إلى أن قال: فأقبل خالد بن الوليد بجحر فرمى رأسها فنضح الدم على وجنة خالد فسبها، فسمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سبه إياها فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «مهلاً يا خالد لا تسبها، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»^(٥٥٣).

والمكس: هو المال الذي تأخذه الدول على البضائع المستوردة أو الصادرة.

لا.. للثالوث البغيض

فهذا الثالوث البغيض المركب من:

١: الحدود الأرضية المصطنعة داخل الوطن الإسلامي الشامل.

٢: وقانون الجنسية والجواز والإقامة داخل الأمة الإسلامية الواحدة.

٣: وقانون المكوس والجمارك.

هي من عوامل تحطيم وحدة المسلمين.

وهي من الأسس الرصينة للاستعمار الكافر.

فالله والقرآن والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كلهم ضد هذا الثالوث البغيض.

والفقهاء وتاريخ الإسلام وفقه الإسلام كلها ضد هذا الثالوث الممقوت.

نعم.. للرباط الإسلامي

نعم.. الرباط الإسلامي على الحدود بين بلاد الشام وبلاد الكفر هو الذي له ذكر في قرآن الإسلام، وسنة الإسلام.

وفي تاريخ الإسلام، وفقه الإسلام.

قال الله تعالى في القرآن الحكيم: «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»^(٥٥٤).

وعن سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) أنه روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال سمعته يقول: «من رابط يوماً وليلة في سبيل الله تعالى كان كمن صام شهراً وصى شهراً لا يفطر ولا ينفث عن صلاته إلا لحاجة»^(٥٥٥).

والحديث المذكور في موسوعات الحديث مثل (وسائل الشيعة) و(مستدرک الوسائل) و(بحار الأنوار) وغيرها^(٥٥٦).

٧: ولاية الفقهاء العدول

وهي من الأسس الثابتة القومية في الإسلام. ومعناها: أن الإسلام ربط كل سياسة البلاد والعباد بأشخاص تتوفر فيهم صفتان:

الأولى: استيعاب الإسلام عن فهم ودراية وعمق واجتهاد.

الثانية: العدالة، وهي تعني: القوة الدينية والملكة الإسلامية للالتزام بعدم الظلم لا على نفسه ولا على الناس، والسير على خطى الإسلام في كل صغيرة وكبيرة.

وبهذه (الولاية) المتقنة فهماً وعملاً، يستطيع الإسلام برمجة نظام البلاد في سلك لا يجيد عن العدالة والفضيلة أبداً.

فالمقياس هو (الفقه) و(العدالة) في أي شخص توفرا، من أية قومية كان، وبأي لغة كان يتكلم، وأياً كان لونه وجنسيته. فلا الشخص هو المقياس، ولا القومية، ولا الإقليمية، ولا اللغة، ولا اللون، ولا نحو ذلك.

ثم لا يخفى أنه لو كان هناك أكثر من فقيه جامع للشرائط فالولاية تكون لشورى الفقهاء

فيدیرون البلاد والعباد بأكثرية الآراء إن لم يتفقوا على رأي واحد .
وبهذا يستطيع الإسلام أن يستوعب أكبر قدر من أفراد البشر تحت نظامه العادل، يوفر لهم
دنیا سعيدة، وأخرة فضلى .

وفي هذا المجال ورد في الشريعة الإسلامية نصوص عديدة تؤكد ذلك ولسنا الآن بصدد
استيعاب تلك النصوص وإنما نذكر بعضها كنماذج :

فقد روي عن الإمام الحسين (عليه السلام) : «مجارى الدمور والأحكام بيد العلماء بالله
الأمناء على حلاله وحرامه»^(٥٥٧) .

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

«فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه،
فللعوام أن يقلدوه»^(٥٥٨) .

وروي عن مولانا ولي العصر صاحب الزمان المهدي الموعود المنتظر (عجل الله فرجه
الشريف) في بعض توقيعاته الرفيعة :

«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله
عليهم»^(٥٥٩) .

«لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، كلما انتقضت عروة

تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقض الحكم»^(٥٦٠) . رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم)

١٦. سياسة الإسلام في الحكومة العليا

الحاكم الأعلى: الإمام (عليه السلام)

ومن الأمور التي اعتنى بها الإسلام بالغ الاهتمام في تعديله وإصلاحه هي (الهيئة الحاكمة)، ونعني بها: الذي يحكمون الناس، من مثل: الرئيس الأعلى للبلاد الإسلامية، الذي يعبر عنه بـ (الإمام) أو (الفقيه العادل) أو (شورى الفقهاء) وحكام الإمام أو الفقيه وولاته وعمال الولاية.

فانظر إلى الإسلام كيف يعين هؤلاء، وكيف أتقن في أمورهم.

فالرئيس الأعلى، يجب عليه أن يلاحظ جميع حاجات المسلمين، فيسدها ويغيث الضعفاء والمضطهدين، ويستمع إلى الفقراء والمساكين، وإليك نقاطاً سريعة عن تاريخ الرئيس الأعلى في الإسلام:

من مسؤولية الحاكم

في مفتح خلافة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الظاهرية بعد مقتل عثمان خطب الإمام (عليه السلام) خطبة ذكر فيها مسؤولية الرئيس الأعلى في الإسلام، جاء فيها ما يلي: «إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: أيما ولي أمر أمتي من بعدي أقيم يوم القيامة على حد الصراط، ونشرت الملائكة صحيفته، فإن نجا فبعده، وإن جار انتفض به الصراط انتفاضة تزيل ما بين مفاصله حتى يكون بين كل عضو وعضو من أعضائه مسيرة مائة عام يخرق به الصراط فأول ما يلقي به النار أنفه وحر وجهه»^(٥٦١).

وفي سيرة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه لم يشبع من طعام قط، وكان يقول: «ولعل بالحجاز أو اليمامة، من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشعب»^(٥٦٢).

محاسبة الولاية

(ومحاسبة) الولاية والعمال كانت في سيرة الإمام علي أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) لكيلا يستغل بعضهم منصبه ومقامه فيجمع الأموال من أي طريق حصلت . وسيأتي قريباً نقل بعض رسائل الإمام (عليه السلام) في ذلك .
وغير هذه الأحاديث .. وغيرها .. كثير .

هذه نماذج من أسلوب السلطة العليا في نظر الإسلام، وما هو تكليف إمام المسلمين . وهكذا يجب أن يكون إمام المسلمين وخليفة الله، يهتم بأمور المسلمين .

ألا ترى أن معاوية ويزيد والوليد وأضرابهم، حينما انحرفوا عن القوانين الإسلامية، فأخذوا بجمع الأموال والانسياق وراء مشتتهات النفس وترك أحكام الله كان المسلمون يردون عليهم ويهددونهم ويقتلون بعضهم، ويثورون ضد آخرين منهم . كل ذلك لأن الخليفة يجب أن يرى نفسه عاملاً لرفع كلمة الله في البلاد فقط فقط .

علي (عليه السلام) يصف سلطته الشرعية
وهنا يجدر بنا أن نقتطف من سيرة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في هذا الشأن من

شفتيه الكريمتين ما يلي :

«ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه .

ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه^(٥٦٣) .

ومن طعمه بقرصيه^(٥٦٤) .

ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد^(٥٦٥) . فوالله ما

كنزت من دنياكم تبراً^(٥٦٦) .

ولا أدخرت من غنائمها وفرأ^(٥٦٧) .

ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً^(٥٦٨) .

ولا حزت من أرضها شبراً .

ولا أخذت منها إلا كقوت أتان دبرة^(٥٦٩) .

ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرة»^(٥٧٠).

فدك

«بلى كانت في أيدينا (فدك) من كل ما أظلمته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك^(٥٧١) وغير فدك، والنفس مظانها^(٥٧٢) في غد جدت.

تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لوزيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر^(٥٧٣) وسد فرجها التراب المتراكم. وإنما هي نفسي أروضها^(٥٧٤) بالتقوى، لتأتي أمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق^(٥٧٥).

لا . . للترفية

«ولو شئت لا هتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جسعي إلى تخير الأطعمة. ولعل بالحجاز أو اليمامة، من لا طمع له في القرص^(٥٧٦)، ولا عهد له بالشبع. أو أبيت مبطاناً، وحوالي بطون غرثي^(٥٧٧) وأكباد حري^(٥٧٨) أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة⁽⁵⁷⁹⁾

وحولك أكباد تحن إلى القد⁽⁵⁸⁰⁾

لا . . للأنانية

«أقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة^(٥٨١) العيش؟ فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المراسلة شغلها تقممها^(٥٨٢)، تكثرش من أعلافها^(٥٨٣) وتلهو عما يراد بها^(٥٨٤). أو أترك سدى، أو أهمل عابثاً، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة^(٥٨٥).

الشجرة البرية أصلب عوداً

«وكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان. ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً،

والنابتات العذية^(٥٨٦) أقوى وقوداً، وأبطأ خموداً. وأنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كالصنو من الصنو والذراع من العضد^(٥٨٧).

كل الاعتماد على الله تعالى

«والله لو تظاهرت العرب على قتالي، لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها، لسارعت إليها...»

إليك عني يا دنيا، فحبلك على غاربك^(٥٨٨) قد أنسلت من مخالبك^(٥٨٩)، وأفلت من حباتك^(٥٩٠)، واجتنبت الذهاب إلى مداحضك^(٥٩١).

أين القرون الذين غررتهم بمداعبك^(٥٩٢).

أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك.

ها هم رهائن القبور، ومضامين اللهود، والله لو كنت شخصاً مرئياً، وقالباً حسياً، لأقتمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني، وأمم ألقيتهم في الهاوي، وملوك أسلمتهم إلى التلف، وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر^(٥٩٣).

هيهات من وطئ دحضك زلق^(٥٩٤) ومن ركب لججك غرق، ومن أزرور^(٥٩٥) عن حباتك وفق، والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه^(٥٩٦)، والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه.

اعزبي عني^(٥٩٧) فوالله لا أذل لك فتستذليني، ولا أسلس^(٥٩٨) لك فتقوديني.»

رياضة النفس

«وأم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله، لأروضن نفسي رياضة نهش^(٥٩٩) معها إلى القرص، إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها^(٦٠٠) مستفرغة دموعها، أتمتلئ السائمة^(٦٠١) من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة^(٦٠٢) من عشبها فتربض^(٦٠٣)، ويأكل على من زاده فيهجع^(٦٠٤)، قرت إذا عينه، إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة^(٦٠٥)، والسائمة المرعية!.

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها^(٦٠٦)، وهجرت في الليل غمضها.. حتى إذا غلب الكرى^(٦٠٧) عليها، افترشت أرضها، وتوسدت كفها، في معشر أسهر

عيونهم خوف معادهم، وتجاغت عن مضاجعهم جنوبهم، وهممتم^(٦٠٨) بذكر ربهم شفاهم،
وتقشعت^(٦٠٩) بطول استغفارهم ذنوبهم .

«أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون»^(٦١٠) . فاتق الله يا بن حنيف، ولتكفف
أقراصك^(٦١١)، ليكون من النار خلاصك^(٦١٢) .

مواصاة أضعف الرعية

ومن تكاليف الرئيس الأعلى للدولة الإسلامية، أن تكون معيشتة الشخصية في مسكنه،
وملبسه، ومأكله، وغير ذلك مثل أضعف الرعية اقتصادياً .
وهذا ما لا يوجد إلا في الإسلام .

فإنك لا تكاد تجد لذلك من نظير في غير الإسلام .

أما الإسلام فقد طبق ذلك في سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الأئمة
الطاهرين (عليهم السلام) . ففي نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، جاء النص
التالي :

«إن الله تعالى فرض على أئمة العدل، أن يقدروا^(٦١٣) أنفسهم بضعفة الناس كيلا
يتبيغ^(٦١٤) بالفقير فقره»^(٦١٥) .

وقد نقلنا في الفصل الرابع قصة استغراب أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما سمع صوت
المقلي في بيته .

وبالفعل، فقد طبق أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) هذه الحكمة الخالدة على
نفسه عندما تسلم أزمة الحكم في البلاد الإسلامية .

فقد ورد في الحديث الشريف أنه (عليه السلام) كان لا يأكل اللحم في السنة إلا مرة
واحدة فقط وذلك في عيد الأضحى عندما يأكل جميع المسلمين اللحم^(٦١٦) .

أما طول السنة، فلم يكن علي (عليه السلام) ليأكل اللحم، لأن كل يوم من أيام السنة
فرمما هناك بعض أفراد من المسلمين لا يجدون لحماً يأكلونه، وعلي (عليه السلام) يريد مواصاة
أضعف رعيته دائماً وأبداً .

العمال والولاية

أما الولاية^(٦١٧) وعمال الولاية^(٦١٨) وإن كانت أحكامهم أخف من الإمام (عليه السلام)، ولكن يجب عليهم أيضاً أن يتخذوا مسلك الإمام (عليه السلام) ويسيروا بسيرته .

فإذا كان وال أو عامل لا يمضي على حكم واحد من أحكام الإسلام كان يعزل .

فهذا (الوليد) حين كان والياً على العراق وشرب الخمر، عزل وأُتي به إلى المدينة، وأقام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عليه حد شرب الخمر، فضربه ثمانين جلدة .

وفوق هذا: إن عثمان بن حنيف الذي كان والياً على البصرة من قبل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، حينما حضر مجلساً من الطعام الذي كان المدعوون فيه من الأغنياء فقط، كتب إليه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يوجّهه على استجابته لهذه الدعوة، ويصف له نفسه الشريفة ليتخذها الولاية والعمال أسوة :

«أما بعد يا بن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان^(٦١٩)، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو^(٦٢٠)، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقمضه من هذا المقضم^(٦٢١)، فما اشتبه عليك علمه فالفضه^(٦٢٢)، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه^(٦٢٣) .

والحديث في هذا المجال طويل .. وطويل .

لكننا نكتفي بهذا المقدار المتناسب مع وضع الكتاب .

«فارفع إلي حسابك واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس»^(٦٢٤) .

أمير المؤمنين (عليه السلام)

١٧. من رسائل أمير المؤمنين (عليه السلام) في سياسته البلاد

رسائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) إلى ولاته وعماله وموظفيه خير وجه ناصع لسياسة الإسلام في كيفية إدارة البلاد والعباد .
فهي بوحدها جامعة للسياسة الإسلامية في كل أبعادها وفي مختلف شؤونها .
ولكي نعكس صورة عملية أخرى لسياسة الإسلام الحكيمة ..
ولكي يعتبر القادة والساسة دروساً من القيادات والسياسات المادية التي لا تجر إلى البشر سوى الفتك والدمار والتحطيم ..

ولكي يعرف الخلاص والنجاة فيم؟ وكيف؟ وعند من؟
لذلك كله: نضع هنا بعض رسائل أمير المؤمنين (عليه السلام) السياسية مما نقلها الشريف الرضي (رضي الله عنه) في (نهج البلاغة)، ونترك الشرح والتعليق إلى مقدرة القارئ وفطنته ومقدار استفادته منها في مختلف المستويات .

ولا يخفى إنا قد ضمنا بين ثنايا الكلمات الغامضة تفسيراتها بين معقوفتين هكذا □
للتسهيل على من ليس لهم الإلمام الكامل بمعاني اللغات .

لا .. لغلظة الوالي

من كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عماله: «أما بعد، فإن دهاقين [الأكابر، الزعماء، أرباب الأملاك بالسواد] أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة، واحتقاراً وجفوة، ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا [يقربوا] لشركهم، ولا أن يقصوا [يبعدوا] ويجفوا [يعاملوا بخشونة] لعهدهم، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه [تخلطه] بطرف من الشدة، وداول [اسلك فيهم منهجاً متوسطاً] لهم بين القسوة والرفقة، وأمرج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء

إن شاء الله» (٦٢٥).

لا.. للخيانة

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه، وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة، وعبد الله عامل أمير المؤمنين (عليه السلام) يومئذ عليها وعلى كور الأهواز (٦٢٦) وفارس وكرمان وغيرها.

«واني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين [مالهم من غنيمة أو خراج] شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر، والسلام» (٦٢٧).

لا.. للإسراف

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى زياد أيضاً:

«فدع الإسراف مقتصدًا، واذكر في اليوم غداً، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك.

أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين، وأنت عنده من المتكبرين! وتطمع وأنت متمرغ في النعيم [متقلب في الترف] تمنعه الضعيف والأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدقين؟ وإنما المرء مجزي بما أسلف، وقادم على ما قدم، والسلام» (٦٢٨).

خلق الجبابة

ومن وصية له (عليه السلام) كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات (٦٢٩):

«انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً، ولا تتجاذن [المرور] عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ولا تتخدج [لا تبخل] بالتحية لهم، ثم تقول:

عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته، لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه، فإن قال قائل: لا، فلا تراجع.

وإن أنعم [قال : نعم] لك منعم، فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعدة، أو تعسفه [تأخذه بشدة] أو ترهقه [تكلفه ما يصعب عليه] فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة، فإن كان له ماشية أو إبل، فلا تدخلها إلا بإذنه فإن أكثرها له، فإذا أتيتها، فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه، ولا عنيف به».

وحقوق الحيوان

«ولا تنفرن بهيمة ولا تفرزنها، ولا تسوان صاحبها فيها، وأصدع المال صدعين [قسمه قسمين] ثم خيره فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره، ثم اصدع الباقي صدعين، ثم خيره فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره، فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله، فاقبض حق الله منه، فإن استقالك فأقله، ثم اخلطهما، ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً، حتى تأخذ حق الله في ماله.

ولا تأخذن عوراً، ولا هرمة، ولا مكسورة، ولا مهلوسة [العور بفتح فسكون المسنة من الإبل، الهرمة: أسن من العود، المهلوسة: الضعيفة] ولا ذات عوار [بفتح العين: العيب] ولا تأمن عليها إلا من تثق بدينه، رافقاً بما للمسلمين، حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم، ولا توكل بها إلا ناصحاً شفيقاً، وأميناً حفيظاً غير معنف، ولا مجحف ولا مغلب ولا متعب».

الرحمة بالنعيم

«ثم احذر [سق سريعاً] ما اجتمع عندك، نصيِّره حيث أمر الله به، فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا يمصر [حلب ما في الضرع جميعه] لبنها فيضر ذلك بولدها، ولا يجهدنها ركوباً، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها.

وليرفه على اللاغب [أي ليرح ما ألغب أي ما أعياه التعب] وليستأن بالنقب والظالع [أي ليرفق بما نقب خفه وغمز في مشيته] وليوردها ما تمر به من الغدر، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطرق [وهي التي لا مرعى فيها] وليروحها في الساعات، وليمهلها عند النطاف [جمع نطفة: المياه القليلة، أي يجعل لها مهلة لتشرب وتأكل] والأعشاب، حتى تأتينا بإذن الله بدنا منقيات [سمينات] غير متعبات ولا مجهودات [بلغ منها الجهد والعناء

مبلغاً عظيماً] لتقسمها على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن ذلك أعظم لأجرِك، وأقرب لرشدك، إن شاء الله» (٦٣٠).

تواضع الوالي

ومن عهد لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر، حين قلده مصر:

«فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وأبسط لهم وجهك، وأس [ساوي] بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم [ظلمك لأجلهم] ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإن الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم» (٦٣١).

سيرة المتقين

«واعلموا عباد الله: أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وأجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ، والمتجر الراجح.

أصابوا لذة زهدة الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم، لا ترد لهم دعوة، ولا ينقص لهم نصيب من لذة» (٦٣٢).

احذروا الموت

«فاحذروا عباد الله الموت وقربه، وأعدوا له عدته، فإنه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل، بخير لا يكون معه شر أبداً، أو شر لا يكون معه خير أبداً، فمن أقرب إلى الجنة من عاملها؟ ومن أقرب إلى النار من عاملها؟.

وأنتم طرداء الموت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدر ككم، وهو ألزم لكم من ظلكم. الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوي من خلفكم.

فاحذروا ناراً أقرعها بعيد، وحرها شديد، وعذابها جديد، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرج فيها كربة.

وإن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله، وأن يحسن ظنكم به، فاجمعوا بينهما، فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه، وإن أحسن الناس ظناً بالله، أشدهم خوفاً لله .
واعلم يا محمد بن أبي بكر أنني وقد وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر، فأنت محقوق أن تخالف على نفسك [تخالف شهوة نفسك] وأن تنافح عن دينك [تدافع عنه] ولو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر، ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه، فإن في الله خلقاً من غيره، وليس من الله خلف في غيره»^(٦٣٣).

التأكيد على الصلاة

«صل الصلاة لوقتها المؤقت لها، ولا تعجل وقتها الفراغ، ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال، واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلواتك»^(٦٣٤).

لا سواء

«فإنه لا سواء، إمام الهدى وإمام الردى، وولي النبي، وعدو النبي .

ولقد قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً، أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأما المشرك فيقمعه [يقهره] الله بشركه، ولكني أخاف عليكم كل منافق الجنان [من أسر النفاق في قلبه] عالم اللسان [من لا يعرف أحكام الشريعة ويسهل عليه بيانها] يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون»^(٦٣٥).

ارفع إلي حسابك

من كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عماله^(٦٣٦) :

«أما بعد، فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك [ألصقت بأمانتك خزية بالفتح أي رزية أفسدتها وأهانتها] . بلغني أنك جردت الأرض [قشرتها، والمعنى أنه أنسبه إلى الخيانة في المال، وإلى إخراج الضياع] فأخذت ماتحت قدميك، وأكلت ماتحت يديك، فارفع إلي حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس، والسلام» .

وصايا إنسانية

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عماله^(٦٣٧) :

«أما بعد، فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأثيم [أكسره به كبر الأثيم الذي يفعل الخطايا والآثام] وأسد به لهأة الثغر المخوف [اللهة: قطعة لحم مدلاة في آخر سقف الفم على باب الحلق، قرنها بالثغر تشبيهاً له بفم الإنسان، والثغر المخوف: المكان الذي يخشى طروق الأعداء له على الحدود] فاستعن بالله على ما أهمك، وأخلط الشدة بضغت [شيء] من اللين، وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلا الشدة، واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك، وألن لهم جانبك، وآس بينهم [شارك بينهم واجعلهم سواء] في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا يئأس الضعفاء من عدلك، والسلام».

إلى الأشر النخعي (رضي الله عنه)

من كتاب لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) كتبه إلى الأشر النخعي، لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد كتبه، وأجمعه للمحاسن^(٦٣٨) :

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشر في عهده إليه، حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها».

تقوى الله

«أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه، من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه، ويده ولسانه، فإنه جل اسمه، قد تكفل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزه».

وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات، ويزعها عند الجمحات [يزعها: يكفها، والجمحات: منازعات النفس إلى شهواتها ومآربها] فإن النفس أمارة بالسوء، إلا ما رحم الله».

يقولون فيك ما كنت تقول

«ثم اعلم يا مالك، إني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشح [أبخل] بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها، فيما أحبت أو كرهت».

أصناف الناس

«وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، يفرط [يسبق] منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك، مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك، وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم».

لا.. لحرب الله

«ولا تنصب نفسك لحرب الله، فإنه لا يدلك بنقمته [أي ليس لك قوة تدفع نقمته، يعني لا طاقة لك بها] ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفوه، ولا تبجحن [لا تفرحن كبيراً] بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة [البادرة: ما يبدر عن الغضب من قول أو فعل، والمندوحة: المخلص] ولا تقولن: إني مؤمر [مسلط] أمر فأطاع، فإن ذلك إدغال [إدخال الفساد] في القلب، ومنهكة [مضعفة] للدين، وتقرب من الغير [بكسر ففتح: حادثات الدهر بتبدل الدول] وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة [الأبهة: العظمة والكبرياء، والمخيلة بفتح فكسر الخيلاء والعجب] فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك .

فإن ذلك يطامن [يخفض] إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك [طماح ككتاب: النشوز والجماح، والغرب بفتح فسكون: الحدة] ويفيء إليك بما عزب [غاب] عنك من

عقلك».

لا.. للتكبير

«إياك ومساماة [المباراة في السمو، أي العلو] الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال . أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى [لك إليه ميل خاص] من رعيته، فإنك إلا تفعل تظلم! ومن ظلم عبادة الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خصمه الله أدحض [أبطل] حجته، وكان لله حرباً، حتى ينزع، أو يتوب .

وليس شيء أَدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته، من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد».

أوسط الأمور في الحق

«وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يحفف برضى الخاصة [يذهب برضاهم]، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة . وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف [الإلحاح والشدة في السؤال] وأقل شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملومات الدهر، من أهل الخاصة . وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين [جماعتهم] والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صغوك [بالكسر والفتح: التوجه] لهم، وميلك معهم».

لا تقرب النمامين

«وليكن أبعد رعيته منك، وأشأنهم [أبغضهم] عندك، اطلبهم لمعائب الناس، فإن في الناس عيوباً، الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك .

فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيته .

أطلق عن الناس عقدة كل حقد [أحلل عقدة الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة

معهم] وأقطع عنك سبب كل وتر [بالكسر: العداوة] وتغاب [تغافل] عن كل ما لا يضح لك [ما لا يظهر لك] ولا تعجلن إلى تصديق ساع، فإن الساعي [النمام بمعائب الناس] غاش، وإن تشبه بالناصحين».

سياسة المشورة

«ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً، يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر [يخوفك منه لو بذلت]، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره [الشره بالتحريك: أشد الحرص] بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى، يجمعها سوء الظن بالله».

شر الوزراء

«إن شر وزراءك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة [بالكسر] فإنهم أعوان الأئمة [جمع أئمة: وهو فاعل الإثم، أي الذنب] وأخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل أصارهم [ذنوبهم] وأوزارهم [جمع وزر: أي الإثم] وآثامهم، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا أئماً على إثمه. أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك إلفاً [صداقة].»

فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك، مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هوالك حيث وقع».

الصق بأهل الروع

«والصق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم [عودهم] على ألا يطروك [بمدحوك] ولا يبجحوك [يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك] بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو [العجب] وتدني من العزة».

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه».

الإحسان للرعبة

«واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم [يكسر ففتح: أي عندهم].

فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيته، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً [تعباً] طويلاً.

وإن أحق من حسن ظنك به، لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك [صنعك] عنده.

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سننها، والوزر عليك بما نقضت منها».

تأكيد على مدارس العلماء

«وأكثر مدارس العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أن الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة.

وكل قد سمى الله له سهمه [نصيبه] ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) عهداً منه عندنا محفوظاً».

الجيش والجنود

«فالجنود بإذن الله، حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج، الذي يقوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم [يقضونها به]».

القضاة والعدل

«ثم لا قوام لهذين الصنفين، إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب، لما يحكمون من المعاهد [العقود] ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها».

أهل الصناعات والتجار

«ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم [أي المنافع التي يجتمعون لأجلها] وقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق [التكسب] بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم».

وأهل الحاجة

«ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم [صلتهم] ومعونتهم، وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه. وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك، إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل.

فول من جنودك أنصحهم من نفسك لله ولرسوله وإمامك، وأنقاهم جيباً [الصدر والقلب]، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو [يبتعد] على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف».

كرائم العائلات

«ثم الصق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة، فإنهم جماع [أي مجموع] من الكرم، وشعب من العرف [المعروف].

ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقم [يتعاضمن] في نفسك شيء قويتهم به، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظن بك.

ولا تدع تفقد لطيف أمورهم، اتكلاً على جسيمها، فإن ليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، ولجسيم موقعاً لا يستغنون عنه».

«وليكن أثر [أفضل وأعلى منزلة] رؤوس جنك عندك من واساهم [ساعدهم] في معونته، وأفضل عليهم من جدته [غناه] بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف أهليهم [من يبقى في الحي من النساء والعجزة بعد سفر الرجال] حتى يكون همهم همماً واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك، وإن أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية .

وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم [صونهم] على ولاة الأمور وقلة استئصال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم .

فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعدد ما أبلى ذوا البلاء منهم [أهل الأعمال العظيمة] فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل [المتأخر القاعد] إن شاء الله .

ضع الناس مواضعهم

«ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تضمن بلاء امرئ [صنيعة الذي أبلاه] إلى غيره، ولا تقصرن به دون غاية بلائه، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً . وأردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب [أي ما يثقلك ويكاد يميلك من الأمور الجسام]، ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول» (٦٣٩) .

فالرد إلى الله: الأخذ بحكم كتابه، والرد إلى الرسول: الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة .

مواصفات الحكام

«ثم اختر للحكم بين الناس، أفضل رعيته في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه [تجعله لاحقاً لجوجاً] الخصوم، ولا يتمادى [يستمر ويسترسل] في الزلة ولا يحصر من الفيء [الرجوع] إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون

أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً [ضجراً ومللاً] بمراجعة الخصم، وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرمهم [أقطعهم للخصومة وأمضاهم فيها] عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدديه إطراء [أي لا يستخفه زيادة الثناء عليه]، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل.

ثم أكثر تعاهد [مراجعة] قضائه، وأفسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس.

وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك.

فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا».

اختبر الموظفين

«ثم انظر في أمور عمالك، فاستعملهم اختباراً [أي ولهم الأعمال بالامتحان] ولا تولهم محاباة وأثرة [محاباة: أي اختصاصاً وميلاً منك لمعاونتهم، وأثرة: أي استبداداً بلا مشورة] فإنهما جماع من شعب [أي يجمعان شعب وفروع الجور والخيانة] الجور والخيانة، وتوخ [أي أطلب وتحر] منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشراقاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً.

ثم أسبغ [أكثر] عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك، أو ثلموا أمانتك [أي نقضوا في أدائها أو خانوا]».

تفقد سيرة الموظفين

«ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون [الرقباء] من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأموالهم حدود لهم [أي سوق لهم وحث] على استعمال الأمانة والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار

عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبتة بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة».

الاقتصاد

«وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله».

وعماراة الأرض

«وليكن نظرك في عماراة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة، أخرج البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً».

فإن شكوا ثقلاً، أو علة [فساد الزرع] أو انقطاع شرب، أو بالة [مطر] أو إحالة أرض اغتمرها [عمها] غرق، أو أجحف بها عطش [ألفها]، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم.

فإنه ذخريعودون به عليك في عماراة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم [التبجح: السرور بما يرى من حسن عمله في العدل، واستفاضة العدل: انتشاره] معتمداً فضل قوتهم [أي متخذاً زيادة قوتهم عماداً لك تستند إليه عند الحاجة] بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم [الترفيه] والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم، ورفقك بهم.

فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم، من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته.

وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاية على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر».

والكتاب

«ثم انظر في حال كتابك، فوَلِّ على أمورك خيرهم، وأخصص رسائلك التي تدخل فيها

مكائذك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره [لا تطغيه] الكرامة فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاً [جماعة من الناس تملأ البصر] ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك، فيما يأخذك ويعطي منك .

ولا يضعف عقداً اعتقده لك [أي: معاملة عقدها لمصلحتك] ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل . ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك [بالسكون والثقة] وحسن الظن منك، فإن الرجال يتعرضون لفراسات الولاية بتصنعهم [أي بتكلفهم إجادة الصنعة] وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء . ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره» .

تنظيم الأمور

«واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم، لا يقهره كبيرها، ولا يتشتت عليه كثيرها، ومهما كان في كتابك من عيب فتغايبت [تغافلت] عنه ألزمته» .

تشجيع الصناعة

«ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً: المقيم منهم والمضطرب بماله [المتردد به بين البلدان] والمترفق [المكتسب] ببدنه، فإنهم مواد المنافع، وأسباب المرافق [ما ينتفع به من الأدوات والآنية] وجلابها من المبادئ والمطارح [الأماكن البعيدة] في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لموضعها، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائنته [داهيته] وصلح لا تخشى غائلته . وتفقد أمورهم بحضرتك، وفي حواشي بلادك» .

منع الاحتكار

«واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضررة للعامة، وعيب على الولاية .

فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منع منه .
وليكن البيع بيعاً سمحاً: بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع،
فمن قارف حكرة [عمل الاحتكار] بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقبه في غير إسراف [يعني
في العقوبة] .»

العناية بالمستضعفين

«ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين، وأهل
البؤسى [شدة الفقر] والزمنى [الشلل] فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً [القانع: السائل،
والمعتر: المتعرض للتعاطف بلا سؤال] واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم .

واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي [أرض الغنيمة] الإسلام في
كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم
بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه [الحقير] لأحكامك الكثير المهم .

فلا تشخص [لا تصرف] همك عنهم، ولا تصعر [تمل تكبراً] خدك لهم، وتفقد أمور من
لا يصل إليك منهم، ممن تقتحمه العيون [تنظر إليه احتقاراً وازدراءً] وتحقره الرجال، ففرغ
لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم .

ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه [أي بما يقدم لك عذراً عنده] فإن هؤلاء من بين
الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه» .

الأيتام والأطفال

«وتعهد أهل البيت وذوي الرقة في السن [أي: المتقدمين في السن] ممن لا حيلة له، ولا
ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاية ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام
طلبوا العاقبة، فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم» .

أصحاب الحوائج

«واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً،
فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك [جمع

حارس وشرطي] حتى يكلمك متكلمهم غير متتبع [متردد من عجز] .
فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في غير موطن :
لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتبع .

ثم احتمل الخرق [العنف] منهم والعي [العجز عن النطق] ونح عنهم الضيق والأنف [التكبر]، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته [أطرافها]، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمال وإعذار [بجمال واعتذار] .

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها: منها إجابة عمالك بما يعيا [يعجز] عنه كتابك،
ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك .

وامض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه» .

الخلوة بالله تعالى

«واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية .

وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك : إقامة فرائضه، التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوض، بالغاً من بدنك ما بلغ» .

صلاة الجماعة

«وإذا قمت في صلاتك للناس، فلا تكونن منفراً، ولا مضيعاً، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين وجهني إلى اليمن : كيف أصلي بهم؟ فقال : صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً» .

كن في الناس

«وأما بعد، فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمر، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا بدونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل .

وإنما الوالي بشر، لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين :

إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، فقيم احتجاجك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه، أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس من عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة».

لا.. للبطانة

«ثم إن للوالي خاصة وبطانة، فيهم استثثار وتناول، وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم [اقطع] مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال .

ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة [المنحة من الأرض] ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة [امتلاك ضيعة] تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهناً ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة».

كن مع الحق دائماً

«وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً لذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة [عاقبة] ذلك محمودة.

وإن ظنت الرعية بك حيفاً [ظلماً] فأصحر [أظهر] لهم بعدرك، واعدل [انح] عنك ظنونهم بإصهارك، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك [تعويداً لنفسك على العدل]، ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق .

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا، فإن في الصلح دعة [راحة] لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل [أي تقرب منك بالصلح ليحاربك غفلة] فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن».

الوفاء... والأمانة

«وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة [عهداً]، فحط عهدك بالوفاء [حط عهدك: أي احفظه وصنه] وأرع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة [وقاية: أي حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك] دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً، مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود.

وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولبوا [أي وجدوها وبيلة مهلكة] من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن [خيانة] بعهدك، ولا تحتلن عدوك [تخدعنه] فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي.

وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضل [أفضاه] بين العباد برحمته، وحرماً يسكنون إلى منعه [قوته]، ويستفيضون إلى جواره [أي: يفزعون إليه بسرعة]، فلا إدغال ولا مدالسة [الإدغال: الإفساد، والمدالسة: الخيانة] ولا خداع فيه، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول [كالتورية والتعريض] بعد التأكيد والتوثقة».

والصبر في الملمات

«ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله، إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجوا انفرجه وفضل عاقبته، خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبه، لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك».

إياك وسفك الدماء

«إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدنى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أخرى بزوال نعمة، وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيام».

فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمدة، لأن فيه قود البدن [قصاصه].

وإن ابتليت بخطأ أو أفرط عليك سوطك [أي عجل بمالم تكن تريده أردت تأديباً فأعقب

قتلاً مثلاً] أو سيفك، أو يدك بالعقوبة، فإن في الوكزة [الضربة بجمع الكف] فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن [ترتفعن] بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم».

لا.. للعجب بالنفس

«وإياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء [المبالغة في الثناء]، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين».

لا.. للمنة على الرعية

«وإياك والمن على رعيتهك بإحسانك، أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله تعالى: «كبر مقتاً عند الله، أن تقولوا ما لا تفعلون»^(٦٤٠).

وإياك والعجلة بالأمر قبل أوانها، أو التسقط [التهاون] فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت، فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه».

لا.. للاستئثار

«وإياك والاستئثار بما للناس فيه أسوة [أي احذر عن تخصيص نفسك بزيادة فيما فيه الناس متساوون]، والتغابي [التغافل] عما تعني به بما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك. وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، وينتصف منك للمظلوم.

أملك حمية أنفك [أي أملك نفسك عند الغضب]، وسورة حدك [أي حدة بأسك]، وسطوة يدك، وغرب لسانك [حده]، واحترس من كل ذلك بكف البادرة [ما يدبر من اللسان عن الغضب] وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك، حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت مما علمنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من الحججة لنفسك عليك، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها».

دعاء الخاتمة

«وأنا أسأل الله بسعته رحمته، وعظيم قدرته، على إعطاء كل رغبة، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه، من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة، وتضعيف الكرامة [زياد الكرامة أضعافاً] وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة.

«إنا لله وإنا إليه راجعون»^(٦٤١).

والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً، والسلام»^(٦٤٢).

وصية لابن عمه

ومن وصية لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة^(٦٤٣):

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب، فإنه طيرة من الشيطان»^(٦٤٤).

واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار».

استخلاص

هكذا كان الإمام العادل (رئيس المسلمين الأعلى) وهكذا يجب أن يكون.

وهكذا يجب أن يكون الولاة والعمال.

وهكذا يجب أن يكون الرؤساء والأمرء.

حتى تصلح أمور الأمة، ويهنأ الجميع في عيش حر مرفه، ويتمتعوا بالسكينة والاطمئنان.

والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أوصى عبد الله بن العباس حينما استخلفه على

البصرة بما مر.

وحينما كانت البلاد الإسلامية هكذا، وسلطتها كذلك لم تكن الدولة الإسلامية تحتاج

إلى كثرة الدوائر، لأن (الوالي) الواحد مع عدد قليل جداً من الحرس والشرطة و(قاض) واحد:

كانوا يحكمون البلاد من دون ضغط عليهم، وكان الناس يقضون حوائجهم بواسطة هؤلاء دون

أي تعطيل أو تسويق .

فكان المتخاصمان يأتیان القاضي، ويحكم لهما فيذهبان من يومهما .

وكم كانت المرافعات والمخاصمات العظيمة تحل في ظرف سويغات قليلة، والكل كانوا راضين بالحكم، لأن الكل على علم أن قاضي الإسلام يعدل بين المتخاصمين، ولا يجوز له أن يجور لصداقة أو غيرها .

فالدولة الإسلامية في عهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على عظمتها وتوسعها وكثرة نفوسها، كان يحكمها إمام وولاة وعمال وقضاة معدودون دون أن يؤجل الترافع، أو يسوف الحكم، أو يظلم أحد في حقه . .

وكم كان الوالي أو القاضي يقضي الأوقات دون أن يترافع إليه اثنان .

ذلك : لأن السياسة الإسلامية هي سياسة الله، سياسة السماء، سياسة الخلود الرشيدة، سياسة لم يروا ولن يروا إلى الأبد العالم لها مثيلاً في غير الإسلام .
أما هذه الأنظمة للدول الغربية والشرقية التي يسير عليها العالم كله وساسته فهي تباين الإسلام كلياً، في أصوله وفروعه، ولا يعترف الإسلام بشيء منها .

وكم ندد الإسلام بالصغيرة والكبيرة منها، حتى إن والياً في الكوفة، جعل لداره حاجباً، فأرسل الخليفة رجلاً أحرق غرفة الحاجب، وأمر الوالي بأن لا يكون له أكثر من غرفة واحدة .

لا . . للحاجب

وهكذا كتب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عامله على مكة (قثم بن العباس)

يمنعه عن اتخاذ الحاجب حيث يقول :

«ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك، ولا حاجب إلا وجهك، ولا تحجبن ذا حاجة عن

لقائك بها...» (٦٤٥) الخ .

ونرى التاريخ يحدثنا عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان الرئيس الأعظم للمسلمين والسياسي الأكبر المشروع المبعوث إليهم، وكانت تدور عليه رحى المسلمين في جميع أمورهم الدينية والدنيوية . . كان أقل شخص يتمكن من مقابله (صلى الله عليه وآله

وسلم) حينما شاء .

فكيف بمن هو دون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الإمام أو الوالي أو العامل أو

القاضي؟

ولم يكن (صلى الله عليه وآله وسلم) يتفوق عليهم، أو ليحتجب عنهم، وكان فيهم

كأحدهم، يحدثهم إذا استمعوا، ويستمع إليهم، إذا تحدثوا^(٦٤٦).

كلها سياسة

أفليست هذه الأشياء من السياسة؟

أو ليس التنظيم الاقتصادي، والدستور الصحي، والقانون الثقافي، ومنح الحريات،

ومكافحة الجرائم، وتكثير الزراعات والعمارات، وتوثيق العلاقات مع الدول، وتنظيمات

السلم والحرب، وتعيين رؤساء الدولة، من السياسة؟.

نعم، إنها من صميم السياسة .

ولا سياسة رشيدة إلا بتنظيم هذه الأشياء تنظيماً حكيماً يوافق العقل والعاطفة في حين

واحد كما فعل الإسلام .

فكرة الاستعمار

والقول بأن الإسلام لا علاقة له بالسياسة، وإنما هو نظام روحي أخلاقي فحسب، يكذبه

القرآن الحكيم، والسنة المطهرة، وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم

الصلاة والسلام) وسيرة العلماء المراجع من بعدهم .

حتى أن الإمام الهادي (عليه السلام) حينما يريد أن يعلم الناس زيارة يزورون بها أئمتهم

(عليهم السلام) يقول فيها: «... وساسة^(٦٤٧) العباد وأركان البلاد...»^(٦٤٨).

وهذه الفكرة أن الإسلام لا علاقة له بالسياسة وليدة الاستعمار منذ أقل من قرن

تقريباً، فحين تمكن الاستعمار من تمكين مخالفه في البلاد الإسلامية أخذ ينشر هذه الفكرة

بين المسلمين، ليزقهم بأن الدين الإسلامي شيء، والسياسة شيء آخر^(٦٤٩)، ليتاح له

الدخول في البلاد الإسلامية والعمل كيف يشاء، حتى إذا أراد رجل دين، أو مجتهد، من

أن يقف دون أعمال المستعمرين، تتوجه إليه انتقادات من نفس المسلمين المغفلين البسطاء لم تتدخل في السياسة؟

إن الأمور السياسية ليس من واجبك؟

استمر على صلاتك وأذكارك، مالك ولهذه الأشياء؟

وغيرها من الكلمات التي علمهم بها الاستعمار، ليحمدوا بها كل صوت يرفع بالإسلام، ويدفعوا بها كل مدافع عن معالم الدين الحنيف .

ولهذا ترى الشباب (المثقف) بالثقافة الاستعمارية، ينظر إلى الإسلام كنظره إلى طقوس فارغة، وقشور لالب فيها.

وإلا فالإسلام الذي لا سياسة معه، ليس إسلاماً.

كما أن السياسة التي ليست وفق الإسلام لا تكون سياسة (بالمعنى الصحيح).

ومن جراء هذه الفكرة الاستعمارية، أصبح بعض الشباب يستقبلون كل نعمة علت من الشرق أو الغرب، وينحازون إلى كل مبدأ أو فكرة تنساب منهما.

فتراه يخرج إلى الشيوعية، ظناً منه أن الشيوعية هي التي ساوت بين الطبقات . . ولا يعلم أن الإسلام حفظ حقوق العامل والفلاح والفقير، بشكل لم يحلم به لا تاريخ روسيا، ولا تاريخ العالم كله، منذ فجر التاريخ حتى اليوم .

وتنظر إلى الآخر يتلهف إلى ما يسمى بـ (نظام بريطانيا)، أو (مدنية فرنسا)، أو (حضارة أمريكا)، أو . . . ولا يدري أن ما في بريطانيا وفرنسا وأمريكا وغيرها من أنظمة إنسانية ومدنيات كريمة ليست إلا مقتبسة من الإسلام، وما فيها من خزعات ودجل فقد حذر الإسلام عنها .

ولو كان الشباب المسلم يعلم عن الإسلام، وعن اقتصادياته، وحرياته، ومدنياته، وثقافته، و . . . شيئاً قليلاً، لما كرس جهوده لتطبيق مبادئ فاسدة وإقامة أفكار بالية، وتدعيم أنظمة جائرة، ليست من الإسلام ولا الإسلام منها في شيء، وهو منها براء .

«إن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأئمة على حلاله وحرامه»^(٦٥٠).

الإمام الحسين (عليه السلام)

١٨ . العلماء والسياسة

إن العلماء عبر العصور المتمادية والقرون المتتابعة سائرون على منهجهم الذي رسمه لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرون (عليهم الصلاة والسلام) من إصلاح أمور الأمة الإسلامية وتقويمها، فلم يتركوا الحكام وما يفعلون، ويدعوهم وما يريدون، بل تدخلوا في السياسة.

وقد كان من واجب العلماء أن يردوا الأمراء والحكام عن الغي والفساد، إذا انزلقوا، وكان عليهم أن يقابلوهم ويرشدوهم باللسان والنصح، فإن لم ينفع ذلك فبالوقوف دونهم وما يريدون، مهما كلفهم الأمر، وكانوا يقومون بذلك ويرشدون وينصحون، ويهددون ويكفرون، ويعارضون ويقاطعون كل من كان ينحرف عن الإسلام من الحكام.

فكم من عالم أبعد من دياره؟

وكم من مجتهد أوزي وسُجن؟

وكم من فقيه أحرق داره وطُرد؟

وكم منهم قُتل وصُلب؟

وكم؟ وكم؟ وكم؟

كل ذلك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الحكام وتقويمهم عن الهوى

والشهوات.

وكتاب «شهداء الفضيلة» للعلامة الأمينى (رضي الله عنه) ^(٦٥١) يذكر العشرات من

علماء الشيعة منذ القرن الرابع الهجري حتى هذا القرن الذي قضوا شهداء قد قتلوا في سبيل

إقامة الدين وإصلاح الأمة.

وهنا نذكر للقارئ الكريم أسماء بعض من علمائنا الأعلام، خلال القرن الأخير من الذين

جابهوا السياسات المعادية للإسلام، وتدخلوا في السياسة ليأمرؤا بالمعروف، وينهؤا عن المنكر،

ثم نتبع ذلك بقائمة لذكر عدد من علمائنا الأبرار الذين راحوا ضحية التدخل السياسي

في البلاد وقتلوا في سبيل الله تعالى ليعلم الناس: أن العلماء الأعلام، أعلنوا عملياً للعالم باستمرار: أن السياسة من واقع الإسلام، ومن أسسه وأصوله.

كفاح العلماء الأعلام

١: السيد محمد المجاهد، تحرك من العراق إلى إيران لمحاربة روسيا الطاغية، التي أرادت أن تهدم الإسلام، وتستعمر ديار المسلمين، ولذلك لقب بـ (المجاهد).

٢: السيد محمد حسن الشيرازي^(٦٥٢)، المجدد الكبير، حارب الإنجليز، حينما أرادت السيطرة على إيران باسم تجارة التبغ، فحرم استعمال التبغ، وكان في ذلك أكبر قصمة في ظهر بريطانيا.

٣: الشيخ محمد تقى الشيرازي^(٦٥٣)، الذي أعلن وجوب مطاردة الاستعمار، حينما أراد السيطرة على العراق سنة (١٣٣٧هـ) فوقف بوجه الإنجليز، ودافع عن الإسلام وأبناء الإسلام، في ثورته الشهيرة المعروفة بـ (ثورة العشرين) أي عام (١٩٢٠).

٤: العلماء الأعلام في كربلاء المقدسة والنجف الأشرف بعد ثورة العشرين بقليل، ثاروا ضد البرلمان الغربي الذي أرادوا تطبيقه في العراق آنذاك، وكان هذا هو السبب في تسفير جماعة من العلماء من العراق، من أمثال المرجع الديني السيد أبو الحسن الأصفهاني^(٦٥٤)، والمرجع الديني الميرزا حسين النائيني^(٦٥٥)، والمرجع الديني السيد ميرزا علي الشهرستاني، والعلامة الحجة السيد محمد علي الطباطبائي، وغيرهم... وغيرهم..

٥: المرجع الديني السيد حسين القمي^(٦٥٦)، أخرج من إيران إلى العراق، بعد استنكاره للكفر والاستعمار ضد (رضا خان البهلوي)، كما سافر مرة ثانية من العراق إلى إيران ليطالب السلطة عند ما ترأسها (محمد رضا بهلوي) برفض الضلال فأخذ مطالبه ورجع إلى العراق، فكان منه القيامان، مجازفة بنفسه وبمن معه.

٦: المرجع الديني السيد عبد الحسين شرف الدين^(٦٥٧)، الذي حارب فرنسا، وأفتى ضدها حتى طرد من لبنان إلى مصر، وكاد أن يقتل، وأحرقت داره ومكتبته التي كانت تضم نفائس الكتب، وقسماً من تأليفه التي كانت مخطوطة، ولا تزال المكتبة الإسلامية محرومة منها.

٧: المرجع الديني السيد آغا حسين البروجردي^(٦٥٨)، قاوم الظلم في إيران مرتين، أيام رضا خان البهلوي، حتى أشرف على القتل .

٨: مراجع التقليد في العراق أيام المد الشيوعي في زمان (عبد الكريم قاسم) قاوموا وحاربوا الكفر والإلحاد والضلال، حتى قتل بعضهم، وسحل آخرون، وسجن وسفر جمع كثير منهم .

٩: مراجع التقليد في إيران، قاوموا رضا خان ومحمد رضا بهلوي حتى أسقطوهما .

١٠: مراجع التقليد والعلماء في العراق قاوموا كفر الشيوعية حتى أسقطوها وهامهم اليوم يقاومون كفر البعث العراقي وسينتصرون عليه بإذن الله تعالى .

«ما منّا إلا مقتول أو مسموم»^(٦٥٩) .

حديث شريف

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : «ما منا إلا مقتول أو مسموم» .
وقد فسر الحديث الشريف بالنبي وابنته الزهراء والأئمة الاثني عشر (عليه وعليهم
الصلاة والسلام) .

والسؤال المطروح حول هذا الحديث الشريف هو : أنه كيف كان نصيب هؤلاء المعصومين
الأربعة عشر (عليهم السلام) القتل والسم والشهادة في سبيل الله وهم خيرة أهل الأرض؟
والجواب الوحيد عليه : أنهم (عليهم السلام) كانوا يزاوون الأعمال السياسية بكل
شجاعة وصمود في قبال الظالمين، فكانوا يتعرضون للقتل والسم من قبل الظالمين نتيجة
ذلك .

من هنا نستطيع أن نعرف أنه لماذا كان العلماء الأبرار أيضاً عبر التاريخ الطويل يتعرضون
لمثل ذلك : القتل أو السم؟
والجواب هنا هو الجواب هناك !

لأن علماء الدين لم يفتؤوا يمارسون الأعمال السياسية في كل الأبعاد بوجه الظالمين
والمستبدين، فكان نصيبهم القتل والسم .
وهنا نضع قائمة بأسماء جمع من علماء الإسلام الأبرار الأخيار الذين استشهدوا
في سبيل الله تعالى، ومن أهل مزاولة السياسة الإسلامية التي لا تترك بعداً من أبعاد عمل
الإنسان إلا وبرمجته ونظمته .

ولمراجعة تفاصيل حياتهم يراجع كتب التاريخ، والتراجم من أمثال (طبقات أعلام
الشيعة) للشيخ آغا بزرك الطهراني^(٦٦٠) .

(وأعيان الشيعة) للسيد محسن الأمين العاملي^(٦٦١) . .

و(روضات الجنات) للسيد محمد باقر الأصفهاني^(٦٦٢)، وغيرها.

١: جد الشريف الرضي

الحسن بن علي الملقب بـ(الأطروش) و(الناصر الكبير) الجد الأمي للشريف الرضي جامع نهج البلاغة)، خرج على الظلم والظالمين في بلاد الديلم أيام (المقتدر) العباسي وحكم مدة ثلاث عشرة سنة، واستشهد عام^(٣٠٤) هجري في بلدة (أمل) من أعمال (طبرستان) القديمة، وله من العمر تسع وسبعون سنة، وله قبر ومزار معروف هناك، عليه قبة جميلة. ترجم له:

١. الميرزا حسين النوري في (خاتمة المستدرک) ^(٦٦٣).
٢. كاشف الغطاء في (الحصون المنيعه).
٣. ابن داود النباكتي في (روضة أولي الألباب).
٤. الميرزا عبد الله الأفندي في (رياض العلماء) ^(٦٦٤).
٥. ابن الأثير في تاريخه الكبير (الكامل) ^(٦٦٥).
٦. السيد محسن الأمين العاملي في (أعيان الشيعة) ^(٦٦٦).

٢: خال الشيخ الكليني

علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بـ(علان) خال ثقة الإسلام الكليني (رضي الله عنه) صاحب (الكافي) ومن شيوخه الذين أكثروا الرواية عنهم.

كانت له صلة بصاحب الأمر (صلوات الله عليه)، وكان يعيش في عهد الغيبة الصغرى، وقد كتب إلى صاحب الأمر (عليه السلام) في بعض الأمور، فجاءه التوقيع الرفيع.

قتل في أيام الغيبة الصغرى بطريق مكة.

كان من وجوه الشيعة، ومروحي الشريعة.

ترجم له: معظم كتب التاريخ والرجال ^(٦٦٧).

٣: الأنطاكي المصري

الحسن بن سليمان الأنطاكي، من علماء الشيعة في (مصر) في القرن الرابع الهجري. كان

في أيام الحاكم العبيدي.

وكان مجاهراً بالحق، صادعاً به، مخالفاً للباطل متبرئاً منه، بقوله وعمله، قتله الحاكم العبيدي سنة^(٣٩٩) هجرية.

ترجم له: (ميزان الاعتدال)^(٦٦٨) للذهبي.

و(أعيان الشيعة)^(٦٦٩).

وغيرهما^(٦٧٠).

٤: الهمداني

بديع الزمان الهمداني، أحمد بن الحسين بن يحيى، الكاتب الشيعي الشهير، والأديب والخطيب، والشاعر الطائر الصيت، اتصل بالصاحب بن عباد، وكان صريحاً في الحق متكلماً منطقياً فيه.

استشهد بالسم عام^(٣٩٧) هجرية.

ترجم له: معظم المؤرخين والرجاليين^(٦٧١).

٥: الناشئ الصغير

(الحلاء) علي بن عبد الله المعروف بـ (الناشئ الأصغر) لقب بالحلاء لأن أباه كان يعمل حلية السيوف، وعرف بـ (الناشئ) لأنه يقال لمن نشأ في فن الشعر واشتهر به، (ونقل) عن السمعاني: أن المشهور بهذه النسبة هو المترجم له علي بن عبد الله.

كان يقطن (مصر) وكان ينظم الشعر في أهل البيت (عليهم السلام) بسخاء وجمال، ومن

أشعاره قصيدته المعروفة المفتحة بالبيت التالي:

وفي أبياتهم نزل الكتاب	بأل محمد عرف الصواب
------------------------	---------------------

عاصر الغيبة الصغرى وقتل حرقاً بالنار عام^(٣٦٦) هجري، وله من العمر خمس وتسعون

سنة.

ترجم له: معظم كتب الرجال والتاريخ والأدب^(٦٧٢).

٦: الأزدي الأندلسي

محمد بن هاني الأزدي، المعروف بـ (متنبي الغرب) باعتباره من الأندلس الواقعة غرب

البلاد الإسلامية، أنذاك كان من المجاهرين بالحق والمزاولين للسياسة في عصره، وقد عده (ابن شهر آشوب) من المجاهرين بالشييع. ولد عام (٢٢٦) هجري بالأندلس. واستشهد بها قتلاً أو خنقاً على خلاف بين المؤرخين في كيفية شهادته، عام (٣٦٢) وعمره إذ ذاك ست وثلاثون سنة.

ترجم له: معظم كتب التاريخ والرجال والأدب (٦٧٣).

٧: أبو فراس الحمداني

أبو فراس الحمداني، العالم والشاعر المعروف الذي نقل عن (الصاحب بن عباد) أنه قال في حقه: «بدء الشعر بملك وختم بملك». يعني: إمروء القيس، وأبأ فراس. ونقل: أن المتنبي كان لا ينبري لمبارزته إكباراً له، مارس السياسة، وخاض غمارها، وعمر البلاد والعباد.

حارب الروم عدة مرات، وأسروه مرتين، وقتل شهيداً في سبيل الله في المرة الثانية عام (٣٥٨) هجري.

ترجم له: معظم كتب التاريخ والأدب والرجال (٦٧٤).

٨: والد أبي فراس

سعيد بن حمدان الحمداني، والد أبي فراس المترجم أنفاً. من وجوه الشيعة وعلماء السياسة في عصره، قتله ناصر الدولة بالموصل عام (٣٢٣) هجري. ترجم له باختصار: العديد ممن ترجموا ابنه (٦٧٥).

٩: ابن الفرات

أبو الحسن علي بن الفرات.

كان من كتّاب الشيعة في القرن الرابع الهجري، من عائلة معروفة بالنبل والفضل والكرم.

تولى الوزارة في أيام (المقتدر العباسي) عدة مرات.

ونقل : أن أيامه كانت مواسم للناس ..

قُبض عليه وقتل في أيام الغيبة الصغرى سنة (٣١٢) هجرية .

ترجم له : (أعيان الشيعة) للسيد محسن الأمين العاملي (٦٧٦) .

و(الشيعة وفنون الإسلام) للسيد حسن الصدر (٦٧٧) .

١٠ : التهامي الشامي

أبو الحسن التهامي ، علي بن محمد العاملي الشامي .

كان من العلماء والشعراء والأدباء في مفتح القرن الخامس الهجري، وقيل في حقه :

(له شعر أدق من دين الفاسق، وأرق من دمع العاشق) .

ومن قصائده ما افتتحها بهذا البيت المعروف :

ما هذه الدنيا بدار قرار	حكم المنية في البرية جاري
-------------------------	---------------------------

كان يمارس السياسة الشرعية في أيام بني العباس، فطورد فاختفى، وجعل يجوب البلاد والقرى متنكراً فراراً من ظلم حكم بني العباس، حتى دخل (مصر) فظفروا به، وعرفوه، فاعتقلوه وأودعوه في السجن، وعذبوه كثيراً وشديداً، ثم قتل في السجن سراً ولعله قضى نحبه تحت التعذيب وذلك عام (٤١٦) هجري .

ومن جميل ما ينقل عنه .

أنه رأى في المنام، ف قيل له : ما فعل الله بك ؟

فقال : غفري .

ف قيل له : بأي الأعمال .

فقال : بقولي في مريثة ولدي الصغير :

جـاورت أعمدائي وجـاور ربه

شـتان بين جـواره وجـواري

ترجم له : المعظم من المؤلفين في التاريخ، والشعر، والرجال (٦٧٨) .

١١ : ثابت بن أسلم

ثابت بن أسلم، النحوي، من نوابغ الأدب، وعلماء حلب .
كان من علماء الشيعة، جريئاً في الصدع بالحق، ذكياً في ذلك، تولى خزانة الكتب بحلب في عهد الفاطميين، مارس السياسة بذكاء .

ألف بعض الكتب في كشف أباطيل بعض المذاهب الباطلة .
حمل إلى (مصر) وقتل صلباً في حدود عام (٤٦٠) هجري .
ترجم له : روضات الجنات (٦٧٩) .

وأعيان الشيعة (٦٨٠) .
والشيعة وفنون الإسلام (٦٨١) .
وغيرها (٦٨٢) .

١٢ : أبو القاسم القزويني

أبو القاسم الشيخ عبد الكريم القزويني .

كان من علماء الفقه، والأصول، والحديث، في القرن الخامس الهجري، من الطائفة المعروفة بـ (الكرجية) .

كان منطقياً، يقول الحق، ويصمد فيه، ويتدخل في سياسة العباد والبلاد، ويناقش الملحدون ويفحهم . حتى قتله الملاحدة سنة (٤٩٨) هجرية .

ترجم له : شهداء الفضيلة (٦٨٣) ، وغيره .

١٣ : الكندي الكاتب

أبو الحسين بن طرخان أحمد بن محمد الكندي المعروف بـ (الكاتب) .

من علماء القرن الخامس الهجري .

كان صادعاً بالحق، ومناهضاً للباطل، يقول الحق، ويستقيم عليه .

قتل لتشيعة، وصراحتة بذلك، قبيل عام (٤٥٠) هجري .

قال عنه النجاشي (رضي الله عنه) : (ثقة صحيح السماع وكان صديقنا) .

ترجم له : المعظم من كتب الرجال (٦٨٤) .

١٤ : الحسن بن مفضل

الحسن بن مفضل بن سهلان .

كان من كتّاب الشيعة، وعلمائها، وساستها .

مارس السياسة، وتولى الوزارة لسلطان الدولة الديلمي .

وقُتل في سبيل الله .

وهو الذي بنى سوراً لحائر الحسين (عليه السلام) في كربلاء .

ترجم له : الشيعة وفنون الإسلام^(٦٨٥) .

وابن كثير الشامي في تاريخه^(٦٨٦) .

وغيرهما^(٦٨٧) .

١٥ : أبو المحاسن الطبري

الطبري أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل .

كان من كبار العلماء في أواخر القرن الرابع الهجري، وتلمذ عليه (القطب الراوندي)

وغيره من فطاحل العلماء .

وذكره جمع من المؤرخين بلقب (الإمام الشهيد) .

عمد إلى ثورة فكرية تصحيحية في الإسلام ضد الباطنية التي كانت آنذاك تتغلغل

في المسلمين ..

ووصف المترجم له بأنه أول من أفتى بإلحاد الباطنية التي وصفت بأنها تقول : بوجوب

إطاعة شيخ الطريقة ولا يجب بعد ذلك شيء من التكاليف الإلهية .

قُتل غيلة عام^(٥٠١) أو^(٥٠٢) هجري وله من العمر فوق الثمانين .

ترجم له : المعظم من المؤرخين والرجاليين^(٦٨٨) .

١٦ : الفتال النيسابوري

الفتال الشيخ محمد بن الحسن الواعظ النيسابوري .

لقبه بعض المؤرخين بـ (الشيخ الشهيد) .

مؤلف كتاب (روضة الواعظين) وكتاب (التنوير) في التفسير .
استشهد في سبيل الله على إثر جرأته على الباطل وصراحته بالحق .
ترجم له : العلامة المجلسي^(٦٨٩) .

والشيخ النوري^(٦٩٠) .

والمحدث الحر العاملي^(٦٩١) .

وغيرهم^(٦٩٢) .

١٧ : القطب الراوندي

الحسين بن قطب الدين الراوندي .

عالم جليل ، وصف بـ (العالم الصالح الشهيد) .

قتل في سبيل الله من أجل مناهضته للضلال ، وصموده للحق .

ترجم له : أمل الأمل^(٦٩٣) .

وخاتمة المستدرك^(٦٩٤) .

وغيرهما^(٦٩٥) .

١٨ : الطغرائي

الطغرائي الحسين بن علي ، من أحفاد (أبي الأسود الدؤلي) .

كان عالماً فاضلاً ، وشاعراً مجيداً ، ولاميته مشهورة معروفة .

كان يزاول السياسة ويروج لأهل البيت (عليهم السلام) في خطبه وأشعاره ومواقفه ،

وكان صامداً ، تولى الوزارة مدة ، ثم لصمود مواقفه قتل ظلماً عام خمسمائة وبضعة عشر ، وقد

بلغ الخامسة والسبعين من عمره أو تجاوزها .

ترجم له : المعظم من المؤرخين ، وكتب تاريخ الشعر والأدب^(٦٩٦) .

١٩ : الطبرسي

أمين الإسلام الطبرسي ، الفضل بن الحسن بن الفضل ، صاحب تفسير (مجمع البيان)

وغيره من عشرات الكتب النافعة ، منها أربعة تفاسير غير مجمع البيان .

كان يعيش في جو مختلف من الأديان والمذاهب، وكان طوداً في العلم، بطلاً في الإيمان، صامداً في ذات الله، حتى استشهد ليلة عيد الفطر من سنة ثمان وأربعين وخمسمائة في مدينة (سبزوار).

وحمل نعشه إلى (مشهد الرضا (عليه السلام) ودفن هناك في مكان يعرف بـ (مغتسل الرضا (عليه السلام)).

ترجم له: معظم المؤرخين^(٦٩٧).

٢٠: أبو القاسم بن الفضل

السيد أبو القاسم يحيى بن ابن الفضل شرف الدين، ينتهي نسبه إلى الإمام زين العابدين (عليه الصلاة والسلام).

كان من أفاضل العلماء، وله ممارسة عميقة في سياسة البلاد، فقد كان نقيب الطالبين بالعراق.

عارضه الملك (خوارزم شاه تكش) وقتله بالسيف عام^(٥٨٥) هجري.

ترجم له: العديد من كتب التاريخ والرجال^(٦٩٨).

٢١: الشهيد الأول

(الشهيد الأول) محمد بن مكي العاملي، الذي لا تزال كتبه وفتاواه وأراؤه مدار الحوزات العلمية الإسلامية في الفقه، والأصولين^(٦٩٩)، والحديث، وغيرها.

جاهد في الله حق الجهاد حتى استبيح دمه، فقتل، ثم صلب، ثم أحرق بالنار، في رحبة قلعة دمشق عام (٧٨٦هـ) وله من العمر^(٥٢) سنة.

ترجم له: المعظم من المؤرخين وعلماء الرجال^(٧٠٠).

٢٢: الشهيد الثاني

(الشهيد الثاني) زين الدين العاملي، تالي الشهيد الأول في كل المكرمات، في الشهادة والعلم والفضيلة، وكذلك في أن كتبه وفتاواه وأراؤه مدار البحث والنقاش في الحوزات العلمية الإسلامية في الفقه، والأصولين، والحديث، وغيرها.

كان مجاهداً في سبيل الله حتى ضاق به حكام لبنان وحكام الروم، وبحثوا عنه تحت كل حجر ومدبر، وأخذوه في أيام الحج، فقتل على ساحل البحر في قصة طويلة وأهدى رأسه إلى ملك الروم، وترك جسده الشريف على الأرض.

وكان بتلك الأرض جمع من التركمان، فرأوا في تلك الليلة أنواراً تنزل من السماء وتصعد، فدفنوه هناك وبنوا عليه قبة.

ترجم له: المعظم من الرجاليين والمؤرخين^(٧٠١).

٢٣: الشهيد الثالث

الشهيد الثالث هو لقب لعدد من علمائنا الأبرار الذين استشهدوا في سبيل الله ومن أجل الصمود للحق، وفي كتاب (شهداء الفضيلة) أن العلماء المترجمين عدا بعضهم يذكرون هذا اللقب لشهاب الدين التستري الخراساني.

كان من أجلاء العلماء أيام دولة (السلطان طهماسب) وكان يزاول الأعمال السياسية وينصح السلطان، ويناقش الضالين، ويصمد للحق والفضيلة.

هجم (الأوزبكية) على خراسان، واستأسروا شهاب الدين التستري وأخذوه إلى ما وراء النهر، وعذبوه، وأذوه، ثم قتلوه بالخناجر والمدى، وأحرق جسده الشريف في ميدان (بخارا) عام^(٩٩٧) هجري.

ترجم له: روضات الجنات^(٧٠٢).

والروضة الصفوية.

وشهداء الفضيلة^(٧٠٣).

وغيرها^(٧٠٤).

٢٤: المحقق الكركي

المحقق الكركي نور الدين علي بن الحسين بن عبد العالي العاملي المعروف بـ (المحقق الثاني) كان في عهد الملك طهماسب الصفوي، وتولى شؤون سياسة البلاد وإدارة العباد، وكان أمر المحقق الكركي نافذاً على الناس فوق أمر الملك، وكان الملك يعتبر من عماله وولاته.

دُس إليه السم غيلة، فمات على أثره عام (٩٤٥) هجري .

ترجم له : المعظم من المؤرخين والرجاليين .

٢٥ : القاضي التستري

السيد القاضي نور الله التستري، مؤلف الموسوعة الضخمة المسماة بـ(إحقاق الحق)

وعشرات المؤلفات الأخرى المذكورة في كتب التاريخ .

تولى القضاء في (الهند) في العهد الصفوي، وكان مجاهداً صامداً، حتى قتل في سبيل الله

شهيداً عام (١٠١٩هـ) .

وكيفية قتله : أن جرد من ثيابه، وضرب بالسياط الحديدية الشائكة حتى تقطعت أعضاؤه

واختلط لحمه بدمه .

ترجم له : المعظم من المؤرخين والرجاليين (٧٠٥) .

٢٦ : الحر العاملي

الشيخ علي الحر العاملي، جد (صاحب الوسائل) وصهر الشيخ حسن (صاحب المعالم)

ومن أحفاد الحربن يزيد الرياحي المقتول مع الحسين (عليه السلام) في كربلاء يوم عاشوراء .

كان عالماً، عيلاً في العلم، بطلاً في دين الله، صامداً في ذات الله، مجاهداً في سبيل الإسلام،

حتى دس إليه السم فمات على أثره . ومن جميل نظمه هذان البيتان :

إن كان حبي للوصي ورهطه

رفضاً كما زعم الجهول الخائض

فالله والروح الأمين وأحمد

وجميع أملاك السماء روافض

ترجم له : العديد من المؤرخين (٧٠٦) .

٢٧ : السيد نصر الله الحائري

السيد نصر الله الحائري، العالم، الشاعر، والمدرس المعروف في الروضة الحسينية بكربلاء

المقدسة .

وله تخميس قصيدة الفرزدق التي قالها في حق الإمام السجاذين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام).

وكان مجاهداً في سبيل الله، ممارساً لسياسة البلاد، رافضاً لأهل الباطل، مندداً بهم، حتى قتل شهيداً عام (١١٥٤) هجري.

ترجم له: الكثير من المؤرخين، وكتب تاريخ الأدب والشعر^(٧٠٧).

٢٨: الشيخ العسيلي

الشيخ صالح العسيلي من علماء لبنان وتلامذة آية الله السيد مهدي بحر العلوم (رضي الله عنه).

كان مجاهداً في سبيل الله، صامداً من أجل الله، صادقاً بالحق، مزاولاً للأمر السياسي، حتى قتل صابراً محتسباً، قتله أحمد باشا المعروف بـ(الجزار)، وذلك عام (١٢٠٨) هجري. ترجم له: شهداء الفضيلة^(٧٠٨).

٢٩: الهمداني الحائري

المولى عبد الصمد الهمداني الحائري، العالم العيلم شيخ العلماء، هو من تلامذة الوحيد البهبهاني وصاحب الرياض (قدس سرهما)، كان مجاهداً في سبيل الله، عاملاً لرفع راية الإسلام، مزاولاً للأمر السياسي، حتى قتل عند باب داره عام (١٢١٦) هجري في فتنة الوهابية واستباحتهم لمدينة كربلاء المقدسة. وقتل معه الألوف من المؤمنين والأخيار، وفيهم العشرات من العلماء والفضلاء منهم (الشيخ محمد) و(الشيخ عين علي) و(السيد صادق) وغيرهم.

ترجم له: العديد من المؤرخين ومن كتبوا عن كربلاء المقدسة^(٧٠٩).

٣٠: الميرزا باقر الشيرازي

الميرزا محمد باقر الشيرازي، هو تلميذ الإمام المجدد الشيرازي (رضي الله عنه)، من شهداء نهضة (المشروطة) في إيران. كان يزاول الأمور السياسية، ويأمر وينهى، ويكافح أعداء الإسلام، حتى قتل في (شيراز) عام (١٣٢٦) هجري. ترجم له: شهداء الفضيلة^(٧١٠).

٣١: الشيخ النوري

الشيخ فضل الله النوري، هو تلميذ الإمام المجدد الشيرازي (رضي الله عنه)، وابن أخت العلامة المحقق الميرزا حسين النوري صاحب (مستدرك الوسائل) وصهره على ابنته .
قام بثورة تصحيحية (للمشروطة) مطالباً بالمشروطة حين رأى انحراف مسير الثورة التي قادها علماء الدين .

قتل في سبيل الله صلباً عام (١٣٢٧) هجري .

ترجم له: الكثير من المؤرخين المتأخرين^(٧١١) .

(هذه) أسماء واحد وثلاثين عالماً من علمائنا الأبرار الذين استشهدوا في سبيل الله نتيجة مزاولتهم للأمر السياسي، وتدخلهم في شؤون الدول والملوك الذين ما استطاعوا أن يجلبوا هؤلاء العلماء بالدرهم والدينار، وأساليب الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب . .

أثبتنا أسماءهم كنماذج من الجمع الضخم الكبير من علمائنا الشهداء الذي يطفح تاريخنا المشرق بأسمائهم وصمودهم وجهادهم في كل زمان ومكان . .

وتعدادهم يستدعي مجلدات . . ومجلدات . .

وذكرهم يستوعب العديد من الألف، وهم مذكورون في كتب التاريخ، والحديث،

والرجال، والمعاجم .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن (السياسة من واقع الإسلام) وأن المهمة الأولى

والأخيرة لعلماء الإسلام هي تقديم سياسة العباد والبلاد .

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٧١٢) .

حديث شريف

ولم يكن التدخل في الأمور السياسية، وتعديل الأمة، وتقويمها، واجب العلماء فحسب، بل هو واجب الجميع، والجميع مسؤول عنه غداً يوم القيامة. فكل زيغ، أو انحراف يحدث في الأمة الإسلامية، يجب على جميع المسلمين مكافحته وإصلاحه.

وقد قال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث له: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٧١٣). فكما أن الراعي مسؤول عن الأغنام، كذلك كل مسلم مسؤول عن الآخرين.

ولا يفرق في ذلك السيد والمسود، والعالم وغيره، والطالب والأستاذ، والرجل والمرأة، والقوي والضعيف، و... و... و...

وقد كان المسلمون الألوان الذي بهم تقدم الإسلام، وبإيمانهم الصادق وصمودهم الجبار استقامت أركان البلاد والدين إذا رأوا منكرًا استنكروه بما لهم من حول وقوة، حتى يزيلوه. فهذا أحد المسلمين حينما يرى الرجل يحمل آلات القمار، يقول له: لمن هذا؟ فيقال له: للأمير. يكسرها ويقول: القمار حرام، وأنا مسلم يجب عليّ كسر آلاته ممن كان ولمن كان. وهذا (الوليد) حينما مزق القرآن، حاصره المسلمون وقتلوه وقطعوا رأسه، وعلقوه، فكتبوا عليه: «هذا جزاء من مزق القرآن».

مع أن الوليد كان ذلك اليوم إمبراطوراً يحكم نصف العالم تقريباً. وهذا رجل آخر من المسلمين في الشام، رأى زقاق^(٧١٤) محملة على الجمال، فسأل عما فيها، فقيل إنها خمر، فحمل عليها ومزقها وخرقها بسكينه، وأراق ما فيها من خمر. وحينما قيل له: إنها معاوية بن أبي سفيان، قال بلهجة شديدة: فلتكن.

ولكن المسلمين حينما تكاسلوا عن العمل، وفقدوا المسؤولية، وقعد كل في داره، صبت

عليهم مصائب الدنيا بأجمعها، ووقعوا فرائس صهيون والغرب والشرق وغيرهم .
والمسلمون اليوم بدؤوا اليقظة، ومعرفة ما يدور حولهم، فيرجى لمستقبلهم الخير الوافر،
والعزة الشاملة بإذن الله تعالى .

فأساس التقدم والخير والعزة .. هو الوعي الصحيح، والإيمان الصادق، وقد ورد في الحديث
الشريف «العالم بزمانه لا تهجم عليه النوائب»^(٧١٥) .

فنسأل الله العلي القدير أن يعمق في المسلمين هذا الوعي، وهذه اليقظة، حتى يعمان
الجميع، فيقلبوا كل مقاييس الطواغيت في كل العالم رأساً على عقب، وما ذلك على الله
بعزيز .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين،
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين . صادق مهدي الحسيني الشيرازي

- (١) المنقعة: ص ٢٠٥، كتاب الصلاة ب ٢٠.
- (٢) (شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسي) تأليف: محمود أبو رية (نقلاً) عن كتاب (الوحي المحمدي) ص ٢٣٢.
- (٣) سورة الأعراف: ٩٦.
- (٤) سورة المائدة: ٦٦.
- (٥) سورة الأعراف: ١٥٧.
- (٦) سورة الشورى: ١٣.
- (٧) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٩٥-٩٦ ب ٢٢ ح ١.
- (٨) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٧٩ المجلس السابع والتسعون.
- (٩) راجع بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٤ ب ١٣ ح ٣.
- (١٠) مجمع البحرين: ج ٤ ص ٧٨ مادة (سوس).
- (١١) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٢٥٤ ب ١٠ ح ١.
- (١٢) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٢٤٩ ب ١٠ ح ١.
- (١٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٣٩ ق ٤ ب ٢ ف ١، الحكومة العادلة، ح ٧٧٣٨.
- (١٤) نهج البلاغة، الرسائل: ١٠ ومن كتاب له (عليه السلام) إليه أيضاً.
- (١٥) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٤٥ ب ١٢ ح ٢١٩٣٩.
- (١٦) الكافي: ج ١ ص ٥٩ باب الرد إلى الكتاب والسنة ح ٤.
- (١٧) الكافي: ج ١ ص ٥٧ باب البدع والرأي والمقاييس ح ١٣.
- (١٨) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٨١ ب ٨ ح ٩.
- (١٩) وسائل الشيعة: ج ٢٨ ص ٣٥٣ ب ١٠ ح ٣٤٩٤٩.
- (٢٠) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٨٤ باب ٨ ح ١٦.
- (٢١) كتاب معادن الحكمة: ج ١ ص ٢٤٤، وراجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٩ ص ١١٨.
- (٢٢) سورة الكهف: ١١٠.
- (٢٣) سورة الفرقان: ٧.

(٢٤) سورة يونس: ١٤ .

(٢٥) مستدرك الوسائل: ج ١٨ ص ٢٥٩ ب ٥٥ ح ٢٢٦٩١ .

(٢٦) عبد الكريم قاسم (١٩١٤-١٩٦٣ م) ضابط عراقي قاد ثورة تموز ١٩٥٨ وأطاح بالملكية، حكم البلاد بالظلم والاستبداد، قضى عليه عبد السلام عارف في انقلاب عسكري .

(٢٧) يوم النهروان: معركة دارت بين الإمام علي (عليه السلام) والخوراج، والنهروان موضع في العراق بين بغداد

وواسط .

(٢٨) الإرشاد: ج ١ ص ١٤٨-١٤٩ .

(٢٩) إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ١٢١ الركن الأول ب ١ .

واليك شرح بعض الكلمات الغامضة: (يرقون من الدين): يخرجون منه، (الرصاف): عقب بلوى على مدخل النصل، (نضيه): هو السهم قبل أن ينحني، (القذذ): واحدتها قذذة: ريش السهم، (تدردر): أصله تتدردر: أي تتدحرج، تحي وتذهب .

(٣٠) سورة الأنفال: ١٦ .

(٣١) سورة آل عمران: ١٥٢ .

(٣٢) سورة آل عمران: ١٥٥ .

(٣٣) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٧٣ .

(٣٤) وهو ما يعادل ثلاثة آلاف ومائتين وخمسين غراماً تقريباً من الذهب الخالص .

(٣٥) المبالغ: الأواني المعدة لسقي الكلاب أو إطعامهم، والعقل هي الحبال التي تربط بها أيدي وأرجل الإبل .

(٣٦) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٣٩-١٤٣ ب ٢٧ . والبحار: ج ١٠١ ص ٤٢٣-٤٢٤ ب ١٣ ح ١، وانظر أيضاً: أمالي

الصدوق، ومجالس ابن الشيخ الطوسي، وإعلام الوري، والكامل في التاريخ، وخصال الصدوق، وإرشاد المفيد .

(٣٧) سورة النحل: ٩٠ .

(٣٨) سورة الإسراء: ٧٠ .

(٣٩) سورة الأنبياء: ١٠٧ .

(٤٠) سورة الأحزاب: ٦ .

(٤١) الكافي: ج٧ ص٣٧٤ ح١١.

(٤٢) أي يُزنى بها.

(٤٣) أي: على عمر، يعني حزن.

(٤٤) وسائل الشيعة: ج١٩ ص٢٦٧-٢٦٨ ب٣٠ ح٣٥٩٣، ومستدرك الوسائل: ج١٨ ص٣٢٧ ب٢٣

ح٢٢٨٦٣.

(٤٥) راجع الإرشاد: ج١ ص٢٠٥ فصل في ذكر ما جاء من قضاياها (عليه السلام) في إمارة عمر بن الخطاب.

(٤٦) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٣٣٢ ب٣٤ ح٢٢٨٨١.

(٤٧) وسائل الشيعة: ج٢٩ ص٢٦٠ ب٢٤ ح٣٥٥٨٢.

(٤٨) وسائل الشيعة: ج٢٩ ص٢٦١ ب٢٤ ح٣٥٥٨٣.

(٤٩) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٣٢٥ ب١٩ ح٢٢٨٥٥.

(٥٠) نهروفي كتابه (ملحات من تاريخ العالم).

(٥١) غاندي في كتابه (هذا مذهبي).

(٥٢) فلاديمير لينين (١٨٧٠-١٩٢٤م) زعيم الثورة الروسية ومؤسس الحزب الشيوعي في روسيا السوفياتية،

حكم بالظلم والجور والاستبداد.

(٥٣) الحزب الشيوعي في الميزان: ص١٩٤.

(٥٤) الحزب الشيوعي في الميزان: ص١٩٤.

(٥٥) الحزب الشيوعي في الميزان: ص١٩٤.

(٥٦) الحزب الشيوعي في الميزان: ص١٩٤.

(٥٧) راجع تفسير القمي: ج٢ ص٢٢٨ تفسير سورة ص، وراجع شرح نهج البلاغة: ج١٤ ص١٥٤ ف١.

(٥٨) سورة الأنفال: ٣٠.

(٥٩) سورة الضحى: ٣١.

(٦٠) سورة الحجر: ٩٥.

(٦١) سورة القلم: ١-٢.

(٦٢) سورة يس: ٦٩.

(٦٣) سورة يس: ٣-١.

(٦٤) سورة الطور: ٢٩.

(٦٥) سورة الأنفال: ٣٠.

(٦٦) سورة الفرقان: ٦.

(٦٧) سورة النساء: ١٤٥.

(٦٨) سورة المجادلة: ٢٠.

(٦٩) سورة التوبة: ٦١.

(٧٠) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٧١) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥ ومن كتاب له (عليه السلام) إلى عامله عثمان بن حنيف الأنصاري، وكان عامله على البصرة.

(٧٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣ ص ٢٧٩ القول في إسلام أبي بكر وعلي وخصائص كل منهما.

(٧٣) نهج البلاغة، غريب كلامه: ٩.

(٧٤) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٣٢ ب ٩ في شجاعته.

(٧٥) المناقب: ج ١ ص ٢١١ فصل في غزواته (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٧٦) سورة آل عمران: ١٥٣.

(٧٧) عيون الأثر: ج ٢ ص ٤٢٢ ذكر جمل من أخلاقه.

(٧٨) مكارم الأخلاق: ص ١٨-١٩ ب ١ ف ٢ في شجاعته (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٧٩) مكارم الأخلاق: ص ١٩ ب ١ ف ٢ في شجاعته (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٨٠) المصباح المنير: ص ٥٠.

(٨١) مادة (بجر).

(٨٢) راجع بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٧٥ ب ١٥.

(٨٣) سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للطباطبائي: ص ٤١٣.

وراجع أيضاً: المناقب: ج ١ ص ١٩٢ وفيه دعائه (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الدعاء الإنساني في معركة أحد،
والمناقب: ج ١ ص ٢١٥ وفيه دعائه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالدعاء المذكور عند تعرضه لأشد الأذى من قبل جبابرة
قريش أبي جهل وأضرابه، وكذا دعائه (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الفتح.

(٨٤) راجع مكارم الأخلاق: ص ١٧ ب ١ ف ٢ في تواضعه وحياته (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٨٥) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٠٥ ب ٢٦.

(٨٦) سورة يوسف: ٩٢.

(٨٧) راجع بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٠٤ ب ٢٦، ودار أبي سفيان كانت بأعلى مكة ودار حكيم بن حزام كانت بأسفل

مكة، وهما من رؤوس الشرك أسلما يوم فتح مكة.

(٨٨) إعلام الوری: ص ١٠٨ الركن الأول ب ٤ في ذكر مغازي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه.

(٨٩) الكافي: ج ٢ ص ١٠٨ باب العفو ح ٩.

(٩٠) للتفصيل راجع كتاب (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) والمرسلين والأنبياء) وكتاب (بحار الأنوار:

ج ١٢).

(٩١) سورة الحجرات: ٤.

(٩٢) قال تعالى: «أفحكم الجاهلية يبغون» سورة المائدة: ٥٠، وقال سبحانه: «تبرج الجاهلية الأولى» سورة الأحزاب:

٣٣، وقال تعالى: «حمية الجاهلية» سورة الفتح: ٢٦.

(٩٣) سورة آل عمران: ١١٠.

(٩٤) راجع مكارم الأخلاق: ص ٢١ ب ١ ف ٢ في الرفق بأمتة (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٩٥) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٨ ص ١٠٨.

(٩٦) راجع السيرة النبوية لابن كثير: ج ٢ ص ٢١.

(٩٧) راجع البداية والنهاية: ص ٤ ص ٤١٨.

(٩٨) راجع السنن الكبرى للبيهقي: ج ٩ ص ١١٧ باب فتح مكة.

(٩٩) راجع الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: ج ١ ص ١٢٤.

(١٠٠) راجع العمدة: ص ٣٣٥-٣٣٦ ف ٣٦ في فنون شتى ح ٥٦١.

- (١٠١) راجع دعائم الإسلام: ج ١ ص ١٥٢.
- (١٠٢) راجع مكارم الأخلاق: ص ٢٤ ب ١ ف ٢ في جمل من أحواله وأخلاقه (صلى الله عليه وآله وسلم).
- (١٠٣) راجع مكارم الأخلاق: ص ٢٤ ب ١ ف ٢ في جمل من أحواله وأخلاقه (صلى الله عليه وآله وسلم).
- (١٠٤) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٤٥ ف ٤ ح ٦١، وج ٢ ص ٢١ المسلك الرابع ح ٤٣.
- (١٠٥) العمدة: ص ٣١٧ ح ٥٣٢.
- (١٠٦) راجع الخصال: ص ٤٩٠-٤٩١ أبواب الاثني عشر ح ٦٩.
- (١٠٧) بحار الأنوار: ج ٦٢ ص ٣١٥ باب ٨ ح ٧.
- (١٠٨) بحار الأنوار: ج ٦٢ ص ٣١٥-٣١٦ ب ٨ ضمن ح ٧.
- (١٠٩) راجع سفينة البحار: ج ١ ص ٢٨ باب الألف بعد اللام، والإرشاد: ج ١ ص ١٤٥.
- (١١٠) إعلام الوری: ص ١١٨ الركن الأول ب ٤.
- (١١١) السيرة النبوية لابن هشام: ج ٤ ص ١٠١.
- (١١٢) السيرة النبوية: ج ٤ ص ١٠٢.
- (١١٣) السيرة النبوية: ج ٤ ص ١٠٤، والإرشاد: ج ١ ص ١٤٦.
- (١١٤) قرب الأسناد: ص ٤٤.
- (١١٥) مكارم الأخلاق: ص ٢٥ ب ١ ف ٢ في جمل من أحواله وأخلاقه (صلى الله عليه وآله وسلم).
- (١١٦) سورة الأحزاب: ٢١.
- (١١٧) غوالي اللآلي: ج ٢ ص ٢٥٦ ب ٢ باب الدين ح ١.
- (١١٨) المحاسن: ج ٢ ص ٣١٩ كتاب العلل ح ٤٦.
- (١١٩) المناقب: ج ٢ ص ١٣٢ فصل في الاستنابة والولاية.
- (١٢٠) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٧٦ ب ٩١ ضمن ح ١١٣.
- (١٢١) المناقب: ج ٢ ص ١٣٢ فصل في الاستنابة والولاية.
- (١٢٢) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٧٤ ب ٦٠.
- (١٢٣) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣١٩ ب ٩٨ ح ٣.

- (١٢٤) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٣٨-٣٣٩ ب ٩٨ ح ٢٣.
- (١٢٥) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٣٢١ ب ١٣ ح ٥.
- (١٢٦) وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٣٢٢-٣٢٣ ب ٢ ح ٢٣٧٦٨.
- (١٢٧) راجع مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٣٩٢ ب ٤ ح ١٥٦٩٦.
- (١٢٨) راجع من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٨٢ باب الدين والقروض ح ٣٦٨٣.
- (١٢٩) سورة آل عمران: ١٦٤.
- (١٣٠) سورة الجمعة: ٢.
- (١٣١) سورة البقرة: ١٢٩.
- (١٣٢) سورة البقرة: ١٥١.
- (١٣٣) مكارم الأخلاق: ص ٢٠، وبحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٣٣ باب ٩ ح ٣٥.
- (١٣٤) مكارم الأخلاق: ص ٢١.
- (١٣٥) مكارم الأخلاق: ص ٢١.
- (١٣٦) يعني: لم يبق مجال لشخص آخر لآزدحام البيت بالمسلمين أو ببعض عوائله.
- (١٣٧) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٣٥ ب ٩ في الرفق بأمتة.
- (١٣٨) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٠٨-١٠٩ ب ٧٥ ح ١٥٧٨٠.
- (١٣٩) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٢٩ ب ٩ ضمن ح ٣٥.
- (١٤٠) مكارم الأخلاق: ص ١٦ ب ١ ف ٢ في تواضعه وحيائه (صلى الله عليه وآله وسلم).
- (١٤١) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٢٦٨ ب ١٣ ح ٩٤١٧.
- (١٤٢) راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٣٤ ب ٣٧.
- (١٤٣) مكارم الأخلاق: ص ١٧ ب ١ ف ٢ في تواضعه وحيائه (صلى الله عليه وآله وسلم).
- (١٤٤) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٣٦ ب ٩ في مشيه (صلى الله عليه وآله وسلم).
- (١٤٥) مكارم الأخلاق: ص ٢٣ ب ١ ف ٢ في جمل من أحواله وأخلاقه (صلى الله عليه وآله وسلم).
- (١٤٦) سورة النجم: ٥٣.

(١٤٧) راجع بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ١٣٣ باب ١٢٢ ح ١٥ عن الاختصاص، وفيه: (البدر التمام، محك المؤمنين، ووارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين).

(١٤٨) المناقب: ج ٣ ص ٦٢ فصل في أنه مع الحق والحق معه.

(١٤٩) كشف الغمة: ج ١ ص ١٤٨ في بيان مع الحق والحق معه.

(١٥٠) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: ج ١٣ ص ١٨٦ ح ٧١٦٥، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٥١) المستدرک علی الصحیحین، للحاکم النیسابوری: ج ٣ ص ١٣٧ ح ٤٦٣٧ ط ١ عام ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م دار

الكتب العلمية بيروت.

(١٥٢) حلية الأولياء: ج ١ ص ٦٤ ط ٤ دار الكتاب العربي، وراجع سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٣٧ ح ٣٧٢٣ ط: دار

إحياء التراث العربي بيروت، وتحفة الأحوزي: ج ١٠ ص ١٥٥ ط: دار الكتب العلمية بيروت.

(١٥٣) تاريخ بغداد: ج ٧ ص ١١ ح ٣٤٧٥ ط دار الكتب العلمية بيروت، وفيض الغدير: ج ٤ ص ٣٥٧ ط المكتبة

التجارية الكبرى مصر.

(١٥٤) إشارة إلى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا علي أنت وصيي وإمام أمتي». أمالي الشيخ الصدوق:

ص ١٢ ح ١٠ المجلس الثالث.

(١٥٥) إشارة إلى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنت مني كالصنو من الصنو». الصراط المستقيم: ج ١

ص ٢٥٢ ب ٨.

(١٥٦) إشارة إلى قوله (عليه السلام): «أنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كالعضد من المنكب

وكالذراع من العضد...». شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٣١٥ الحكم المنسوبة ٦٢٥.

(١٥٧) العراق بكسر العين: هو من الحشا ما فوق السرة معترضاً البطن. والعراق بضم العين: جمع عرق وهو

العظم عليه شيء من اللحم.

(١٥٨) نهج البلاغة: قصار الحكم: ٢٣٦.

(١٥٩) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٧٨ ب ٩ ح ١١٦.

(١٦٠) الإهاب: الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ، (لسان العرب): ج ١ ص ٢١٧ مادة (أهب).

(١٦١) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٣ ب ٩٨ ضمن ج ٦.

- (١٦٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٣ ب ٩٨ ضمن ح ٦.
- (١٦٣) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٣ ب ٩٨ ضمن ح ٦.
- (١٦٤) المناقب: ج ٢ ص ٩٨.
- (١٦٥) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٥ باب ٩٨ ح ٧.
- (١٦٦) كشف الغمة: ج ١ ص ١٧٣.
- (١٦٧) الخورتيق: موضع بالكوفة آنذاك، والآن بظاهر الحيرة.
- (١٦٨) السمل: الثوب الخلق.
- (١٦٩) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٣٤ باب ٩٨ ح ١٥.
- (١٧٠) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٧ ب ٩٨ ضمن ح ٩.
- (١٧١) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٠٢ باب ١٠٧ ح ١.
- (١٧٢) راجع مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ٢٩٩-٣٠٠ ب ٧٢ ح ١٩٩٤٩.
- (١٧٣) الطمر: هو الثوب الخلق: والطمران باعتبار أنهما قطعتان مئزر وورداء.
- (١٧٤) قرصيه: أي قرصين من خبز، ولعله كان يتغذى بأحدهما ويتعشى بالآخر، يعني: في كل يوم قرصان.
- (١٧٥) الفلذة، بالكسر: القطعة من اللحم.
- (١٧٦) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣١٨ ب ٩٨ ح ٢.
- (١٧٧) الكراكر: قيل إنها إحدى النفثات للبعير، أو الصدر خاصة.
- (١٧٨) الاختصاص: ص ١٥٣ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام).
- (١٧٩) المناقب: ج ٢ ص ٩٥ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.
- (١٨٠) سورة آل عمران: ١٣٣.
- (١٨١) سورة آل عمران: ١١٤.
- (١٨٢) سورة الأنبياء: ٩٠.
- (١٨٣) سورة المؤمنون: ٦١.
- (١٨٤) تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٤١ ب ٤١ ح ٨١.

- (١٨٥) المناقب: ج ٢ ص ٩٥ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.
- (١٨٦) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٢ ب ٩٨ ح ٥.
- (١٨٧) المناقب: ج ٢ ص ٩٦ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.
- (١٨٨) انظر بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٢ ب ٩٨ ضمن ح ٤.
- (١٨٩) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٨ باب التجمل وإظهار النعمة ح ١.
- (١٩٠) راجع وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٣٢٢ ب ٢ ح ٢٣٧٦٨.
- (١٩١) شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٢٠٠ مناقب علي وذكر طرف من أخباره في عدله وزهده.
- (١٩٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١١٧ ب ١٠٧ ح ٢٤.
- (١٩٣) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١١٧ ب ١٠٧ ح ٢٤.
- (١٩٤) المناقب: ج ٢ ص ١١١ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة.
- (١٩٥) المناقب: ج ٢ ص ١١١ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة.
- (١٩٦) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١١٨ ب ١٠٧ ضمن ح ٢٥.
- (١٩٧) الكافي، ج ٨ ص ١٦٥ ب ٨ ح ١٧٦.
- (١٩٨) راجع نهج البلاغة، الخطب: ٣٣، ومن خطبة له (عليه السلام) عند خروجه لقتال أهل البصرة.
- (١٩٩) التوحيد: ص ١٧٤ ب ٢٨ ح ٣.
- (٢٠٠) الكافي: ج ١ ص ٤١٠ باب سيرة الإمام في نفسه وفي المطعم والملبس إذا ولي الأمر ح ١.
- (٢٠١) سورة المائدة: ٤٢.
- (٢٠٢) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٢٧٣ ب ٣ ح ٥.
- (٢٠٣) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٢٧٣ ب ٣ ح ٦.
- (٢٠٤) المكاسب: ج ١ ص ٢٣٩ المسألة الثامنة وص ٢٤٦ حكم الهدية.
- (٢٠٥) المكاسب: ج ١ ص ٢٤٦ حكم الهدية.
- (٢٠٦) المكاسب: ج ١ ص ٢٤٦ حكم الهدية.
- (٢٠٧) أي: من رجاء عقيل أن أعطيه زائداً على سائر المسلمين.

(٢٠٨) نوع من الحلوى، أهداها الأشعث بن قيس إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

(٢٠٩) أي: كرهتها .

(٢١٠) الصلة: العطية، والزكاة: هي الزكاة الواجبة، والصدقة: هي الصدقة المستحبة، والفرق بينهما مذكور

في كتب الفقه .

(٢١١) هبلتك: ثكلتك، والهبول: المرأة لا يعيش لها ولد .

(٢١٢) أي: مختل نظام إدراكك .

(٢١٣) هو من أصابه مس من الشيطان .

(٢١٤) أي: تهذي بما لا معنى له في مرض ليس بصرع .

(٢١٥) أي: قشرة الشعيرة .

(٢١٦) نهج البلاغة، الخطب: ٢٢٤ ومن كلام له (عليه السلام) يتبرأ من الظلم .

(٢١٧) الفصول المختارة: ص ١٣٥ و ٢٢٤ .

(٢١٨) الكافي: ج ٨ ص ١٨٢ خطبة لأمر المؤمنين (عليه السلام) ح ٢٠٤، الاختصاص: ص ١٥١ من كتاب ابن

وَأَب فِي فَضْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) .

(٢١٩) المناقب: ج ٢ ص ١٠٨-١٠٩ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة .

(٢٢٠) أملق: افتقر أشد الفقر .

(٢٢١) استماحني: استعطاني وطلب مني، البر: الخنطة، والصاع: ثلاثة كيلوات تقريباً .

(٢٢٢) أي: المتلبد من الوسخ .

(٢٢٣) أي: متغير اللون شاحبة من الفقر .

(٢٢٤) هو سواد يصيب به، ولعله النيلة .

(٢٢٥) أي: زمامه .

(٢٢٦) أي: صاحب مرض وألم شديد .

(٢٢٧) أي: المكواة .

(٢٢٨) الشكل: فقدان الولد، أو مطلق الحبيب .

- (٢٢٩) لظى : اسم جهنم .
- (٢٣٠) الاختصاص : ص ١٥١ ومن كتاب ابن وأب في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) .
- (٢٣١) بحار الأنوار : ج ٤٠ ص ١٠٦ ب ٩١ ح ١١٧ .
- (٢٣٢) المناقب : ج ٢ ص ١٠٩ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة .
- (٢٣٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٢٠٠ مناقب علي وذكر طرف من أخباره في عدله وزهده .
- (٢٣٤) المناقب : ج ٢ ص ١١٣ فصل في حلمه وشفقته (عليه السلام) .
- (٢٣٥) سورة الأعراف : ٨٥ .
- (٢٣٦) كشف الغمة : ج ١ ص ١٧٤ .
- (٢٣٧) بلدة في طرف بغداد من ناحية سامراء .
- (٢٣٨) كشف الغمة : ج ١ ص ١٧٥ في وصف زهده في الدنيا وسنته في رفضها .
- (٢٣٩) مستدرک الوسائل : ج ١٧ ص ٣٥٩ ب ١١ ح ٢١٥٨١ .
- (٢٤٠) سفينة البحار : ج ١ ص ٦٦٩ باب السنين بعده الواو .
- (٢٤١) نهج البلاغة، الرسائل : ٤٠، ومن كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عماله .
- (٢٤٢) الأمالي للشيخ الصدوق : ص ٣٠٤ المجلس ٦٢ ح ٨ .
- (٢٤٣) نهج البلاغة، الرسائل : ٢٠ .
- (٢٤٤) نهج البلاغة، الرسائل : ٢٦ ومن عهد له (عليه السلام) إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة .
- (٢٤٥) نهج البلاغة، الخطب : ١٦٧ ومن خطبة له (عليه السلام) في أوائل خلافته .
- (٢٤٦) نهج البلاغة، الرسائل : ٥٣ ومن كتاب له (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها .
- (٢٤٧) نهج البلاغة، قصاص الحكم : ٤٥٦ .
- (٢٤٨) اللماظة، بالضم : بقية الطعام في الفم، يريد بها الدنيا، أي : لا يوجد حريترك هذا الشيء الذي لأهله .
- (٢٤٩) نهج البلاغة، الرسائل : ٣١ ومن وصية له (عليه السلام) للحسن بن علي (عليه السلام) كتبها إليه
- بجاضرين .

- (٢٥٠) الكافي: ح ٨ ص ٦٩ حديث علي بن الحسين (عليه السلام) ح ٢٦.
- (٢٥١) سفينة البحار: ج ٢ ص ٤٩٩ باب الكاف بعده الواو.
- (٢٥٢) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٣٠ ب ٢٦ ح ٦٣٩.
- (٢٥٣) سورة الزمر: ٦٥.
- (٢٥٤) سورة الروم: ٦٠.
- (٢٥٥) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٤٨ ب ١٠٤ ضمن ح ١.
- (٢٥٦) الفصول المختارة: ص ٩٧.
- (٢٥٧) راجع خصائص الأئمة: ص ٧٥ قطعة من الأخبار المروية في إيجاب ولاء أمير المؤمنين (عليه السلام).
- (٢٥٨) الفصول المختارة: ص ٢٢٠ و ٢٢٤.
- (٢٥٩) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٤٩ ب ١٠٤ ضمن ح ١.
- (٢٦٠) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٢٤ ب ١٠٠ ح ١٠٠.
- (٢٦١) للتفصيل راجع (الغدیر) للعلامة الأميني (رضي الله عنه).
- (٢٦٢) المناقب: ج ٢ ص ٢٦١.
- (٢٦٣) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٢٢٥-٢٢٦ ب ٢، ج ٢ ص ٧٤٦-٧٤٧ ب ١٥.
- (٢٦٤) الخصال: ج ٢ ص ٦٤٤-٦٤٥ علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) ألف باب ح ٢٦.
- (٢٦٥) بصائر الدرجات: ص ٣٠٦ ب ١٦ ح ١٥.
- (٢٦٦) سورة الإسراء: ٧١.
- (٢٦٧) راجع بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٢٨٦، ٢٨٧ ب ١١٤ ح ٧.
- (٢٦٨) هي قوله تعالى: «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين». سورة آل عمران: ٦١.
- (٢٦٩) راجع الطرائف: ج ٢ ص ٤٥٤-٤٥٥ إبداع عمر وقوله نعمت البدعة.
- (٢٧٠) سورة طه: ٦١.

- (٢٧١) المناقب: ج ٢ ص ٩٦ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.
- (٢٧٢) سورة طه: ٦١.
- (٢٧٣) راجع بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٢٣١ باب ١ ح ١٨٨، والآية في سورة آل عمران: ١٦٩.
- (٢٧٤) سفينة البحار: ج ١ ص ٥٨٦ باب السين المهملة.
- (٢٧٥) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٣٤-٤٣٥ ب ٢٦ ح ٦٤٣.
- (٢٧٦) سورة البقرة: ١٩٤.
- (٢٧٧) شرائع الإسلام: ج ١ ص ٢٥٧ في قتال أهل البغي. والشرائع: ج ٢ ص ٩٤٨ في شروط المقدوف وأحكامه.
- (٢٧٨) جواهر الكلام: ج ٢١ ص ٣٤٤ من سب الإمام العادل وجب قتله.
- (٢٧٩) بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٣١١ ب ٨٨ ح ١.
- (٢٨٠) وسائل الشيعة: ج ٢٨ ص ٢١٥ ب ٢٧ ح ٣٤٥٩٤.
- (٢٨١) مستدرك الوسائل: ج ١٨ ص ١٠٦ ب ٢٣ ح ٢٢٢٠١.
- (٢٨٢) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٥٩-٤٦٠ كتاب الحدود، ف ٣ ح ١٦٢٠.
- (٢٨٣) جامع الشتات: ج ٢ ص ٧١٢.
- (٢٨٤) الكافي: ج ٨ ص ٣٤٥ حديث إسلام علي (عليه السلام) ح ٥٤٤.
- (٢٨٥) مستدرك الوسائل: ج ١٧ ص ١٤٢ ب ١ ح ٢٠٩٨٥.
- (٢٨٦) راجع الكافي: ج ٧ ص ٢٦٩-٢٧٠ باب النوادر ح ٤٤.
- (٢٨٧) راجع ثواب الأعمال: ص ٢١١ عقاب الناصب والجاحد لأمير المؤمنين (عليه السلام).
- (٢٨٨) راجع تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ٨٦-٨٧ ب ٦ ح ١٠١، والتهذيب: ج ١٠ ص ٢١٥ ح ٥٢.
- (٢٨٩) عبد الكريم قاسم ١٩١٤-١٩٦٣ م، ضابط عسكري عراقي، قاد انقلاب عام ١٩٥٨ م ضد النظام الملكي وأطاح بالملكية، قضى عليه عبد السلام عارف في انقلاب عسكري.

(٢٩٠) راجع بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٧-٨ ب ١ ح ٢.

(٢٩١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٣ ب ١ ح ١٩.

(٢٩٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٢٩٩ ب ١١٤ ح ٢٩.

- (٢٩٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٢٩ نسب شريح وذكر بعض أخباره.
- (٢٩٤) المناقب: ج ٢ ص ٢٥٩ فصل في إخباره بالغيب.
- (٢٩٥) سورة طه: ٩٧.
- (٢٩٦) سفينة البحار: ج ١ ص ٢٦٢ باب الحاء بعده السين.
- (٢٩٧) سفينة البحار: ج ١ ص ٢٦٢ باب الحاء بعده السين.
- (٢٩٨) راجع المناقب: ج ٢ ص ٢٦٣.
- (٢٩٩) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٩٨ ب ١١ ح ٣٧٠.
- (٣٠٠) راجع بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٣٦٤ ب ٥ ح ٦.
- (٣٠١) راجع المناقب: ج ٢ ص ٢٥٩ فصل في إخباره بالغيب.
- (٣٠٢) سفينة البحار: ج ١ ص ٦٧٦ باب السين بعده الهاء.
- (٣٠٣) الكافي: ج ٣ ص ١٨٦ باب من زاد على خمس تكبيرات ح ٣.
- (٣٠٤) الاختصاص: ص ١٥٢ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام).
- (٣٠٥) المناقب: ج ٢ ص ١١١ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة.
- (٣٠٦) الاختصاص: ص ١٥١ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام).
- (٣٠٧) راجع بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٠٨-١٠٩ و ١٢٢ ب ١٠٧ ح ١٥ و ٢٧ و ٢٩.
- (٣٠٨) المناقب: ج ٢ ص ١١٠ فصل بالمسابقة بالعدل والأمانة.
- (٣٠٩) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٠٤ ب ٥٠ ضمن ح ٢.
- (٣١٠) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٢٩-٢٣٠ ب ٤ ح ١٨١.
- (٣١١) سورة الحجرات: ٩.
- (٣١٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٠٤ ب ٥٠ ح ٢.
- (٣١٣) سفينة البحار: ج ٢ ص ١٣٣ باب الغين بعده الباء.
- (٣١٤) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٠٤ ب ٥٠ ح ٢.
- (٣١٥) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٠٤ ب ٥٠ ضمن ح ٢.

- (٣١٦) المناقب: ج ٢ ص ٢٦٠-٢٦١ فصل في إخباره بالغيب .
- (٣١٧) المناقب: ج ٢ ص ١١٤ فصل في حلمه وشفقته .
- (٣١٨) المناقب: ج ٢ ص ١١٤ فصل في حلمه وشفقته .
- (٣١٩) سورة المؤمنون: ٩٦ .
- (٣٢٠) المناقب: ج ٢ ص ١١٣ فصل في حلمه وشفقته .
- (٣٢١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٢٠٣-٢٠٤ ب ١١٠ ح ١٨ .
- (٣٢٢) المناقب: ج ٢ ص ١١٢ فصل في حلمه وشفقته .
- (٣٢٣) لكزه يلكزه لكزاً: هو الضرب بالجمع في جميع الجسد، وقيل: اللكز هو القرع في الصدر بجمع اليد، وكذلك في الخنك . انظر لسان العرب: ج ٥ ص ٤٠٦ مادة لكز .
- (٣٢٤) خروج النفس بصعوبة لعللة تحدث في الصدر من شدة الخوف .
- (٣٢٥) المناقب: ج ٢ ص ١٠٦ في المسابقة بالتواضع .
- (٣٢٦) الاختصاص: ص ١٥٧ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) .
- (٣٢٧) الاختصاص: ص ١٥٩ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) .
- (٣٢٨) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٥٥ ب ١٠٥ ح ٢ .
- (٣٢٩) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٥٥ ب ١٠٥ ح ٢ .
- (٣٣٠) سورة القصص: ٨٣ .
- (٣٣١) المناقب: ج ٢ ص ١٠٤ فصل في المسابقة بالتواضع .
- (٣٣٢) المناقب: ج ٢ ص ١١٠ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة .
- (٣٣٣) المناقب: ج ٢ ص ١١٠ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة .
- (٣٣٤) المناقب: ج ٢ ص ١٠٨ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة .
- (٣٣٥) سورة الحجرات: ١٣ .
- (٣٣٦) تحف العقول: ص ٣٤ خطبته (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع .
- (٣٣٧) تحف العقول: ص ٣٤ خطبته (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع .

(٣٣٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٠٠-٢٠١ مناقب علي (عليه السلام) وذكر طرف من أخباره

في عدله وزهده.

(٣٣٩) الاختصاص: ص ١٥١ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام).

(٣٤٠) الاختصاص: ص ١٥٢ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام).

(٣٤١) كشف الغمة: ج ٢ ص ٢١٨ وأما مناقبه.

(٣٤٢) سورة المائدة: ٨٢.

(٣٤٣) الكافي: ج ٣ ص ٥٤٠ باب أدب المصدق ح ٨.

(٣٤٤) المناقب: ج ٢ ص ٢٥٩ فصل في إخباره بالغيب.

(٣٤٥) المناقب: ج ٢ ص ٢٥٩ فصل في إخباره بالغيب.

(٣٤٦) سورة الكهف: ٥١.

(٣٤٧) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٤ ب ١ ح ٢٢.

(٣٤٨) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥ ب ١ ح ١.

(٣٤٩) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥-٦ ب ١ ح ١.

(٣٥٠) سفينة البحار: ج ٢ ص ٤٣١ باب القاف بعده الصاد.

(٣٥١) يتحدث جرجي زيدان في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامي) وغيره ممن كتبوا عن سعة الدولة الإسلامية

وحضارة الإسلام: أن الدولة الإسلامية توسعت وتوسعت حتى بلغت خلال قرنين قرابة ثلاثة أرباع المسكونة إلى

مفتتح القرن الثالث الهجري أي في عهد الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام)، فأفريقية والهند وقسم كبير من

الصين وإسبانيا وقسم كبير من روسيا... وغيرها كانت تحت سيطرة المسلمين وحكم الإسلام.

(٣٥٢) راجع وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٦٦ ب ١٩ ح ١٩٩٩٦.

(٣٥٣) اليمامة: بلاد شرقي مكة، وقيل: من اليمن، راجع القاموس، ومجمع البحرين.

(٣٥٤) سيأتي نقل بعض الخطبة التي هذه الفقرة منها إن شاء الله تعالى.

(٣٥٥) مجلة (الوطن العربي) الصادرة في فرنسا: العدد ٩٤ عام ١٩٧٨ م.

(٣٥٦) راجع وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٥٢ ب ٧ ح ١١٥٠١ وفيه عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «فما آمن بي من

بات شعباناً وجاره المسلم جائع...».

(٣٥٧) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٢٨.

(٣٥٨) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ١٢ ب ١ ح ١١٣٩٢.

(٣٥٩) وسائل الشيعة: ج ٣٧٣ ب ٢ ح ١٢٢٧٣.

(٣٦٠) الكافي: ج ٥ ص ٣١٨-٣١٩ باب النوادر ح ٩٥.

(٣٦١) سورة الأعراف: ٣١.

(٣٦٢) بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٢٦٧ ب ٨٨ ح ٤٢.

(٣٦٣) انظر بحار الأنوار: ج ٥٩ أبواب الطب ومعالجة الأمراض وخواص الأدوية.

(٣٦٤) الإحصاءات الحديثة في مختلف دول العالم توقفنا على المدهش والمدهش كثيراً في هذا المجال. سواء في

ذلك الدولة الغربية، أو الشرقية، أو الدول النامية كما يعبرون..

وقد التقيت أنا شخصياً بطبيب خاص بعلاج (مرض السكري) في بلد صغير لا يعدو كل سكانه مليون نسمة، وكان الطبيب واحداً من عديدين يعالجون السكري، قال لي بالحرف الواحد: «إنني أعالج تسعة آلاف مريض مصاب بالسكري». هذا مع غض النظر عن ألوف الأمراض الأخرى، ومئات الأطباء الآخرين. وعلى هذه القصة الصغيرة فقس غيرها. (وليس المقصود من ذلك التنقيص من قدر الأطباء ومهمتهم الإنسانية، فإن فيهم المؤمنين والأخيار والملتزمين بموازين الإسلام والإنسانية، يعرفون مسؤوليتهم أمام الله والتاريخ، وإنما المقصود بيان ضعف السياسة الصحية المعاصرة.

(٣٦٥) لأبي العباس المستغفري (٤٣٣٥٠هـ) ولد وتوفي بمدينة نسف بالقرب من سمرقند.

(٣٦٦) للميرزا محمد الرازي النجفي المولود في ١٣١٨هـ

(٣٦٧) لعبد الله وحسين ابني بسطام من أعلام القرن الرابع الهجري.

(٣٦٨) الحجامة: هي خدش محل معين في أعلى الظهر تحت الرقبة بقليل خدوشاً عديدة تصل إلى الأوردة

والشرابين وسحب الدم منها، حيث تجمع شرابين ضخام هناك. والقصده هو غرز مشروط أو نحوه في شريان يسمى

(الغيفال) واقع في باطن المرفق، وهو شريان كبير أيضاً، وسحب الدم منه. ويمكن تقليل الدم بطرق أخرى، ووسائل غير

ذلك.

- (٣٦٩) بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ٢١٩ ب ٧ ضمن ح ٥.
- (٣٧٠) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٧٧ ب ١ ح ٥٥.
- (٣٧١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٠١ الهامش.
- (٣٧٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٠ المجلس ١٤.
- (٣٧٣) ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص ٢٤.
- (٣٧٤) المحاسن: ص ٢٢٩ ح ١٦٥.
- (٣٧٥) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ح ٢ ص ١٧٦.
- (٣٧٦) المكاسب: ج ١ ص ١٣ تقسيم المكاسب بحسب الأحكام الخمسة.
- (٣٧٧) سورة النساء: ٧٥.
- (٣٧٨) سورة الذاريات: ٥٦.
- (٣٧٩) نهج البلاغة، الرسائل: ٣١ ومن وصية له (عليه السلام) للحسن بن علي (عليه السلام) كتبها إليه

بجاضرين.

(٣٨٠) ذكرنا نتفأ من الحرية الإسلامية في سياسة النبي وسياسة أمير المؤمنين علي (عليهما الصلاة والسلام).

- (٣٨١) سورة البقرة: ٢٥٦.
- (٣٨٢) سورة القصص: ٨٥.
- (٣٨٣) سورة الفتح: ٢٧.
- (٣٨٤) راجع بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٣٠ ب ٢٦ ضمن ح ٢٢.
- (٣٨٥) سورة البقرة: ٢٥٦.
- (٣٨٦) سورة البقرة: ٢٥٧.
- (٣٨٧) سورة الأعراف: ١٥٧.
- (٣٨٨) سورة البلد: ١٠.
- (٣٨٩) سورة المزمل: ١٩، وسورة الإنسان: ٢٩.
- (٣٩٠) سورة الفرقان: ٥٧.

(٣٩١) سورة الإنسان : ٣ .

(٣٩٢) سورة الأحزاب : ٦ .

(٣٩٣) في تفسير نور الثقلين : ج ٤ ص ٢٣٧ عند تفسير سورة الأحزاب زخم كبير من الأحاديث الشريفة بهذا

المعنى .

(٣٩٤) بحار الأنوار : ج ٢ ص ٢٧٣ ب ٣٣ ح ٧ .

(٣٩٥) نهج البلاغة، الرسائل : ٣١، ومن وصية له (عليه السلام) للحسن بن علي (عليه السلام) كتبها إليه

بمضرين .

(٣٩٦) يقول أحد الكتّاب : إن حالة الإنسان في العالم أصبحت أسوأ من الحشرات، فالحشرات حينما تصبح،

تخرج من أوكارها، وتمضي إلى حيث شاءت بجرياتها الكاملة، والإنسان في هذا العصر الذهبي !! إذا شاء أن يخطو من مكانه

خطوات، جاءته العقاب من كل جانب ومكان، ولا يمكن له أن يجوزها إلا بعد فك ألف قيد وقيد ؟ .

(٣٩٧) للتوسع في الموضوع راجع كتاب (العقوبات في الإسلام) للمؤلف .

(٣٩٨) صحيفة إيرانية عدد (٢٧ / جمادى الثانية / ١٤٠١ هـ) .

(٣٩٩) هو تاسع الأئمة الإثني عشر / الذين نص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على إمامتهم وعلى وجوب

طاعتهم، وهو السادس من ذرية الإمام الحسين (عليه السلام) .

(٤٠٠) سورة المائدة : ٣٨ .

(٤٠١) سورة النساء : ٤٣ .

(٤٠٢) سورة المائدة : ٦ .

(٤٠٣) سورة الجن : ١٨ .

(٤٠٤) راجع وسائل الشيعة : ج ٢٨ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ب ٤ ح ٤٦٩٠ .

(٤٠٥) وسائل الشيعة : ج ١٨ ص ٤٢٤ ب ٣ ح ٢٣٩٦٩ .

(٤٠٦) تفسير نور الثقلين : ج ٤ ص ٢٤٠، سورة الأحزاب ح ٢٣ .

(٤٠٧) الكافي : ج ١ ص ٤٠٦ باب ما يجب من حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام ح ٦ .

(٤٠٨) وسائل الشيعة : ج ١٣ ص ١٥١ باب ٣ ح ٣، نقلاً عن الخلاف .

- (٤٠٩) تفسير القمي: ج ١ ص ٩٤ سورة البقرة، أحكام الربا.
- (٤١٠) وسائل الشيعة: ج ٢٦ ص ٢٤٧-٢٤٨ ب ٣ ح ٣٢٩٣٣.
- (٤١١) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٠٧ ب ٢ ح ٢١١٥٨.
- (٤١٢) الكافي: ج ٥ ص ٩٣ باب الدين ح ٣، وتهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٨٤ ب ٨١ ح ٦.
- (٤١٣) الكافي: ج ٥ ص ٩٤ باب الدين ح ٧، وتهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٨٤ ب ٨١ ح ٤.
- (٤١٤) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٢١١ ب ٨٤ ح ١١.
- (٤١٥) سورة البقرة: ٢٨٠.
- (٤١٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٥٥ سورة البقرة ح ٥٢٠.
- (٤١٧) معاني الأخبار: ص ٥٢ باب معاني أسماء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته / ح ٣.
- (٤١٨) الأمالي للمفيد: ص ١٨٧-١٨٨ المجلس ٣ ح ١٤.
- (٤١٩) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٤٠٠ ب ٩ ح ١٥٧٢٣.
- (٤٢٠) الكافي: ج ٥ ص ٢٨٠ باب في إحياء أرض الموات ح ٦.
- (٤٢١) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ١١١ ب ١ ح ٢٠٩٠٢.
- (٤٢٢) غوالي اللثالي: ج ٣ ص ١٨٠ ق ٢ باب إحياء الموات ح ٣.
- (٤٢٣) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ١١١-١١٢ ب ١ ح ٢٠٩٠٥.
- (٤٢٤) إنما كانت العراق تسمى بأرض السواد، لوفرة الزراعة فيها، والزرع أخضر والأخضر يميل إلى السواد، فلذلك قيل لها أرض السواد.
- (٤٢٥) هو أحد المؤرخين في القرن الرابع الهجري.
- (٤٢٦) الزوارق: جمع زورق وهو: ضرب من السفن الصغيرة. انظر مجمع البحرين: ج ٥ ص ١٧٦ مادة زرق.
- (٤٢٧) الفرسخ هو ستة كيلو مترات تقريباً.
- (٤٢٨) الميل الإسلامي أربعة آلاف ذراع، ويساوي ألفي متر تقريباً.
- (٤٢٩) يعني بذلك بعد الحرب العالمية الأولى، وبعد سيطرة الكفار على بلاد الإسلام.
- (٤٣٠) وإن كانت القبريوان أخذت في الازدهار هذه الأيام.

- (٤٣١) تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الأول ص ١١٧-١١٩ .
- (٤٣٢) تاريخ التمدن الإسلامي: الجزء الأول ١٢٠١٢٠ .
- (٤٣٣) للتفصيل راجع كتاب (الإصلاح الزراعي في الإسلام) للمؤلف .
- (٤٣٤) سورة الممتحنة: ٨-٩ .
- (٤٣٥) راجع تفسير مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٤٩ .
- (٤٣٦) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ ومن كتاب له (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها .

- (٤٣٧) سورة الأحزاب: ٢١ .
- (٤٣٨) سورة الممتحنة: ٣-٤ .
- (٤٣٩) راجع تفسير مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٤٧-٤٤٨ .
- (٤٤٠) سورة الممتحنة: ٦-٩ .
- (٤٤١) سورة آل عمران: ٩٧ .
- (٤٤٢) راجع تفسير مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٤٩-٤٥١ .
- (٤٤٣) سورة الممتحنة: ١٠-١١ .
- (٤٤٤) راجع تفسير مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٥٣-٤٥٥ .
- (٤٤٥) سورة الممتحنة: ١٣ .
- (٤٤٦) راجع تفسير مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٥٧ .
- (٤٤٧) جامع الأخبار: ص ١٠١ ف ٥٨ في التزويج .
- (٤٤٨) بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ٢٢٠ ب ١ ح ١٩ .
- (٤٤٩) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٣٨٤ باب فضل المتزوج على العزب ح ٤٣٤٦ .
- (٤٥٠) أي لا تحيض .

- (٤٥١) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٦١ ب ٢٣ ح ٢٥٠٣٦ .
- (٤٥٢) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ١٦١ ب ٥ ح ١٦٣٨٠ .

(٤٥٣) سورة النور: ٣٢.

(٤٥٤) تبصرة المتعلمين: ص ١٧٩ كتاب النكاح ف ٣.

(٤٥٥) سورة النساء: ٣.

(٤٥٦) فإن المرأة كما يقرر العلم والعادة الجارية لا تلد بعد أربعين سنة على الأغلب، ولكن الرجل يتمتع بقوة قد

تجعله يتمكن من الإنجاب وإن كان عمره مائة سنة أو أكثر.

(٤٥٧) راجع الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٤٢٣ المجلس ٦٦ ح ١.

(٤٥٨) راجع مكارم الأخلاق: ص ٤٢٤.

(٤٥٩) سورة البقرة: ٢٠٨.

(٤٦٠) سورة الأنفال: ٦١.

(٤٦١) سورة العاديات: ٢، ٣.

(٤٦٢) تفسير مجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٢٤.

(٤٦٣) الكافي: ج ٥ ص ٢٧ باب وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام)

في السراياح ١.

(٤٦٤) تحف العقول: ص ١٩١-١٩٢ وصيته (عليه السلام) لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدمته إلى صفين.

(٤٦٥) سورة الحجرات: ٩.

(٤٦٦) الكافي: ج ٥ ص ٢٨ باب وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام)

في السراياح ٢.

(٤٦٧) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٥٢ باب الخراج والجزية ح ١٦٧٥.

(٤٦٨) الكافي: ج ٥ ص ٣٠ باب إعطاء الأمان ح ١.

(٤٦٩) وسائل الشيعة: ج ٢٦ ص ١٤ ب ١ ح ٣٢٣٨٣.

(٤٧٠) شرائع الإسلام كتاب الجهاد في الذمام.

(٤٧١) جواهر الكلام: ج ٢١ ص ٩٥ مساواة الحر والمملوك والذكر والأنثى في الأمان.

(٤٧٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٦٧ ب ٢٠ ح ١٩٩٩٨.

- (٤٧٣) مستدرک الوسائل : ج ١٨ ص ٢٣٧ ب ٢٨ ح ٢٢٦١٦ .
- (٤٧٤) وسائل الشيعة : ج ١٥ ص ٦٨ ب ٢٠ ح ٢٠٠٠٠ .
- (٤٧٥) الكافي : ج ٥ ص ٣٠ باب إعطاء الأمان ح ١ .
- (٤٧٦) جواهر الكلام : ج ٢١ ص ٩٥ مساواة الحر والمملوك والذكر والأنثى في الأمان .
- (٤٧٧) جواهر الكلام : ج ٢١ ص ٩٥ مساواة الحر والمملوك والذكر والأنثى في الأمان .
- (٤٧٨) الكافي : ج ٥ ص ٣١ باب إعطاء الأمان ح ٥ .
- (٤٧٩) مستدرک الوسائل : ج ١١ ص ٤٥ ب ١٨ ح ١٢٣٩٠ .
- (٤٨٠) الكافي : ج ٢ ص ٣٣٧ باب المكر والغدر والخديعة ح ٤ .
- (٤٨١) راجع من لا يحضره الفقيه : ج ٣ ص ٥٦٥-٥٦٦ باب معرفة الكبائر التي أوعده الله عز وجل عليها النار ح ٤٩٣٤ .

(٤٨٢) سورة المدثر : ٤٢-٤٣

(٤٨٣) سورة النور : ٣٧ .

(٤٨٤) سورة طه : ١٣٢ .

(٤٨٥) سورة النساء : ١١٥ .

(٤٨٦) سورة آل عمران : ١٦٩ .

(٤٨٧) سورة الأنفال : ١٥ .

(٤٨٨) سورة طه : ٥٢ .

(٤٨٩) سورة النحل : ١٢٨ .

(٤٩٠) الكافي : ج ٥ ص ٣٦ ح ١ .

(٤٩١) مستدرک الوسائل : ج ١١ ص ٨٢ ب ٣٢ ح ١٢٤٧٧ .

(٤٩٢) مستدرک الوسائل : ج ١١ ص ٨٣ ب ٣٢ ح ١٢٤٧٨ .

(٤٩٣) تهذيب الأحكام : ج ٦ ص ١٥١ ب ٦٧ ح ١ .

(٤٩٤) سورة النساء : ٩٤ .

- (٤٩٥) مستدرك الوسائل : ج ١١ ص ٩٠-٩١ ب ٣٥ ح ١٢٤٩٢ .
- (٤٩٦) تهذيب الأحكام : ج ٦ ص ١٥٢ ب ٦٨ ح ١ .
- (٤٩٧) سورة النساء : ١٤١ .
- (٤٩٨) وسائل الشيعة : ج ٢٦ ص ١٤ ب ١ ح ٣٢٣٨٣ .
- (٤٩٩) دعائم الإسلام : ج ١ ص ٣٧٦ كتاب الجهاد، ذكر قتال المشركين .
- (٥٠٠) وسائل الشيعة : ج ١٥ ص ١٣٢ ب ٥٢ ح ٢٠١٤٧ .
- (٥٠١) الكافي : ج ٥ ص ٤٧ باب الشعارح ١ .
- (٥٠٢) مستدرك الوسائل : ج ١١ ص ١١٣-١١٤ ب ٤٧ ح ١٢٥٦٤ .
- (٥٠٣) العدد القوية : ص ٥٧ اليوم الخامس عشر .
- (٥٠٤) راجع المحاسن : ص ٢٦٣ ب ٣٤ ح ٣٢٧ .
- (٥٠٥) سورة النساء : ٩٤ .
- (٥٠٦) سورة سبأ : ٢٨ .
- (٥٠٧) سورة الأعراف : ١٥٨ .
- (٥٠٨) سورة النحل : ٩٠ .
- (٥٠٩) غوالي اللآلي : ج ٤ ص ١٠٣ ح ١٥٠ .
- (٥١٠) نهج البلاغة، الخطب : ٢٠٠ ومن كلام له (عليه السلام) في معاوية .
- (٥١١) الكافي : ج ٢ ص ٣٣٧ باب المكر والغدر والخديعة ح ٤ .
- (٥١٢) سورة التوبة : ٥ .
- (٥١٣) الكافي : ج ٥ ص ٣٨ باب ما كان يوصي أمير المؤمنين (عليه السلام) به عند القتال ح ٣ .
- (٥١٤) مستدرك الوسائل : ج ١٨ ص ٢٥٦ ب ٥١ ح ٢٢٦٨٠ .
- (٥١٥) سورة النساء : ٧٥ .
- (٥١٦) سورة الممتحنة : ٩٨ .
- (٥١٧) وسائل الشيعة : ج ٢٦ ص ١٤ ب ١ ح ٣٢٣٨٣ .

- (٥١٨) سورة النساء: ٩٧.
- (٥١٩) الكافي: ج ٥ ص ٤٣ باب أنه لا يحل للمسلم أن ينزل دار الحرب، ح ١.
- (٥٢٠) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٨٩ ب ٣٤ ح ١٢٤٨٩.
- (٥٢١) موسوعة (الفقه): ج ٤٧ ص ١٣١ كتاب الجهاد المسألة ٣٢.
- (٥٢٢) سورة الإسراء: ١٥-١٦.
- (٥٢٣) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٣٠ ب ٩ ح ١٢٣٥٧.
- (٥٢٤) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٣١ ب ٩ ح ١٢٣٥٩.
- (٥٢٥) سورة الأنفال: ١٥-١٦.
- (٥٢٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٥٦٥-٥٦٦ باب معرفة الكبائر التي أوعده الله عز وجل عليها النار ح ٤٩٣٤.
- (٥٢٧) المكاسب: ج ٣ ص ٥٨١، مسألة بيع العبد المسلم من الكافر.
- (٥٢٨) وسائل الشيعة: ج ٢٦ ص ١٤ ب ١ ح ٣٢٣٨٣.
- (٥٢٩) المكاسب: ج ٣ ص ٥٩٦ عدم استقرار المسلم على ملك الكافر ووجوب بيعه عليه.
- (٥٣٠) ذكرت مصادر الحديث عند مختلف مذاهب المسلمين هذا الحديث الشريف ومن تلك المصادر ما يلي:
- أ: وسائل الشيعة: ج ٢٦ ص ١٤ ب ١ ح ٣٢٣٨٣.
- ب: كنز العمال: ج ١ ص ٦٦ ح ٢٤٦ الفرع الثاني في فضائل الإيمان، ط: مؤسسة الرسالة بيروت.
- ج: الجامع الصغير: ج ١ ص ٤٧٤ ح ٣٠٦٣، ط: دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ.
- (٥٣١) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ١٧٥ ب ١٦ ح ١.
- (٥٣٢) سورة الأنبياء: ٩٢.
- (٥٣٣) سورة المؤمنون: ٥٢.
- (٥٣٤) سورة الحجرات: ١٣.
- (٥٣٥) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٢٢ الإفك على مارية.
- (٥٣٦) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٢٢ الإفك على مارية.
- (٥٣٧) الكافي: ج ٨ ص ١٨١-١٨٢ خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) ح ٢٠٣.

(٥٣٨) الميرزا صادق بن الميرزا جعفر بن الحاج الميرزا أحمد المجتهد التبريزي المعروف بالميرزا صادق آقا التبريزي، درس عند الشيخ هادي الطهراني، له عدة كتب، منها: (المقالات) و(المشتقات) و(شرائط العوضين) وهي رسالة فقهية مبسطة، توفي في ذي القعدة عام ١٣٥١ هـ ودفن في قم المقدسة.

(٥٣٩) قاعدة فقهية مستفادة من قوله تعالى: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم». سورة الأحزاب: ٦.

(٥٤٠) توماس لورنس: (١٨٨٨ م ١٩٣٥ م) ضابط وكاتب إنجليزي، اتصل بالشريف حسين وشجع ثورة العرب

على الأتراك (١٩١٦-١٩١٨ م) لقب بلورنس العرب، له كتاب (أعمدة الحكمة السبعة).

(٥٤١) آخر الإحصاءات تشير إلى أن المسلمين بلغوا المليارين، عام ٢٠٠٠ م.

(٥٤٢) سورة الأنبياء: ٩٢، سورة المؤمنون: ٥٢.

(٥٤٣) قاعدة مستنبطة من قوله تعالى: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم». سورة الأحزاب: ٦.

(٥٤٤) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٧٢ ب ٣٣ ح ٧.

(٥٤٥) وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٣٨٦ ب ١ ح ٣٢١٩٠.

(٥٤٦) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٥٧٢ ب ٩٠ ضمن ح ١٩٨٤٣.

(٥٤٧) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٤٤٧ ب ٤٦ ح ٢١٨٢٦.

(٥٤٨) الخصال: ج ١ ص ٣٣٨ باب السنة ح ٤٠.

(٥٤٩) الخصال: ج ٢ ص ٤٣٦ باب العشرة ح ٢٢.

(٥٥٠) الخصال: ج ٢ ص ٤٣٦ باب العشرة ح ٢٣.

(٥٥١) الأمالي للصدوق (رضي الله عنه): ص ٢١٠ المجلس ٣٧ ح ٩.

(٥٥٢) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٤٠٢ ب ٥ ح ١٩.

(٥٥٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٦٧ ب ٣٥ ح ٢.

(٥٥٤) سورة آل عمران: ٢٠٠.

(٥٥٥) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٧ ب ٦ ح ١٢٣٤٥.

(٥٥٦) لتفصيل انظر الفقه: ج ٤٧ ص ١٣٨ كتاب الجهاد، المسألة ٣٦.

(٥٥٧) المكاسب للشيخ الأنصاري: ج ٣ ص ٥٥١ الكلام في ولاية الفقيه بالمعنى الأول.

(٥٥٨) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٣١ ب ١٠ ح ١٠١٣٤٠١.

(٥٥٩) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٤٠ باب ١١ ح ٣٣٤٢٤.

(٥٦٠) بحار الأنوار: ج ٧٩ ص ٢٠٨ ب ١ ح ١٨.

(٥٦١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٧ ب ١ ح ٩.

(٥٦٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥ ومن كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على

البصرة.

(٥٦٣) الطمر بالكسر -: الثوب الخلق البالي .

(٥٦٤) طعمه بضم الطاء -: ما يطعمه ويفطر عليه، و(قرصيه) تننية قرص، وهو الرغيف .

(٥٦٥) السداد: التصرف الرشيد، وأصله الثواب والاحتراز عن الخطأ.

(٥٦٦) التبر بكسر فسكون -: فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ .

(٥٦٧) الوفر: المال .

(٥٦٨) الطمر: الثوب البالي، وقد سبق، والثوب هنا عبارة عن الطمرين فإن مجموع الرداء والإزار يعد ثوباً واحداً

فيهما يكسى البدن لا بأحدهما .

(٥٦٩) أتان دبيرة: هي التي عقز ظهرها، فقل أكلها .

(٥٧٠) مقرة: أي مرة .

(٥٧١) فدك بالتحريك -: قرية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، صالح أهلها بعد خيبر وقد أمر الله عز وجل أن

يهديها لابنته فاطمة (عليها السلام) والحديث عنها طويل مذكور في معظم كتب التاريخ .

(٥٧٢) المظان: جمع مظنة، وهي المكان الذي يظن فيه وجود الشيء .

(٥٧٣) اضغظها: جعلها من الضيق بحيث تضغط وتعصر الحال فيها، و(المدر): جمع مدرة، مثل قصب وقصبة،

وهو التراب المتلبد، أو قطع الطين .

(٥٧٤) فرجها: جمع فرجة، مثال غرف وغرفة، كل منفرج بين شئتين، و(أروضها): أذلها .

(٥٧٥) المزلق: موضع الزلل، وهو المكان الذي يخشى فيه أن تزل القدمان، والمراد هنا الصراط .

(٥٧٦) القرص: الرغيف .

- (٥٧٧) بطون غرثى : جائعة .
- (٥٧٨) حرى مؤنث حران .: عطشان .
- (٥٧٩) البطنة بكسر الباء .: البطر والأشر .
- (٥٨٠) القد بالكسر .: قطعة لحم مجففة في الشمس .
- (٥٨١) الجشوبة : الخشونة .
- (٥٨٢) تقمما : التقاطها للقمامة، أي الكناسة .
- (٥٨٣) تكترش : تملأ كرشها، و(أعلاف) : جمع علف ، ما يهيأ للدابة لتأكله .
- (٥٨٤) يعني الذبح .
- (٥٨٥) أعتسف : ركب الطريق على غير قصد، و(المتاهة) : موضع الخيرة .
- (٥٨٦) النباتات العذية : التي تنبت عذياً، أي الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر .
- (٥٨٧) الصنوان : النخلتان يجمعهما أصل واحد، و(الذراع من العضد) : شبه الإمام (عليه السلام) نفسه من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالذراع الذي أصله العضد، وكلا التشبيهين كناية عن شدة الامتزاج والقرب بينهما (عليهما أفضل الصلاة والسلام) .
- (٥٨٨) الغارب : ما بين السنام والعنق، وهذه الجملة تمثيل لتسريحها تذهب حيث شاءت .
- (٥٨٩) انسل من مخالبيها : لم يعلق به شيء من شهواتها .
- (٥٩٠) والحبائل : جمع حباله، شبكة الصياد .
- (٥٩١) المداحض : المساقط والمزالق .
- (٥٩٢) المداعب : جمع مدعبة وهي من الدعابة أي المزاح .
- (٥٩٣) الورد بكسر الواو .: ورود الماء، و(الصدر) بالتحريك : الصدور عن الماء بعد الشرب .
- (٥٩٤) مكان دحض بفتح السكون .: أي زلق لا تثبت فيه الأرجل، وزلق : زل وسقط .
- (٥٩٥) أزور : مال وتنكب .
- (٥٩٦) مناخه : أصله مبرك الإبل، من أناخ بينخ، والمراد هنا : مقامه .
- (٥٩٧) عزب يعزب : أي بعد .

- (٥٩٨) لا أسلس: أي لا أنقاد.
- (٥٩٩) تهش: أي تنبسط إلى الرغيف وتفرح به من شدة ما حرّمته.
- (٦٠٠) نضب معينها: أي غار ماؤها الجاري.
- (٦٠١) السائمة: الأنعام التي تسرح.
- (٦٠٢) الربيضة: الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرابضها.
- (٦٠٣) الربوض للغنم: كالبروك للإبل.
- (٦٠٤) يهجع: أي يسكن كما سكنت الحيوانات بعد طعامها.
- (٦٠٥) الهاملة: المتروكة، والهمل من الغنم ترى نهاراً بلاراع.
- (٦٠٦) البؤس: الضر، وعرك البؤس بالجنب: الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه.
- (٦٠٧) الكرى بالفتح -: النعاس.
- (٦٠٨) الهمهمة: الصوت الخفي يتردد في الصدر.
- (٦٠٩) تقشعت جنوبهم: انحلت وذهبت كما يتقشع الغمام.
- (٦١٠) سورة المجادلة: ٢٢.
- (٦١١) ولتكف أقراصك: كأن الإمام (عليه السلام) يأمر الأقراص أي الأرغفة بالكف والانقطاع عن ابن حنيف، والمراد أمر ابن حنيف بالكف عنها استغفافاً.
- (٦١٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥ ومن كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها.
- (٦١٣) يقدرُوا أنفسهم: أي يقيسوا أنفسهم.
- (٦١٤) يتبيغ: يهيج به الأثم فيهلكه.
- (٦١٥) نهج البلاغة، الخطب: ٢٠٩، ومن كلام له (عليه السلام) بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه.
- (٦١٦) راجع بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣١٨ ب ٩٨ ح ٢.
- (٦١٧) (الوالي) في المصطلح الإسلامي، هو من يعينه (الإمام) لإدارة بقعة من الأرض، سواء كانت كبيرة

(كالعراق) مثلاً، أو صغيرة (كالبصرة أو الكوفة) ونحوهما.

(٦١٨) (عمال الولاية) في الاصطلاح الإسلامي: هم الموظفون من قبل (الولاية) سواء كانوا موظفين كباراً أم

صغاراً.

(٦١٩) تستطاب: يطلب لك طيبها، (الألوان): أصناف الطعام، (الجفان) بكسر الجيم -: جمع جفنة، أي

القصة.

(٦٢٠) عائلهم: محتاجهم، (مجفو): مطرود.

(٦٢١) القضم: الأكل بطرف الأسنان، والمراد مطلق الأكل.

(٦٢٢) ألفظه: أطرحة حيث اشتبه عليك حله من حرمة.

(٦٢٣) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥.

(٦٢٤) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٠ ومن كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عماله.

(٦٢٥) نهج البلاغة، الرسائل: ١٩.

(٦٢٦) الكور: جمع كورة، وهي الناحية المضافة إلى أعمال بلد من البلدان، والأهواز: تسع كور بين البصرة

وفارس.

(٦٢٧) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٠.

(٦٢٨) نهج البلاغة، الرسائل: ٢١.

(٦٢٩) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٥.

(٦٣٠) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٥.

(٦٣١) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٧.

(٦٣٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٧.

(٦٣٣) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٧.

(٦٣٤) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٧.

(٦٣٥) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٧.

(٦٣٦) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٠.

- (٦٣٧) نهج البلاغة، الرسائل : ٤٦ .
- (٦٣٨) نهج البلاغة، الرسائل : ٥٣ .
- (٦٣٩) سورة النساء : ٥٩ .
- (٦٤٠) سورة الصف : ٣ .
- (٦٤١) سورة البقرة : ١٥٦ .
- (٦٤٢) نهج البلاغة، الرسائل : ٥٣ .
- (٦٤٣) نهج البلاغة، الرسائل : ٧٦ .
- (٦٤٤) الطيرة: الغأل بالشر، والغضب إنما يتفأل به الشيطان لنيل مأربه من الغضببان .
- (٦٤٥) نهج البلاغة، الرسائل : ٦٧، ومن كتاب له (عليه السلام) إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة .
- (٦٤٦) راجع مكارم الأخلاق : ص ١٦ في تواضعه وحيائه (صلى الله عليه وآله وسلم) .
- (٦٤٧) ساسة : جمع سائس يعني المدبر .
- (٦٤٨) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٦١٠ زيارة جامعة لجميع الأئمة / ح ٣٢١٣ .
- (٦٤٩) نقل عن الجاسوسة الإنجليزية (المس بيل) في كتابها عن تاريخ العراق : «إن المرجع الديني الكبير السيد محمد كاظم اليزدي (قدس الله سره) حينما أبرق إلى الجهات الإدارية يطالبهم بالحد من نشاطهم ضد الإسلام، ردوا عليه جواباً يقولون فيه : (إنك عالم ديني، ولا مس لك بالسياسة)» .
- (٦٥٠) بحار الأنوار : ج ٩٧ ص ٨٠ ب ١ ح ٣٧ .
- (٦٥١) العلامة الشيخ عبد الحسين بن أحمد الأميني (١٣٢٠-١٣٩٢هـ) = (١٩٠٢-١٩٧١م) مؤرخ أديب من فقهاء الإمامية، ولد وتوفي بإيران، ولكنه نشأ وأقام بالنجف الأشرف، أسس فيها (مكتبة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) العامة) من مؤلفاته : موسوعة (الغدیر) و(شهداء الفضيلة) و(أدب الزائر) وغيرها .
- (٦٥٢) هو السيد محمد حسن بن الميرزا محمود الحسيني الشيرازي، أعظم علماء عصره وأشهرهم وأعلى مراجع الإمامية في وقته، ولد بشيراز عام ١٢٣٠هـ حضر على العلامة السيد حسن البيد آبادي الشهير بالمدرس حتى حصلت له الإجازة منه قبل بلوغه العشرين حتى أصبح من المدرسين الأفاضل، هاجر إلى العراق عام ١٢٥٩هـ وأقام في النجف الأشرف، تأهل للزعامة والرياسة عام ١٢٨١هـ حتى أصبح المرجع الوحيد للإمامية، وبدل على نفوذ حكمه وقوة سطوته

مسألة التنبك الشهيرة، توفي في سامراء عام ١٣١٢هـ ودفن في النجف (رضي الله عنه).

(٦٥٣) هو الشيخ الميرزا محمد تقي بن الميرزا محب علي بن أبي الحسن الخائري الشيرازي زعيم الثورة العراقية (ثورة العشرين) من أكابر العلماء وأعظم المجتهدين ومن أشهر مشاهير عصره في العلم والتقوى والغيرة الدينية. توفي ودفن بكربلاء المقدسة عام ١٣٢٨هـ.

(٦٥٤) هو السيد أبو الحسن بن السيد محمد الموسوي الأصفهاني، عالم جليل ومرجع عام للإمامية في عصره، ولد في إصفهان عام (١٢٨٤هـ) وهاجر إلى العتبات المقدسة عام (١٣٠٧هـ) أدركه الأجل عام (١٣٦٥هـ) في الكاظمية وشيع جثمانه تشييعاً قل نظيره فقد حمل على الرؤوس من بغداد إلى النجف.

(٦٥٥) هو الشيخ محمد حسين ابن شيخ الإسلام عبد الرحيم النائيني النجفي مجتهد خالد الذكر من أعظم علماء الشيعة، ولد في مدينة (نائين) الإيرانية عام (١٢٧٧هـ) وبها نشأ فتعلم المبادئ وبعض أوليات العلوم وهاجر إلى أصفهان ومن ثم إلى العراق عام (١٣٠٣هـ) لازم السيد المجدد الشيرازي وصار كاتباً ومحراً له إلى أن توفي، توفي ببغداد يوم السبت (٢٦ ج ١ عام ١٣٥٥هـ) ودفن في النجف الأشرف.

(٦٥٦) السيد حسين السيد محمود القمي، ولد في قم المقدسة في (١٢٨٢هـ) ودرس فيها مقدمات العلوم، هاجر إلى العراق، حضر أبحاث كبار العلماء أمثال السيد المجدد الشيرازي والميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ محمد تقي الشيرازي، وحاز على درجة سامية من العلم وكان معروفاً بالصلاح والتقوى والزهد، في سنة (١٣٣١هـ) هبط المشهد الرضوي (عليه السلام) فصار من أكبر مراجع التقليد في إيران. بعد تصديه لانحرافات نظام الشاه رضا بهلوي اصدر الاخير أمراً باعتقاله ونفيه إلى العتبات المقدسة في العراق، فسكن كربلاء والتف العلماء حوله وصار مهوى قلوب الشيعة ومن كبار مراجع التقليد في البلد، رشح (رضي الله عنه) للزعامة العامة بعد وفاة السيد أبو الحسن الاصفهاني، توفي يوم الأربعاء ١٤ ربيع الأول ١٣٦٦هـ، نقل إلى النجف الأشرف ودفن في الصحن الشريف.

(٦٥٧) هو السيد عبد الحسين بن السيد يوسف الموسوي العاملي الملقب بـ (شرف الدين) من كبار علماء المسلمين وعبارة الشيعة، ولد في الكاظمية (١٢٩٠هـ) توفي في بيروت عام (١٣٧٧هـ) ودفن في النجف بعد تشييعه تشييعاً مهيباً في بيروت وبغداد وكربلاء والنجف.

(٦٥٨) زعيم الحوزة العلمية في قم المقدسة، آلت إليه المرجعية الشيعية بعد وفاة المرجع السيد أبو الحسن الأصفهاني (رضي الله عنه) عام ١٣٦٥هـ، وافاه الأجل عام ١٣٨٠هـ ودفن بجوار السيدة فاطمة المعصومة (عليها

السلام) في قم المقدسة إيران .

(٦٥٩) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢١٧ ب ١٨ ح ١٨ .

(٦٦٠) العلامة الشيخ محسن أو محمد محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني المعروف بـ (أغا بزرك) (١٢٩٣- ١٣٨٩ هـ) عالم بالتراجم ومحقق، ولد بظهران وانتقل إلى العراق عام ١٣١٣ هـ فتنفقه في النجف الأشرف وأجيز بالاجتهاد قبل سن الأربعين، شارك في قضية الانقلاب الدستوري في إيران، انتقل إلى سامراء في الأعوام (١٣٢٩-١٣٥٥ هـ) ثم عاد إلى النجف الأشرف لمتابعة العمل في تأليف كتبه إلى أن توفي (رضي الله عنه)، صدر عنه أكثر من ألفي إجازة في رواية الحديث، له عدة كتب، منها: (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) في تسعة عشر جزءاً، و(نقباء البشر في القرن الرابع عشر) وهو واحد من أحد عشر كتاباً في التراجم، وغيرها، وقد وقف مكتبته المحتوية على أكثر من خمسة آلاف كتاب .

(٦٦١) السيد محسن بن عبد الكرم بن علي بن محمد الأمين الحسيني العاملي (١٢٨٢-١٣٧١ هـ) = (١٨٦٥-١٩٥٢ م) آخر مجتهدي الشيعة الإمامية في بلاد الشام، له شعر واشتغال بالتراجم، ولد في قرية شقراء من أعمال مرجعيون بجبل عامل، وتعلم بها ثم هاجر إلى النجف الأشرف وعاد إلى سورية فاستقر في دمشق سنة ١٣١٩ هـ وعمل في التدريس والوعظ ثم الإفتاء، توفي بدمشق، كان مكثراً في التأليف، يجمع ما تفرق من آثار الإمامية وسيرهم ويؤلف في فقههم ويذب عنهم ويناقش ويهاجم، من مؤلفاته: (أعيان الشيعة) في ٥٦ مجلداً، و(الرحيق المختوم) وهو ديوان شعره الذي نظمه قبل سنة ١٣٣١ هـ، و(الخصون المنيعه) رسالة في الرد على صاحب المنار، وغيرها .

(٦٦٢) السيد محمد باقر بن الميرزا زين العابدين الموسوي الخونساري الأصفهاني (١٢٢٦-١٣١٣ هـ) عالم جليل، عارف بالفقه والكلام وغيرهما من العلوم الدينية، من أعلام القرن الثالث عشر الهجري، كان يسكن (خونسار) ويتولى الشؤون الدينية بها، له كتاب (حدود وتعزيرات) و(جبر واختيار) ألفه سنة ١٢٣٣ هـ، وغيرها .

(٦٦٣) خاتمة المستدرک: ج ٣ ص ٢١٦ .

(٦٦٤) رياض العلماء وحياض الفضلاء: ج ١ ص ٢٧٦ ط الحيام قم المقدسة .

(٦٦٥) الكامل في التاريخ: ج ٨ ص ٨١ ذكر ظهور الحسن بن علي الأطروش، ط دار صادر بيروت لبنان ١٣٩٩ هـ .

١٩٧٩ م .

(٦٦٦) أعيان الشيعة: ج ٥ ص ١٧٩ رقم ٤٢٥ .

(٦٦٧) انظر رجال الكشي: ص ٢٦٠ رقم ٦٨٢ . وشهداء الفضيلة: ص ٧ .

(٦٦٨) ميزان الاعتدال: ج ١ ص ٤٩٣ رقم ١٨٥٧.
(٦٦٩) أعيان الشيعة: ج ٥ ص ١٠٤ رقم ٢٥٧.
(٦٧٠) انظر شهداء الفضيلة: ص ١٠.
(٦٧١) هدية العارفين: ج ١ ص ٦٩. والذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ٢٢ ص ٦.
(٦٧٢) انظر سير أعلام النبلاء: ج ١٦ ص ٢٢٢ رقم ١٥٥. ولسان الميزان: ج ٤ ص ٢٣٨ رقم ٦٤٢. وفهرست ابن النديم: ص ٢٢٦.

(٦٧٣) انظر سير أعلام النبلاء: ج ١٦ ص ١٣١ رقم ٨٨. والكنى والألقاب: ج ١ ص ٤٤٦.
(٦٧٤) الغدير: ج ٣ ص ٣٩٩. ومعجم المطبوعات العربية: ج ١ ص ٣٣٦. والأعلام: ج ٢ ص ١٥٥.
(٦٧٥) روضات الجنات: ج ٣ ص ١٩ ط الحيدرية طهران ١٣٩٠ هـ.
(٦٧٦) أعيان الشيعة: ج ١ ص ١٩١ البحث الحادي عشر في الوزراء والأمراء والقضاة ونقباء من الشيعة.
(٦٧٧) الشيعة وفنون الإسلام: ص ١١٣ ط ١٣٩٦ هـ دار المعلم للطباعة، مصر.
(٦٧٨) ربع قرن مع العلامة الأميني: ص ١٦٨. وتاريخ مدينة دمشق: ج ٤٣ ص ٢٢١ رقم ٥٠٧٦. والأعلام: ج ٤ ص ٣٢٧.

(٦٧٩) روضات الجنات: ج ٢ ص ١٦٨ رقم ١٦٣ ط: الحيدرية طهران ١٣٩٠ هـ.
(٦٨٠) أعيان الشيعة: ج ٤ ص ٧ رقم ١٢.
(٦٨١) الشيعة وفنون الإسلام: ص ١٧٣.
(٦٨٢) هدية العارفين: ج ١ ص ٢٤٨. وشهداء الفضيلة: ص ٣١.
(٦٨٣) شهداء الفضيلة: ص ٣١.
(٦٨٤) رجال النجاشي: ص ٨٧ رقم ٢١٠. ورجال ابن داود: ص ٤٢ رقم ١١٤. نقد الرجال: ج ١ ص ١٥٠ رقم ١٢٦/٣٠١.

(٦٨٥) الشيعة وفنون الإسلام: ص ١١٧.
(٦٨٦) البداية والنهاية لابن كثير: ج ١٢ ص ٢٠ ط: دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٨ هـ.
(٦٨٧) ربع قرن مع العلامة الأميني: ص ١٦١.

- (٦٨٨) معجم البلدان: ج ٣ ص ١٠٤. والأنساب: ج ٣ ص ١٠٦.
- (٦٨٩) بحار الأنوار: ج ١ ص ٨.
- (٦٩٠) خاتمة المستدرک: ج ٢ ص ٢٦٤.
- (٦٩١) أمل الأمل: ج ٢ ص ٢٨٨ رقم ٨٦٠.
- (٦٩٢) شهداء الفضيلة: ص ٣٧. ومستدرک سفينة البحار: ج ٨ ص ١١٧. سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ص ٢٨ رقم ٣٢.
- (٦٩٣) أمل الأمل: ج ٢ ص ٨٧ رقم ٢٣٠.
- (٦٩٤) خاتمة المستدرک: ج ٢ ص ٢٦٤.
- (٦٩٥) الأعلام: ج ٣ ص ١٠٤. وشهداء الفضيلة: ص ٤٠. وتفسير جوامع الجامع: ج ١ ص ١٣ رقم ٤١.
- (٦٩٦) شهداء الفضيلة: ص ٤٠، سير أعلام النبلاء: ج ١٦ ص ٤٥٤. أمل الأمل: ج ٢ ص ٩٥ رقم ٢٦٢.
- (٦٩٧) شهداء الفضيلة: ص ٤٥. وأمل الأمل: ج ٢ ص ٢١٦ رقم ٦٥٠. معجم رجال الحديث: ج ١٤ ص ٣٠٤ رقم ٩٣٦٢.
- (٦٩٨) شهداء الفضيلة: ص ٤٨. فهرست منتجب الدين: ص ٣٨٤.
- (٦٩٩) أي أصول الدين وأصول الفقه.
- (٧٠٠) شهداء الفضيلة: ص ٨٠. وسنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ص ٢٤ رقم ١٨. وأمل الأمل: ج ١ ص ١٨١ رقم ١٨٨.
- (٧٠١) شهداء الفضيلة: ص ١٣٢. وسنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ص ٢٤ رقم ١٩. وأمل الأمل: ج ١ ص ٨٥ رقم ٨١.
- (٧٠٢) روضات الجنات: ج ٤ ص ٢٣٠ رقم ٣٨٧.
- (٧٠٣) شهداء الفضيلة: ص ١٦٨.
- (٧٠٤) خاتمة المستدرک: ج ٢ ص ٢٦٩. والذريعة: ج ٢ ص ٣٢٩. والأعلام: ج ٤ ص ١٣٦.
- (٧٠٥) شهداء الفضيلة: ص ١٧١. وخاتمة المستدرک: ج ٢ ص ٢٧١. وأمل الأمل: ج ٢ ص ٣٣٦ رقم ١٠٣٧.
- (٧٠٦) شهداء الفضيلة: ص ٢٠٦. وأمل الأمل: ج ١ ص ١٢٩ رقم ١٣٨.

(٧٠٧) شهداء الفضيلة: ص ٢١٥. وخاتمة المستدرك: ج ٢ ص ٥٤ رقم ٢.

(٧٠٨) شهداء الفضيلة: ص ٢٧٥.

(٧٠٩) شهداء الفضيلة: ص ٢٨٦. وطرائف المقال: ج ١ ص ٨٣ رقم ٢٦٦. وروضات الجنات: ج ٤ ص ١٩٨

رقم ٣٧٧.

(٧١٠) شهداء الفضيلة: ص ٣٥٠.

(٧١١) شهداء الفضيلة: ص ٣٥٤. ومستدرك سفينة البحار: ج ٥ ص ٢٧١.

(٧١٢) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٨ ب ٣٥ ضمن ح ٣٦.

(٧١٣) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٨ ب ٣٥ ضمن ح ٣٦.

(٧١٤) الزق: السقاء، وجمع القلة أزقاق، والكثير زقاق، مثل ذئب وذؤبان، والزق من الأهْب: كل وعاء اتخذ

لشراب أو نحوه، (لسان العرب): ج ١٠ ص ١٤٣ مادة زقق.

(٧١٥) الكافي: ج ١ ص ٢٧ كتاب العقل والجهل ح ٢٩. وفيه: (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس).

المحتويات

كلمة الناشر	٢
١. المقدمة	٥
٢. تمهيد	٩
٢. السياسة الحكيمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)	٢٥
١: وفد مزينة	٢٥
٢: وفد جهينة	٢٥
٣: وفد أشجع	٣٦
٤: وفد ثعلبة	٣٦
٥: وفد تميم	٣٦
٦: وفد فزارة	٣٦
٧: وفد محارب	٣٦
٨: وفد كلاب	٣٧
٩: وفد عقيل بن كعب	٣٧
١٠: وفد بني البكاء	٣٧
١١: وفد سليم	٣٧
١٢: وفد عامر بن صعصعة	٣٨
١٣: وفد عبد القيس	٣٨
١٤: وفد تغلب	٣٩
١٥: وفد بني حنيفة	٣٩
١٦: وفد طيء	٣٩

- ١٧: وفد نجيب ٤٠
- ١٨: وفد سعد هذيم ٤٠
- ١٩: وفد بلى ٤٠
- ٢٠: وفد بهراء من اليمن ٤٠
- ٢١: وفد الأزد ٤١
- ٢٢: وفد همدان ٤١
- ٢٣: وفد غامد ٤١
- ٢٤: وفد النخع ٤١
- ٢٥: وفد الرهاويين ٤٢
- ٢٦: وفد حضرموت ٤٢
- ٢٨: وفد أسلم ٤٣
- ٢٩: وفد جيشان ٤٣
- انتظار ثلاث ليال ٤٤
- صديقة خديجة (عليها السلام) ٤٥
- وفد النجاشي ٤٥
- مع أبيه من الرضاة ٤٥
- عود مع الأنصار ٤٥
- مع الأعرابي ٤٦
- قصر الموعظة ٤٨
٤. السياسة الرشيدة لأمير المؤمنين (عليه السلام) ٦٧
٥. سياسة الإسلام في المجال الاقتصادي ١٣٦
٦. سياسة الإسلام في المجال الصحي ١٤٣
٧. سياسة الإسلام في مجال الثقافة ١٤٧
٨. سياسة الحرية في الإسلام ١٥١

١٥٦	٩. سياسة الإسلام في مكافحة الجرائم
١٥٩	١٠. سياسة الإسلام في الضمان الاجتماعي
١٦٤	١١. سياسة الإسلام في العمران والزراعة
١٦٨	١٢. سياسة الإسلام في العلاقات الدولية
١٧٤	١٣. سياسة الإسلام في تكثير النفوس
١٧٧	١٤. سياسة الإسلام في السلم والحرب
١٩٤	١٥. من أسس الخارجية الإسلامية
١٩٥	أ: لا.. للغدر
١٩٦	ب: لا.. للتمثيل
١٩٦	ج: لا.. لقتل عشرة
١٩٨	٣: إنقاذ المستضعفين
١٩٨	٤: لا لاندلاع الحرب
٢٠٢	٦: وحدة المسلمين
٢٠٤	لا.. للجنسية والجواز
٢٠٥	لا.. للجمارك والمكوس
٢٠٧	لا.. للثالوث البغيض
٢٠٨	نعم.. للرباط الإسلامي
٢١٠	١٦. سياسة الإسلام في الحكومة العليا
٢١٦	١٧. من رسائل أمير المؤمنين (عليه السلام) في سياسة البلاد
٢٤٣	١٩. علماء.. شهداء
٢٥٦	٢٠. واجب الجميع
٢٩٥	المحتويات